# حالياً في الأسواق

## ترجمة معاني القرآن الكريم

متوفر باللغة الأنجليزية، واللغة الفرنسية **وقريباً** اللغة الإسبانية

## مميزات الترجمة:

- سلامة اللغة وسهولة الترجمة
- الدقة العلمية في الترجمة
- اختيار القول الراجح من كتب التفسير
- قام بالترجمة فريق من الغربيين المسلمين
- متوفر بأحجام مختلفة
- أسعار مناسبة للجميع

Facebook . QuranABC
Twitter . aQuranABC

www.quranabc.com
Quran@almuntada.ws

المملكة العربية السعودية - الرياض هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٤٤٤٦٤٦ - فاكس: ٠٠٩٦٦٤٩٤٢٩٠٠

## كلمة التحرير

# تغيير نحو التطوير

يتميّز العمل المؤسسيّ بقدرته على تجاوز الإطار الشخصيّ؛ إلى إنتاج منظومة متكاملة ومتجانسة لا تتوقف على الأفراد، ونحن في مجلة (قراءات إفريقية) وُفِّقنا - بحمد الله - في بناء منظومةٍ وفريق عملٍ متجانس متكامل، يعمل بسلاسة مع اختلاف البُعد المكانيّ لبعض أفرادها.

وكذلك؛ فإنّ غياب أو انتقال فردٍ أو أكثر لا يؤثّر في سير العمل.

وقد شَرُفت المجلة بكفاءاتٍ وخبراتٍ متنوّعة؛ قدّمت الكثير، وأسهمت في قيام المجلة واستمرارها، وكانت لهم بَصْمَتهم المتميّزة في مسيرة المجلة، إلا أنّ التغيير والتجديد سنّةُ العمل المؤسّسي، وأحدُ عوامل نجاحه واستمراره، وهكذا.. غادَرَنا بعضُهم، وقد كان من أبرزهم:

الدكتور/ خير الله طالب، أول رئيس تحرير للمجلة، والمؤسّس الحقيقيّ لها.

ثم خلفه الدكتور/ إبراهيم العامر، وكانت له رؤيته التي أسهمت في نموّ المجلة واستمرارها.

والآن يستلم زمامَ القيادة ورئاسة التحرير: الدكتور/ محمد اللعبون، بتكوينه الأكاديميّ، وخبرته العملية من خلال عمله في (المنتدى الإسلامي)، ونأمل أن يوفّقه الله في قيادة السفينة، وتقديم الجديد الذي يميّز مسيرة مجلة (قراءات إفريقية)، في ظلّ وجود منافسةٍ علميةٍ صحافيةٍ بين كثيرٍ من المطبوعات المتخصّصة في الشأن الإفريقي.

وفي إطار بناء منظومة علمية متكاملة؛ يتولّى الإشرافَ العامّ على المجلة في هذه المرحلة شخصيةٌ تجمع بين الجانب الاستراتيجيّ والإداريّ والخبرة المتنوّعة في مجالات عمل المجلة، هو: الأستاذ/ عبدالله بن عبد المغني الفايز.

وتأتي هذه النقلة في بداية العشرية الثانية للمجلة، والتي تسعى فيها إلى بناء مشروع (مركز دراسات إفريقية)، وإنجازه بشكلٍ متكامل، يستطيع أن يؤسّس لعملٍ بحثيٍّ دراساتي، يُسهم في خدمة العلم والفكر في إفريقيا، ويقدّم إضافةً تعزّز هويتها، وتشارك في نهضتها.

كما تسعى المجلة إلى أن تخطّ اسمها بين مراكز علمية كبرى، ليس على المستوى المحلّي والإقليميّ فقط، بل على المستوى الدوليّ الذي يُثمّن ويُقدّر العمل القائم على خلفيةٍ حضاريةٍ علميةٍ متجانسة.

والله نسأل أن يسدّد الخطى، ويبارك في العمل.


رئيس مجلس الإدارة
خالد بن عبد الله الفواز
fawaz@qiraat.org

المشرف العام
عبدالله بن عبد المغني الفايز

رئيس التحرير
د. محمد بن عبد الله اللعبون
info@qiraat.org

مدير التحرير
رأفت صلاح الدين
editors@qiraat.org

الهيئة الاستشارية
المشير: عبدالرحمن سوار الذهب (السودان)
د. إبراهيم أبو عباة (السعودية)
أ. إبراهيم كنتاو (مالي)
د. حقار محمد أحمد (تشاد)
أ. د. حمدي عبد الرحمن حسن (مصر)
أ. د. عبدالغفور البوسعيدي (كينيا)
د. محمد أحمد لوح (السنغال)
د. محمد الثاني عمر (نيجيريا)

هيئة التحرير
أ.د. محمد عاشور مهدي عاشور
د. جلال الدين محمد صالح
د. ربيع محمد القمر الحاج
أ. محمد العقيد محمد أحمد
أ. بسام المسلماني

الإخراج الفني
وائل خالد كريزان



المراسلات: بريطانيا - لندن:
7 Bridges Place, Parsons Green
Fulham, London SW6 4HW, UK
هاتف: 0044-207-4718261
فاكس: 0044-207-7364255

المملكة العربية السعودية - الرياض:
هاتف: 0096614944949
فاكس: 0096614942900
جوال: 00966555097415

جمهورية مصر العربية - القاهرة:
هاتف: 002 02 22874277
فاكس: 002 02 22874275

جمهورية السودان - الخرطوم:
هاتف: 00249188266666
فاكس: 00249183285830

التسويق/التوزيع: marketing@qiraat.org

ثقافية فصلية محكّمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية تصدر عن المنتدى الإسلامي

**أسعار البيع والاشتراك السنوي لمجلة قراءات إفريقية**

| الدول | الجهة | سعر البيع | اشتراكات | |
|---|---|---|---|---|
| | | | أفراد | مؤسسات |
| مصر وإفريقيا | | ١,٥ دولار | ١٠ دولار | ٢٠ دولار |
| السعودية والخليج | | ١٠ ريال | ٦٠ ريال | ١٠٠ ريال |
| أوروبا وأمريكا | | - | ٢٠ دولار | ٣٠ دولار |



المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

الإعلام الإفريقي ودوره في خدمة القضايا التنموية الاستراتيجية للقارة ٤

التفاعل الديني الاجتماعي في بوركينافاسو ٦
أ. زينب بيلا تاسيري يانكيني

الـفـلانيـون: الشعب واللغة ١٦
د. علي يعقوب

المقاربات الأمريكية لبناء السّلم والأمن في منطقة الساحل الإفريقي ٢٦
د. عصام عبد الشافي

منطقة الساحل في التصور الأمريكي والفرنسي ٣٦
أ. سمير قلاع الضروس

الاقتصاد الإفريقي وفرص النهضة والتنمية ٤٦
د. جميل حلمي عبد الواحد

التكامل الاقتصادي الإفريقي ٥٦
د. محمد بوبوش

المرأة الإفريقية ودورها في النهوض بالقارة ٦٨
أ. محمد العقيد

الشعر العربي اليوربوي الخصائص والسمات ٧٨
د. كمال الدين المبارك علي

المشهد الإفريقي ٩٠
تحرير المجلة

أحمد بلُّو سَرْدَوْنَا .. رجلُ دولةٍ ودعوة ١٠٢
د. محمد الثانيِّ عمر

العلاقات العربية الإفريقية في كتابات الدكتور علي مزروعي ١١٢
د. محمد عاشور

تقرير ملتقى الداعية المتميز ١٢٠
تحرير المجلة

حلقة نقاش ( مستقبل الإسلام في شرق إفريقيا ) ١٢٣
تحرير المجلة

مَن مُؤلِّف تاريخ الفتّاش؟ ١٢٦
د. هارون مهدي ميجا

العدد ٢٤
ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ
أبريل - يونيه ٢٠١٥ م

# الإعلام الإفريقي ودوره في خدمة القضايا التنموية الاستراتيجية للقارة

الصـورة والمعلومـات التـي يقدّمها الإعـلام، من خلال تقنياتـه المختلفة، هي في الغالب – حتى ولو كانت مشـوَّهة – ما تُتخذ في ضـوئها القرارات، وتُبنى عليها المواقف العملية؛ حيث يتم التعامل مع ما يقدّمه الإعلام بوصفه حقائق موثوقة.

ومما يزيد من خطورة الإعلام في فاعلية تأثيره واتسـاع مداه في عصرنا الحاضر: تقنياته المتطورة، وترابط شبكاته، وتبادلها للبرامج والمعلومات، وهي تنطق بلسانٍ واحدٍ مع تعدّد لغـات خطابها؛ ما يجعل المعلومة تبلـغ – من خلالها – ما بلغ الليـل والنهار، وتصـل إلى جميع شـعوب العالـم على مختلف لغاتهم في زمنٍ قياسيّ، إضـافة إلى تنوّعه شكلاً: من مسموعٍ ومرئيٍّ ومقروءٍ، ومضـموناً: بتغطيته قضـايا الحياة وأحداثها المتجددة كافّة، واهتمامات الإنسان حيثما كان.

إنّ الوعـي بـكلّ هذه المعطيـات عن الإعـلام: يدعو إلى ضـرورة توظيفه بصـورة سـليمة –وإلا أصـبح وبالاً– لخدمة قضايا بيئته الاسـتراتيجية والتنموية: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. وغيرها، وذلك ما تنتظره القارة الإفريقية التي تحتاج أكثر من غيرها إلى إعلام هادفٍ وقويٍّ، يُسـهم بفعاليّة في بناء نهضـتها التنموية، وتوجيه مسيرتها لتحقيق أهدافها، وخصوصـاً أنّ هنـاك ارتباطاً وثيقاً بين التنميـة الاجتماعية والاقتصادية، وتعزيز المشهد الإعلامي الإفريقي.

وتتوقـف فاعلية الإعلام الإفريقيّ وفعاليّته على جملة من السّمات والخصائص، أهمها:

– **أن يكون هادفاً، وذلك يعني انتماءه إلى الخصوصية المتميّـزة التي تجسّـد شخصـية القـارة الإفريقية**: بحيث يجعل منها رسالةً تعمل على توجيه شعوب القارة إليها، وتعميق الوعـي بهـا، وتكثيـف الجهـود للمحافظـة عليهـا، والاهتمام بترسـيخها على المسـتوى المحلّـي الإفريقـي، وعالميّاً خارج حدود القارة.

إنّ تعاطـي الإعلام – في مضـامينه– ما رفدت به القارةُ الحضـارةَ الإنسـانيةَ من مسـاهماتٍ قيّمة في ظلّ عصـورها المختلفة، وبخاصة الإسلامية، والعمل على التمكين لذلك في حاضـرها ومسـتقبلها، هو أسـاس الانتماء والتنمية الحقيقية للقارة، بـكلّ أبعادهـا، وبعثها من جديد؛ لما يحمله الإسـلام خاصّـة مـن منهجية البنـاء والتغييـر، ومقوّمـات التنمية في مستوياتها وجوانبها المختلفة.

– **الفَهْـم العميق للواقع الإفريقي**: بحيث يمثّل بأبعاده التاريخية والجغرافية، مجالاً واسعاً لفاعلية الإعلام الإفريقي الهادف؛ يركّز فيه على ما في تعزيزه من دعم لعناصـر القوة وأسـباب النهوض وفرصـه، فالقـارة تتمتع بمقوّمـات معنوية ومادية: روح التدين في الحياة الإفريقية، وبسـاطة الإنسـان، وقيمه الاجتماعية، وصـدق الانتماء، وقوة الـولاء لها، ولتراث القـارة الضـارب فـي أعماق التاريـخ؛ حيث تُعدّ القـارة – في نظـر معظم الباحثيـن والمؤرّخين– مَهْد الحضـارات، وإرثها الحضـاريّ ملـيءٌ بالخبرات والتجارب المفيـدة، وهي بجانب ذلـك مليئـة بخيـرات وكنـوز فـي باطـن أرضـها وظاهرها، وتعدادها البشـري قد تجاوز المليار، وفـي جميع ذلك ما فيه مـن مكوّنات تمثّـل مرتكزات لبحث قضـايا التنمية في القارة واستراتيجياتها، وتركيز الجهود الإعلامية فيها.

– **تعزيـز عناصـر القـوة وأسـباب النهوض، ومحاربة مظاهر الضعف**: واستكمالاً لشرط فاعلية الإعلام الإفريقي، من خـلال فَهْم الواقع، يقابل تعزيز ما فيه من عناصـر القوة وأسـباب النهوض: محاربـة مـا فيـه مـن مظاهر الضـعف؛ مما يبـدد طاقات الإنسـان الإفريقـيّ (الروحية، والنفسـية، والفكرية) من معتقدات ومفاهيم، وعادات وتقاليد اجتماعية ضـارة، وجهل، ورواسـب اسـتعمارية، ونزاعات وصـراعات، ويُضـعف قدراته الجسـدية من أوبئة وأمراض، وعوامل بيئية تحدّ من حراكه ونشاطه.

– **التماسـك الداخلـي**: وفـي التماسـك الداخلي تتمثل فاعليـة الإعـلام الإفريقـي فـي أن يكـون عامـلاً قويّـاً يتمتع بالقـدرة على التواصـل المباشـر والفاعل مـع الجمهور، وفي

تكثيف الحوارات الحاسمة والبنّاءة بين الشرائح المختلفة، والتنسيق بين المؤسسات المختلفة، وبناء الشراكات مع الحكومات ومنظمات المجتمع المدني والقطاع الخاصّ المحلّي، ويعمل على صون الموارد المعلوماتية، كالمكتبات والنشرات الإلكترونية، والتعريف بتراث القارة الثقافي ورصيدها الفكري والعلمي.

- **إيجاد رؤية موحّدة تجاه ما يتهدد المجتمعات الإفريقية:** وإنّ من أهم ما يحقّقه الإعلام الإفريقي الهادف وفعاليّته في التنمية والقضايا الاستراتيجية: إيجاد رؤية موحّدة تجاه ما يتهدّد المجتمعات الإفريقية، ترتكز وظيفتها في بلورة مفاهيم الجمهور وتصوراتهم في مناحي الحياة المختلفة، وتزويدهم بالخبرات السياسية التي من خلالها يتشكّل الرأي العام، وتتم المشاركات البنّاءة، ويتحقّق التماسك الاجتماعي بين أطياف المجتمع؛ لدعم مواقف سياسية معينة أو رفضها.

- **القيام بدور فاعل في تحقيق الأمن الشامل:** ويُتوقع من مؤسسات الإعلام الإفريقية أن تقوم بدور فاعل في تحقيق الأمن الشامل في القارة، ويتمثل دورها المحوريّ في نشر الوعي والثقافة الأمنية لدى المواطن الإفريقي، وتسليط الضوء على التحديات والمهدّدات الأمنية التي تواجه أجهزة الأمن؛ بما يدعمها في تحقيق الأمن والأمان للشعوب الإفريقية، ويمثّل الإعلام بكلّ أدواته وتقنياته آلية قويّة للإنذار المبكر تجاه كلّ المخاطر البيئية وغيرها؛ بما يوفّره من معلومات بشأنها.

- **المشاركة الفاعلة في التخطيط الاستراتيجي:** ويتحقّق ذلك بتطوير آلياتها، وإقامة مراكز إعلامية تقوم بتنظيم الفعاليّات بالشراكة مع الجهات المعنيّة، من ندوات وورش عمل ومؤتمرات، لتسليط الضوء على القضايا ذات الأولوية، كما تقوم بتوفير البيانات والمعلومات المتعلقة بها، واستكتاب الباحثين والخبراء فيها، وترجمة المقالات والبيانات من اللغات الأخرى إلى لغاتها.

- **تنشيط الدور الثقافي:** فالإعلام الهادف وفعاليّته هو الذي يقود حواراً بنّاءً بين الثقافات المحلية، ومع الثقافات الوافدة، ويعمل على مقاومة تأثيرات العولمة التي تهدف إلى إلغاء الآخر؛ من خلال إلغاء الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للشخصيّة الإفريقية. وتمثّل قدرة الإعلام الإفريقي على إزالة ما رسّخه الإعلام الخارجيّ من صورة نمطية مشوَّهة للقارة عنصراً مهمّاً من عناصر الفاعلية؛ إذ يُعدّ ذلك هدفاً أساسيّاً للإعلام الإفريقي ودراساته البديلة، وهو يتطلب بداية القيام بدراسات ناقدة، تعمل على كشف أوجه الزيف والتشويه، وتعرية الخلل المنهجي الذي انطوت عليه الدراسات الغربية، وصولاً إلى تقديم الصورة الصحيحة.

- **دعم سياسات دول القارة الخارجية وعلاقاتها واستراتيجياتها:** ويدخل ضمن القضايا الاستراتيجية للإعلام الإفريقي: دعمه لسياسات دول القارة الخارجية وعلاقاتها واستراتيجياتها؛ بما يفتحه من نوافذ وقنوات تطلّ إفريقيا من خلالها بصورةٍ مشرقةٍ على العالم، وما يقيمه من جسور التواصل مع شعوبه المختلفة، وما يبنيه من ثقة، ويولّده من رغبة لدى حكومات دول العالم، وبخاصة العربية والإسلامية، في إقامة علاقات تعاون وتطويرها مع القارة الإفريقية، ويتضمّن ذلك إزالة ما شاب العلاقات (الإفريقية – العربية) من حساسيّات، وما كوّنه الاستعمار من صورةٍ ذهنيةٍ مشوَّهة في علاقة العربي بإفريقيا.

ومن أهم ما ينبغي أن يقوم به في ذلك: استعادة الثقة في قدرات الشعوب الإفريقية والعربية وحكوماتها على تحقيق مستقبلٍ أفضل، وإيجاد مرتكزات التعاون بينها، وتبنّي سياساتٍ وبرامج إعلامية لتوجيه خطابٍ إعلاميّ جدّي وموحّد في الدفاع عن القضايا الإفريقية والعربية الرئيسة، ويهيئ لقيام تكتلٍ إقليميٍّ (إفريقي – عربي)، يقف ندّاً قويّاً للتكتلات الأخرى، ويردّ التآمر الصهيونيّ الغربيّ على شعوب المنطقتين.

## كلمة أخيرة:

إنّ القارة الإفريقية تحتاج إلى إعلام هادف وفعّال، يرسّخ لصناعة إعلامية فاعلة، ويُسهم في تطويرها، ويقدّم نموذجاً حيّاً لها، ليس في دورها الرقابيّ فقط، وإنما في تفاعلها مع بيئاتها، ومشاركاتها الواسعة في خدمة قضاياها الحيوية التنموية والاستراتيجية.

ويبقى من بعد ذلك، مما يزيد من فعالية الإعلام الإفريقي الهادف، تقديم مضامين واضحة ومؤثّرة في نقل المعلومات، أو الإقناع أو التقويم، وفق منهجيّة سليمة، واتخاذ ما يناسب الحال والمقام؛ من الوسيلة وأسلوب الخطاب ■

## التفاعل الديني الاجتماعي في بوركينافاسو

# (الأرواحيّة والإسلام) نموذجاً

أ. زينب بيلا تاسير ييانكيني

كاتبة وباحثة، وأستاذة في المركز الجامعي للتخصصات المتعددة – بوركينافاسو.

## خصائص المجتمع في بوركينافاسو[1]:

يصعب الفصل بين الدين والعلاقات الاجتماعية في بوركينافاسو؛ لأنّ المعتقدات التّقليدية تتجاوز الفرد، وتقابل نمطاً مميَّزاً من أنماط المجتمع، وأنماط السلوك الاجتماعي تتحدد بالمعتقدات، فأول ما يشعر به كلّ إنسان الوازع الدّيني، أو الخوف من الأخطاء، وهو ما يعكس الخضوع للتقاليد التي تفرضها الطقوس والشعائر الدّينية، وتبعاً لذلك الثّقة في الجماعة التي ينتمي إليها[2].

وتأتي الأرواحية أولاً بوصفها الديانة التقليدية في بوركينافاسو، ثم يأتي بعدها الإسلام، ثم المسيحية، أي أنها دولة متعددة الأديان[3].

وستعرض هذه الدراسة المختصرة بعض مظاهر التفاعل الديني الاجتماعي في بوركينافاسو، في موازنة بين الأرواحيّة والإسلام.

## معتقدات الدّيانة الأرواحية وخصائصها:

### تعريف الأرواحية:

الأرواحية: هي الديانة المنتشرة في بوركينافاسو قبل مجيء الإسلام، وهي: «تقوم على تصوّر وجود مخطّط روحيٍّ وراء المخطّط الطبيعي، والاعتقاد بوجود نفسٍ للأشياء، وبالثنائية، وبأنّ وراء كلّ شيءٍ روحاً، ووراء كلّ ظاهرة عقلاً، وأنّ هناك إرادة في كلّ ما نظنّه صُدفة، وأنّ الإنسان الذي يعي ازدواج الطبيعة يرى أنّ كلّ ما يحيط به مشابهٌ له، ويلاحظ أنّ في داخله صلةً وثيقةً بين المادة والعقل، فهو يحاول عبر الأشكال الخارجية أن يؤثّر في الأرواح التي وراءها»[4].

ويعتقد الأرواحيون أنّ في هذا الكون المنظّم قوةً تتحرك، ويتعيّن على المعتقِد تحديد مسار حركتها بطقوسٍ دينيةٍ تمنع الكوارث التي يمكن أن تصيب الإنسان.

### الخالق الأعظم:

مفهومه عند الأرواحيين: أنه القوة التي قامت بخلق العالم دفعةً واحدةً، ثم تسامت عن البشر، وأخلدت إلى الرّاحة، وأنابت عنها الآلهة الصغرى، ووكّلتها بشؤون الأرض، ويعتبرون هذه القوة كائناً فوق الكائنات الموجودة بالأرض[5].

ومن خصائص هذا الكائن العلويّ أنّه منزّه عن الصفات البشرية، وهو أزليٌّ لا نهائي، ويسود الاعتقاد في أنّ الخالق الأعظم وإن كان بعيداً عن النّاس، حيث لا تدركه حواسهم، فهو غير مقطوع الصلة بهم، بل ينظر إلى أفعالهم، ويراقب سلوكهم، فيكافئ الأخيار ويعاقب الأشرار، وهو الذي ينزّل الأمطار أو يمنعها، كما يحقّق الخصوبة أو يقطعها، ويشفي من المرض أو يبتلي به، ويطيل الأعمار أو يقصّرها، وهو لا يُرَى ولا يُلمَس ولا يُسمَع، إذ هو كالهواء موجود في كلّ مكان، ولا يهتم بالمسائل الشّخصية، لهذا لا يقبل العبادات والطقوس التي توجّه إليه إلاّ عندما تكون

**حرّر الإسلام المجتمع البوركيني من كثير من القيم الاجتماعية الأرواحية المنحرفة والبعيدة عن الفطرة السليمة**

(١) تقع بوركينافاسو (فولتا العليا سابقاً) في غرب إفريقيا، تحيط بها: (مالي، والنيجر، وبنين، وتوغو، وغانا، وساحل العاج)، وقد ذهب المؤرخون إلى أنه لا يُعرف الكثير عن ماضي (بوركينافاسو) سوى أنها كانت جزءاً من إمبراطورية غانا، وفي القرن الرابع عشر الميلادي وبعده أصبحت جزءاً من إمبراطورية مالي الإسلامية، ومن ثمّ أصبحت جزءاً من إمبراطورية الصونغاي الإسلامية، كما أنها في وقتٍ ما كانت جزءاً من ساحل العاج، وكأنّ بنيتها الاجتماعية متعددة، انظر:
Delafosse Maurice: Haute sénégal – Nigéria, Soudan Français Paris, 1912, 3 vol 316.

(٢) د. عبدالرحمن عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، ص ٧، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ابن عنكبوت، الجزائر.

(٣) مرجع سابق، Délafosse, op cit 428.

(٤) Dictionnaire des religions: P.U F.France, 1984.

(٥) ديشان هوبر: الديانات في إفريقيا السوداء، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٢٢.

جماعية، أي من عامّة الشّعب، وإلاّ يعاقب صاحبها، فهو – لهذا – موضع خشية، ومعقد رجاء، ومحلّ عبادة، فتُقام له المحاريب، وتُقدَّم إليه القرابين، ويُتوسّل إليه بالدّعاء بواسطة الأسلاف[1] – كلّ هذا بحسب اعتقادهم–.

### عبادة الأسلاف:

تتخذ عبادة الأسلاف – عند الأرواحيين في بوركينافاسو – شكلاً جماعيّاً، كما تُقام لها الاحتفالات والطقوس عادة، حيث تعمّ القريةَ موجةٌ من الرقص طوال الليل، وفي اليوم التالي يخرج الناسُ لصيد الحيوانات البريّة، ويُقدَّم قَدْرٌ من الحصيلة قرباناً للأسلاف، وذلك بتركها في الخلاء، وقَدْرٌ للكهنة.

وإذا كان الاحتفال متعلّقاً بموسم زراعي؛ فيضرب كاهنُ الأرضَ بفأس أو آلة ما حادة، بعد ذلك يمكن استهلاك أول محصول، وشرب أول كأس خمر إكراماً للأسلاف، وتستمر طقوس إكرام الأسلاف شهرين عند بعض الأجناس، تحت إشراف الكهنة والزعماء التقليديين[2].

وهم بهذه الأفعال يعتقدون أنّ هذه الأرواح تتوسط لهم عند الإله، كما كان يفعل أسلافهم الموتى، وهنا نلاحظ دَوْر عبادة الأسلاف عند الأرواحيين.

### الوفاة عند الأرواحيين:

إذا توفّي المرء – عند الأرواحيين في بوركينافاسو – علا بكاء أهله وعويلهم، وقبل دفنه يتحقّق الكهنة في أسباب وفاته، ثم يُعدّون الطقوس والمراسم اللازمة للدفن والتأبين[3]، ثم يُسأل الناس مَن له دَيْن على الفقيد؛ ذلك لأنهم يعتقدون أنّ دفن الميت قبل تسديد ديونه يعرضه للعذاب في قبره.

كما أنهم يؤمنون بأنّ روحه أو قرينه سيرجع إلى داره ليتفقد أهله[4]، وسبب هذا الاعتقاد يعود إلى تقسيمهم للإنسان إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الإنسان بلحمه ودمه، والثاني: النّفْس، وهي في اعتقادهم مادة مكوّنة من دم وريح (ما يعبّر عنه في الفرنسية Souffle)، ثم الثالث: يتمثّل في شخصٍ مصاحبٍ لنا طوال حياتنا؛ هو الروح.

فالقسم الأول، أي الإنسان، يأكله التراب، والثّاني تذوب في الكون، أو تنتقل إلى إنسانٍ آخر أو حيوان، أما الثالث، وهو الرّوح، فتبقى مع صاحبها في قبره ثلاثة أيام، ثم تتفقد داره من حين لآخر[5].

رفع الحداد عند الأرواحيين:

بعد الوفاة بثلاثة أيام تُذبح الذبائح، ويُقدّم الطعام والشراب، وبعد الدّفن بثلاثة أشهر يُرفع الحداد، وعندئذ يُقام احتفالٌ كبير، تُقدَّم فيه المأكولات الشهيّة والمشروبات الرّوحية والطقوس الدّينية، والهدف إعادة التوازن الاجتماعي وتحرير الأحياء من ممنوعات الحداد، وبذلك يوضع الميّت ضمن فئة الأسلاف بشكلٍ نهائيٍّ[6].

وعموماً لا يرى الأرواحيون في بوركينافاسو الموت ظاهرة طبيعية عادية، بل كثيراً ما يذهب ظنّهم إلى أنّ عدواً ما ألحق بالميت هذا الأذى، ولعلّ في هذا ما يدلّ على أنّ للسحر دَوْراً أساسيّاً في حياتهم، ومع ذلك يرون الموت حالة يعبرها الإنسان، وترشّحه لمجلس الأسلاف الذين يقومون بدَوْرٍ كبيرٍ لدى الأرواح والآلهة.

### ومما سبق نستخلص أنّ الدّيانة الأرواحيّة تعتقد:

١ – أنّ في العالم وحدةً أو قوةً روحية تسري فيه؛ بدايةً من أصغر ذرة إلى أكبر نجم، مروراً بالحيوان حتى الإنسان، فعلى الإنسان السّعي لمعرفتها وفهمها؛ ليتسنّى له التوحّد معها في نهاية الأمر؛ لأنّ الانعزال في الكون موتٌ محقّق، فعلى الرّغم من أنّ الله حاضرٌ في كلّ مكان وفي كلّ شيء

---

(١) ديشان هوبر، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٢) د. عبدالرحمن عمر الماحي، مرجع سابق، ص ١٣.

(٣) التأبين: أن يقوم أحد أصدقاء الميت فيصف خصاله أمام الحاضرين، ثم يقوم أحد أقاربه بالعمل نفسه، وإن كانت امرأة فيفضل لديهم أن يكون زوجها هو الذي يقوم بهذا العمل.

(٤) حسن سعيد جلو: تأثير الديانات الإفريقية في مسلمي بلاد السودان: أطروحة لنيل شهادة دراسات معمقة، تونس ١٩٩٥م – ١٩٩٦م، ص ١٣٣.

(٥) Vieillard Gilbert: La contribution de la sociologie des peuls, IFAN, DAKAR, 1960, p 132.

(٦) Dictionnaire des religions: P.U F. Art Africain.

– فـي اعتقادهم–؛ فإنه في المقابل غائبٌ أو بعيد، ومن ثمّ لا ينغمـس في الأجـزاء الفردية المعزولة، لأنّه يشـارك روح الجماعة عن طريق الأجداد أو غيرهم.

٢ – الأجـداد هـم الوسـطاء بيـن العالـم المرئـي واللامرئـي، فهـم برغـم موتهـم حاضـرون مـع الأحيـاء، وشـاهدون علـى أعمالهـم، فيفرحـون إن أصـاب الأحيـاء مـن أقربائهم، ويغضـبون إن أسـاؤوا، ويتدخّلون عن طريق القرابين ليشفعوا لهم، فعلى الأحياء أن يستغلوا مكانتهم.

٣ – العالم ليس خالياً من الكائنات المرئية واللامرئية، فعلـى الإنسـان أن يعرف أنّه ليس وحيداً فـي الكون، بل معه الجنّ والأرواح، وهي لا تقلّ عنه وجوداً، فعن طريق الطقوس والشّـعائر اليوميّة والموسـميّة يمكن توحيد هذه العناصـر، ومن ثمّ فالإنسان متديّن بالضرورة.

## العـلاقـة العـقـائـديـة بـيـن الإسـلام والأرواحية:

هنـاك شـيء من الخصوصـية فـي عقيدة المسـلمين فـي وجـود الله فـي بوركينافاسـو، ذلـك أنّ الإلـه الأعظم كان معروفـاً لـدى الأرواحيين في هـذه المنطقة قبل مجيء الإسـلام، والكائنات الأخرى، مثل الملائكة والجنّ وغيرها، لا تمثّل هي الأخرى صـعوبات لـدى الأرواحيين؛ لأنهم كانوا يعرفون أنواعاً من الكائنات الروحية في هذه المنطقة.

وبالرغم من أنّ المفهوم الإسلامي غزا ويغزو المفاهيم البوركينية بصفة مستمرة، وأزال فعلاً بعض المفاهيم؛ فإنه من المؤكد أنّ بعضـها ما يـزال موجوداً عند بعض الأجناس في بوركينافاسو[١].

### ومن مظاهر ذلك:

الكلمات التي تقابل كلمة: (الله) في الإسلام:

– عند بيسا Bisa: (هُنْسُ Hounsou).

– عند الموسي: (وِنْده Windé).

– عند غورمنتشي (Gourmantché): (أُوْتِيَيْن Otiéne).

– عند جنـس الجـولا dioula: (مَاتِيغِـي أَلَـه ALAmatighi)[٢].

– عند الفلاتة: (جومراطو).

– ولـدى بوبـو Bobo: نجـد: (دُوُوْ DWO) تقابل اسم: (الخالق) في الإسلام.

– ونلاحظ أنّ اسـم (الله) عند ماندنغ قريب من اسم (الله) في الإسـلام، ويبدو أنّ هذا الجنس تأثّر بالمصطلح الإسـلامي، ولعلّ هذا ما يجعلنا نقول إنّ المفهوم الإسلامي قـد غـزا بعض المفاهيم فـي بوركينافاسـو، فوجـود هذا الإله المفـارق في ثقافة الأرواحيين فـي هذه المنطقة جعل الاعتقاد بالله أمراً سهلاً.

وكذلك نرى أنّ الإسلام يتميّز عن الأرواحية في موضوع الجزاء (الثواب والعقاب)، فهو في الإسـلام: دنيوي، يتمثل في إقامـة الحدود والتعزيـرات، وأخروي، وهـو الجزاء في الآخرة.

أما الأرواحية فكلّ أحكامها دنيوية، وقد تكون العقوبات فناء أو انقطاع نسـل أو تعرض للعنـة وكوارث، وهم يخافون من السـرقة والزنا لأنّ اللعنة سـتتبعهم هم وذريتهم، وهذه اللعنـة لا تمهل لأنّ القوى الطبيعية مـن ريح ومطر وأمراض فتاكـة، كلها مسـخّرة لها، فـلا يمكن الإفلات مـن العقاب، كما يعتقدون أنّ هناك أرواحاً خفية تسـري في المادة، وفي العالم بصفة عامّة، تقوم بالمهام نفسها[٣].

ممـا سـبق؛ نلاحـظ أنّ هنـاك اختلافـاً كبيـراً بيـن العقيدتين، الإسلامية والأرواحية، في مستوى الجزاء، ومن ثمّ لا يُتصوّر التوفيق بينهما.

وعمومـاً؛ فالإيمـان بالإلـه عنـد البوركينييـن شـبيه بشـركيات العـرب قبـل الإسـلام، فـأرواح الأسـلاف هـي الوسـاطات إلى الإله الأعظم، كما قال المشركون في عبادة أصنـامهم: ﴿... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾ (الزمر: ٣).

فالأرواحية، وإن بدا في ظاهر الأمر أنها تتّسـم بوحدة بناء ورؤية كلية للكون، فإنه بناءٌ واهٍ، ورؤيةٌ ضـبابيةٌ قاصرة؛ كما يتضـح من معتقداتها وقصـور اسـتيعابها لحياة ما بعد

(١) La terre Africaine et ses religion: Larousse .Paris, 1983, p 214

(٢) ديشان هوبر، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٣) حسن جالو، مرجع سابق، ص ٩٠.

الدنيا، وهي الحياة الباقية، وقد وصف البروفيسور جوزيف كي زيربو المجتمع الإفريقي التقليدي (الأرواحي): بهشاشة البنية الثقافية والاستبدادية الشمولية... وأنّ «الإفريقيين وصلوا إلى طريق مسدود، فقد كانوا يزعمون أنهم يروّضون الطبيعة بواسطة رموزهم وطقوسهم السحرية»، ثم ينتهي ليقول: «نحتاج لترويض الطبيعة بالأدوات والمعاول!»، وترويض الطبيعة بالعمل والإنتاج لإعمار الأرض وإسعاد العباد هدفٌ ارتضاه الإسلام وحثّ على تحقيقه[١].

## العلاقة الاجتماعيّة بين الأرواحيين والمسلمين:

منذ أن دخل الإسلام إفريقيا عمل على تصحيح المفهومات والمعتقدات والقيم في المجتمعات الأرواحية وغيرها، «وصاغها في منظومة قِيَمه الربانية، فوجدت قبولاً واسعاً بين شعوب إفريقيا جنوب الصحراء، وانعكس ذلك جليّاً في نهضتها الاجتماعية، وتحرّرها من أغلال المحرمات (التابو)، وتعسّف القيم الإحيائية، وثقل الروابط العشائرية الطوطمية التي أثقلت خطاها وحالت دون نهضتها»[٢].

وبعد مجيء الإسلام إلى بوركينافاسو، في أواخر القرن ١٨ الميلادي، وانتشاره، بلغ المسلمون - وفقا لتعداد ٢٠٠٦م - (٥٣ ٪ - ٦٠ ٪) من السكان[٣]، ولتمسك بعض البوركينيين بعقيدتهم الأرواحية أصبح المجتمع منقسماً إلى: مسلمين، وهم الأكثرية، وأرواحيين.

وقد تصدّت الأرواحية للإسلام أول الأمر في هذا البلد، وحاربته بشكل عنيف، وبكلّ قوة[٤]، يقول الشيخ Touré - في ندوة أبيدجان سنة ١٩٦١م-: «إنّ جماعة Mossi في بوركينافاسو لم تكن تسمح بالصّلاة في واغادوغو، فإذا صلّى مسلمٌ ألزموه بأن يحمل معه التّراب الذي سجد عليه، كما كانوا يرفضون إعطاء المسلم وعاءً لكي يشرب»[٥].

هذا يدلّ على أنّ سكان بوركينافاسو في تلك الفترة التّاريخية لم يكونوا يميلون إلى الإسلام، «فقد رُوي أنّ رجلاً من قبيلة الموسي وعد تزويج ملكه الوثني من ابنته، قبل اعتناقه للإسلام، فلمّا أصبح هذا الرجل مسلماً حاول إقناع ملكه باعتناق الإسلام ليمكّنه من الزواج بالبنت التي وعده إيّاها، وأبلغ المسلم صاحبه الوثني أنّه لا يستطيع إعطاء ابنته إلى وثنيٍّ حتى ولو كان ملكاً، فأجاب الملك الوثنيّ قائلاً: إنّ التزاماته العرفية تحول دون اعتناق الإسلام. قائلاً: إنّ الفتيات الوثنيات يعتنقن ديانة أزواجهن المسلمين؛ فمن العدل أن تفعل الفتيات المسلمات نفس الشيء»[٦].

يتبين من هذا الحوار قوة تمسّك المسلمين بدينهم والتزامهم بأحكامه، فهذا المسلم رفض تزويج ابنته لملك لكونه وثنيّاً - اعتزازاً بدينه -؛ برغم ما كان من سابق وعدٍ منه بذلك قبل إسلامه، بل دعا هذا الملك إلى الإسلام.

وقد تحقّق للإسلام انتصاره على الأرواحية في كثير من مناطق بوركينافاسو، حيث ظلت الديانة الأرواحية تتمتع بشيء من النفوذ؛ ما دفع المسلمين إلى إنشاء أحياء وقرى جديدة خاصّة بهم، وبنوا فيها المساجد، وأسّسوا الزّوايا لحفظ القرآن وتلقين اللّغة العربية والعلوم الشّرعية لأبنائهم، وبهذا استمر المسلمون في هذا البلد في استقطاب بقية الأرواحيين[٧].

## ومن أسباب انتصار الإسلام على الأرواحية في تلك الفترة، نذكر منها:

١ - الإسلام ومبادئه القويمة: فهو دين الفطرة السليمة، وجدت فيه الأنفس التوافق التامّ، فاستجابت له، كما استجابت العقول لبالغ حكمته وسلامة منطقه في عقائده وأحكامه، كما أنه يتضمّن قِيَم الإنسانية الحقّة التي تحقّق كرامة الإنسان، والحرية الحقيقية التي تخلّصه من

(١) أ.د. مهدي ساتي: الإسلام والقيم الاجتماعية للجماعات الأرواحية في إفريقيا جنوب الصحراء، بحث منشور على الرابط: http://www.islam4africa.net/ar/more.php?cat_id=18&art_id=61

(٢) انظر: مهدي ساتي، مرجع سابق.

(٣) انظر: http://ar.wikipedia.org

(٤) المرجع نفسه، ص ١٥.

(٥) Vincent Monteil، مرجع سابق، ص ١٧.

(٦) Vincent M، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٧) عمر الماحي، مرجع سابق، ص ١٠٦.

الخوف ممـا يتوهّمه ويعتقـده في أرواحيةٍ لمصـادر قوى لا تملك لنفسها ضرّاً ولا نفعاً.

٢ – قـوة الإسـلام فـي مقاومـة الاسـتعمار وضـعف الأرواحية: انتبه المجتمع الأرواحيّ أمام الزحف الاستعماري المـزوّد بمعـدات متطـورة إلـى أنّ الأرواحيـة تعجـز عـن المقاومة، فكان لا بـد للأرواحية من البحث عن قوة أخرى، فاعتنقت دين الإسـلام لكي يفتح لها آفاقاً جديدة، وييسّـر لها الحصـول على تغيّـرات بنيوية جديدة وقوية تسـاعدها على التصـدي للزحف الاسـتعماري؛ ونلاحظ أنّ الاستعمار الأوروبي لمنطقة بوركينافاسو قد تسبّب بصفة غير مباشرة في نشـر الإسلام وتوسعه على حساب الأرواحيةً، ومما يؤكّد هـذا أنّ جلّ أبناء البلاد الذين وظّفهم الاسـتعمار في مهام دبلوماسية في شمال إفريقيا قد عادوا مسلمين[١].

٣ – الهجـرة الاقتصـادية لأبنـاء المنطقـة إلـى غانا، وغيرهـا مـن المناطق التي كان الإسـلام منتشـراً فيها في ذلك الوقت: عزّزت انتشـار الإسـلام في بوركينافاسـو؛ لأنّ المهاجريـن بعـد عودتهم إلى الوطن قامـوا جميعاً بالدعوة للإسلام.

٤ – صعوبة نقل طقوس الأرواحية: فالمقيمون من أبناء بوركينافاسـو في مملكـة غانا كان يصـعب عليهم – مثلاً – نقـل قبور الأجـداد المنتهكـة، والتماثيل التـي يعبدونها في الوطـن، إلى غانا، وفي غياب المذبح العائلي؛ لذلك ابتعدوا – لبعد المسـافة – عن الأرواحية شـيئاً فشـيئاً، حتى ترسّخ الإسـلام فيهم خـلال إقامتهم في غانا، وعـادوا إلى البلاد وهم يتعززون بالإسلام بوصفه قيمة يُحتذى بها[٢].

٥ – الإسـلام يسـمح بعقد زواج شـرعي خلافاً للزواج علـى الطريقـة الأرواحيـة: فغالبـاً مـا يتـزوّج المهاجر في بوركينافاسـو في تلك الفتـرة تبعاً لتقاليـد الأرواحية، لكنه بعـد عودتـه إلى غانا مـع زوجته يعقـد قرانه عليها حسـب الشعائر الإسلامية، وكذلك كان تعدد الزوجات في الإسلام عاملاً آخر لانتصـاره على حسـاب الأرواحيـة؛ برغم وجود هـذا العنصـر فـي منظومتهـا – حسـب قـول Joseph

(١) Vincent Mit، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) Jean Loui T ، مرجع سابق، ص ١٢٣.

Lounoual في سنة ١٩٦٠م–[٣].

## العلاقة الثقافية بين الأرواحيين والمسلمين:

على الرغم من أنّ نسبة ٦٠ ٪[٤] من سكان بوركينافاسو تعتنق الإسـلام؛ فـإنّ بعض الأعراف والتقاليـد القديمة لم تجتـث؛ لأنّ لهـا معانيها ودورها في الحيـاة اليومية، كما أنّ جذورهـا متأصلـة في نفوسـهم، فكان لا بد من صـراع بين القيـم التقليدية وبين القيم الإسـلامية، وتفاعـلٍ في بعض الجوانـب التـي يمكن التوفيق فيهـا بين الثقافـة البوركينية الموروثة وبين الثقافة الإسلامية الجديدة.

ولعلّ هذا كان سـبباً لما أطلق عليه البعض خطأً اسـم: (الإسـلام الأسود)؛ فالإسـلام فوق ذلك، كما أنّ ذلك فَهْمٌ قاصـرٌ لحقيقـة تفاعـل شخصـية الإفريقـي مع الإسـلام، ومنهجهـا الخاص فـي فهمه وممارسـته، بل موقـف الناس جميعاً في كلّ مكان، وقد صـوّر النبي صـلى الله عليه وسـلم

(٣) Jean Loui T ، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٤) John Baur: 2000 years 07 chrilianity in africa, Nairobi, pautesses, 1994,p 524.

ذلك فقال: (مثل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغَيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماءَ فنفع الله بها الناسَ فشربوا وسقَوا وزرعُوا، وأصابت منها طائفةً أخرى إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثَلُ مَن فقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعَلّم، ومثل مَن لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلت به)[1].

وما أدخله الناس على الإسلام من معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم لا يعدّ من الإسلام في شيء إلا إن كان موافقاً له، ولا يُسمّى الإسلام بهذا التوافق إسلاماً أبيض أو أسود، ولا أعجمياً ولا عربياً ولا بربرياً، ومن أحدث فيه ما ليس منه فهو ردّ؛ والإسلام له صبغته الربانية الخاصّة، كما قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨).

ومن الخطأ أيضاً ما زعمه بعضهم من أنّ الإسلام في إفريقيا عامّةً ليس له لون، كالماء لا لون له، وأنه يتخذ لون الأرض والحجارة - كما جاء في تعبير AmadeauhourpatéBa -[2].

**وقد خلط بعض البوركينيين العادات والتقاليد القديمة بالإسلام، ومن ذلك:**

**في الخطبة والزواج:**

- من عادات الزواج عند بيسا (bissa):

يعتبر الكرم في قبيلة بيسا وسيلة للزواج، فعندما يُكرم الشّاب شيباً يجازيه ببنت يتزوج بها، وهو أن يقوم المسؤول عن البنت بإعلان أسرة الشاب بأنّه أعطى ابنته لابنهم، فتقوم أسرة الشاب بمراسم الخطبة التي تتكوّن من الطبق والديك الأبيض والخروف والملح وجوز الكولا، فيُعطى قدرٌ من الخمر للأسلاف، ويُذبح الدّيك الأبيض ليطلبوا رأيهم في هذا الأمر، ويُرمى الدّيك بعد ذبحه، فإن وقع على ظهره وارتفعت قدماه إلى أعلى فهو دليل قبول الأسلاف، وإن وقع على أحد جانبيه أو على بطنه فهو دليل رفض الأسلاف للأمر.

وفي الحالة الأولى تُكسر رِجْلٌ واحدة، وبعد ذلك يأكل أبو الشاب وأبو البنت الديك، ويشربان الخمر، ويضعان الطبق - لا غيرهما -، وهذا يعتبر زواجاً مباشراً، وبعد القيام بهذا الواجب تعلن أسرة البنت لأفرادها - أو القرية - الأمر ليعلم الجميع، ثم يختارون يوماً ليأخذوا العروس في الليل، فترافقها امرأةٌ عجوز، وعند رجوعها تُعطى ثلاث غرغرة وكميّة من الحبوب لشيخ الأسرة، وبعد ذلك يتمّ توزيع الملح لإعلان أنّ البنت ذهبت إلى زوجها نهائيّاً.

وعلى الزوج الحذر من أن يشتم أبا البنت أو أمّها أثناء التخاصم؛ لأنّ هذا يعتبر شتماً للأسرة كلّها، وإن حصل ذلك تعود البنت إلى أهلها ولا ترجع أبداً، وإن حصل التخاصم دون شتم الوالدين ترجع إلى زوجها من جديد[3].

- من عادات الزواج عند الفولاته (peulh):

يعتبر ابن (العمّ والعمّة والخال والخالة) - من الفولانيين - أنّ البنت زوجة له، كما يعتقدون في الزواج بين البنت والابن بعد ولادة البنت بأسبوع، وعادةً يتمّ الزواج بين أسرة الابن وأسرة البنت دون علمهما؛ بما يشبه زواج الإكراه، وإذا علم أقران الزوج بالنّكاح يجبرون الزوج على الوليمة بشاة يذبحونها وراء القرية ويأكلونها.

**هناك اختلاف كبير بين العقيدتين، الإسلامية والأرواحية، في الجزاء، ومن ثمّ لا يُتصوّر التوفيق بينهما**

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلّم، ح (٧٩)، ومسلم كتاب الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهُدى والعلم، ح (٢٢٨٢).

(٢) Ba Amadeauhourpaté et Dieterlen (germaine) Kouneu texte initiatique des pasteurs peul: Paris, 1961, p 96.

(٣) توتا ماما دويانكيني: من الأسر الحاكمة في كادبوغو، غارا نغو (محافظة بولغو).

ومـن التقاليد أنّ المهر يكون بقرة أو بقرتين أو ثلاث – حسب اسـتطاعة الزوج–، ووالد الزّوجة يتصرف في نصف المهـر، وعنـد الطلاق تحتفـظ البنت بالمهر إذا كان سـوء التصـرف ناتجاً من الـزوج، وإذا كان من البنت يعود المهر إلى الرجل.

وبعد الزّواج يسـتمر الفرح والرقص أسبوعاً، ويذبحون فيهـا الأبقـار والخرفان والماعـز وغيرها، وبعـد الزواج لا يدخل الزوج على الزوجة إلاّ بعد نوم النّاس، ويسـتيقظ قبل اسـتيقاظهم، ويسـتمر هذا مدّة أيام معيّنة، وبعد الزواج لا تتكلم الزوجة مع الزوج إلاّ بعد ولادة ولدين أو ثلاثة.

وهذه العادات مستمرة إلى يومنا هذا[1].

ومن الفروق في عادات الزواج في بوركينافاسو:

– أنّ الزّواج في عادة الأرواحية يخصّ العائلة بالدرجة الأولى، في حين أنه في الإسلام يخصّ الزوجَين.

– عند مسـلمي بوركينافاسو يُعقد الزواج في المسجد، أمّا الطقوس المصاحبة له فهي بوركينية محضة، مثل توزيع جوز الكولا والمشروبات التقليدية.

## في تعدّد الزوجات:

تعـدّد الزوجات بـلا حـدّ معيّن عادة قديمـة كان عليها الآباء والأجداد؛ لأنّها كانت من الصـفات الرجوليّة آنذاك، وهي عادة وراثيّة إلى يومنا.

ويلاحظ حتى هذه الأيام تجاوز بعض المسلمين للزواج بأربع؛ برغم أنّ الإسـلام حدّد لنا أربع زوجات مع شـروط، وهـذا دليل واضـح على غلبة العـادة الأرواحيّـة على تعاليم الإسلام، فأغلب الرجال لا يلتزمون بحدود الإسلام في تعدد الزوجات، ويطبقّون ما كان عليه أجدادهم وآباؤهم، وأحياناً تفرض العادات على الرجل التعدد، مثلاً إذا توفّي واحدٌ من الأسرة وترك زوجاته؛ فعلى رجال الأسرة أن يتقاسموا فيما بينهم الأرامل؛ لأنّ الأرملة في العادة لا تبقى معلّقة[2].

## في تسمية المولود:

وفي تّسـمية المولود كذلك هنـاك ازدواجية، حيث تعتبر التّسـمية في العادة والتّقليد تطهيراً للمولود (ة)، وذلك أنّه في يوم الولادة يعلن أنّ فلانة زوجة فلان أنجبت، وفي اليوم السـابع يقيمون حفلة التسـمية، فيعطون للمولود (ة) اسماً، ويحلقون شـعره، ويكون الاسـم فـي الغالب عربيّـاً وإن كان نطقه محرفاً نوعاً ما، وأحياناً يُضـاف إلى الاسم الإسلامي اسماً تقليديّاً، أما اللقب فيبقى بوركينيّاً محضاً.

أما طقوس التسـمية فـي القديم فكانت تتطلب شـرب الخمر وعصـير الحبـوب وأكل الخروف وجـوز الكولا، وبعد مجيء الإسـلام نلاحظ أنّ هـذه العادة لم تتغيّـر، إلاّ أنّهم ألغـوا الخمـر فقـط[3]، فالبوركينيـون المسـلمون يذبحون خروفاً في مناسـبة تسـمية المولود، وهي سنّة في الإسلام، أمّا الطقوس المصاحبة لها فهي عادة بوركينية.

## في الختان:

بعد التسمية إذا كان المولود ذكراً يقومون بختانه، وإذا كانت بنتاً يقومون بخفضـها، ولنعلـم أنّ هذه الطقوس تُقام علـى ابن أو ابنة المرأة المتزوجة في شـرع العادة والتقليد، فلا تُقام على ابن الزنا.

ويعطى الشيخ دور ختان الأولاد، أما الطقوس المصاحبة لهذه العملية فلا علاقة لها بالإسـلام، وفي مستوى «خفض» البنات؛ فالعملية تتم في جوٍّ تقليديٍّ بوركينيّ[4].

ويبـدو أنّ هـذه الظاهـرة ليسـت مقصـورة علـى بوركينافاسـو فقط، بل في إفريقيا السوداء بصفة عامّة، إذ نجدها كذلك في مناطق أخرى من العالم.

وعلـى هـذا؛ فـإنّ بعض المظاهـر الاجتماعيـة ظلّت تمارس بصـورة فيهـا مزاوجة بين الإسـلام والأرواحية في بعض العقائـد والتقاليد المصـاحبة في عمليـة ازدواجية وثنائية؛ ما يدلّ على جهل بعض المسـلمين بدينهم وضـعف تمسّكهم بأحكامه.

كلّ هـذه الأمثلـة تؤكّد مـدى حرص بعض المجتمعات علـى ما كان سـائداً من عـادات وتقاليـد، ﴿... إِنَّـا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣)، لعدم فهمهم العميق للإسـلام، وهـو ما جعل البعض يخطئ

(١) الشيخ علي سيسي: إمام وخطيب مسجد حمد الله، واغادوغو.

(٢) عبد النّور ويدراوغو: معلم كتابي، في قطاع رقم ١٠ لارلي، واغادوغو.

(٣) إبراهيم كومباوري: إمام في مسجد موغو نابا – واغادوغو.

(٤) حسن جالو، مرجع سابق، ص ٤٧.

في الادعاء، مثل: Ba Amadeauhampaté، أنه يوجد (إسلام أسود) متميّز عن الإسلام في المشرق.. متكيّف مع الخصوصيات النفسية لدى السودان[١]؛ فإنّ ممارسة ما يخالف الإسلام من عادات وتقاليد لا يعدّ من الإسلام في شيء.

والمجتمع البوركيني لا يختلف عن غيره في التدين[٢]، إذ أنّه ليس هناك مجال في التدين لما يسمّى (لوحة فارغة)، تظلّ تنتظر حتى يأتي دين جديد فيشغلها، بل كلّ اللوحات مشغولة، والدّين الجديد يشهد صراعاً بين عقائده والعقائد السّابقة له، ولكي يجد الدّين الجديد آذاناً صاغية له فلا بد من أن يكلم النّاس بما يعرفون من قيم وبما يفهمون من لغة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ (إبراهيم : ٤)، وهذا لا يتأتى إلا عندما يؤخذ بعين الاعتبار كلّ ما كان سائداً من لغة وشعائر وطقوس، فيعمل الدين الجديد على إزالة ما غشي الفطرة بتوجيه النداء الرباني إليها، وما حجب العقول عن الإدراك السليم بسلامة المنطق وقوة الحجّة والبرهان، وتعديل السلوك بالقيم السامية النبيلة؛ فيضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ويعزز ما كان سائداً مما يتوافق معه، وقد كان ذلك شأن الإسلام في البيئات التي انتشر فيها، وبخاصة إفريقيا، ولم يكن غربها وبوركينافاسو بمعزل عن ذلك.

### والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا ظلّ بعض الناس في بوركينافاسو متمسكين ببعض طقوس الأرواحية رغم دخولهم في الإسلام عن اقتناع؟

لطالما ظنّ بعض الدّارسين أنّ ممارسة بعض عامّة المسلمين – جهلاً – لبعض طقوس الأرواحية في المظاهر الاجتماعية تدّل على عدم اعتراض الإسلام على التّوفيق مع الأرواحيّة، وهذا ليس بصحيح، وقد رأينا – سالفاً – أنّه لا شيء يجمع بين عقيدة الإسلام ومعتقدات الأرواحية.

ومنها ما يراه البعض من «أنّ قبول الإسلام في بوركينافاسو يدلّ على أنّه كان استجابة عملية لحاجات المجتمعات البوركينية ومصالحها في ظروف تاريخية محددة»[٣].

وذهب بعضهم إلى أنّ بساطة العقيدة وتسامحها هما ما جعل الإنسان الإفريقي يسعى إليها، وهذا هو الحقّ الذي تؤكده استجابة الإنسان للإسلام، ليس في إفريقيا وحدها، بل في كلّ أنحاء المعمورة، وقد تأتي بعد ذلك بعض العوامل والأسباب الإضافية، مثل ما وجدوه في الإسلام من الأمن والطمأنينة والشعور بالكرامة في مواجهة الخوف من العبودية، وما وجدوه من مبادئ العدل والحرية التي تجعلهم متساوين مع غيرهم من النّاس؛ حسب قول Massignon في سنة ١٩٣٨م[٤].

### موقف الإسلام من الأرواحية:

نسوق في خاتمة البحث ملخصاً لما قدّمه البروفيسور مهدي ساتي من موقف الإسلام من الأرواحية[٥]:

– استطاع الإسلام تحرير المجتمع من كثيرٍ من القيم الاجتماعية الأرواحية وممنوعاتها (تابو)، مثل: (تابو العلاقات الجنسية) بين الرجل وزوجته آخر أيام الحمل، والذي حرمته الأرواحية لمدة قد تستمر لسنتين كاملتين أو أكثر بعد الولادة.

– تصدّى لما اعتبرته الأرواحية من تعثّر المرأة عند الولادة دليلاً على ارتكابها خطيئة كالزنا، فجعل المرأة التي تموت في هذه الظروف الحرجة شهيدة .

– أعاد الإسلام بناء النظام الاجتماعي عند القبائل الإفريقية على نسق يحقّق التكافل والتراحم بين الناس؛ فأوجب صلة الأرحام بين الأحياء؛ حيث لا يدخل الجنّة قاطع رحم.

– جرّد الإسلام الأموات من إمكانات النفع والضرر، واستوجب لهم الدعاء بالمغفرة، كما جعل لأجسادهم حرمة خاصّة، وجعل علاقة الأحياء بالأموات علاقة تعاطف ومحبة؛ لا علاقة توجّس ورهبة كما في الديانات

(١) Les musulmansd›afrique noir ، مرجع سابق، ص ٤٠٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٠.

(٣) مركز دراسات الوحدة العربية: العرب وإفريقيا، منتدى الفكر العربي، ط مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٤، ص ٨.

(٤) Triaud (J.L) Islam et sociétés Soudanaises au moyen âges, Ouagadougou, 1973, p 232.

(٥) أ.د. مهدي ساتي، مرجع سابق.

الأرواحية القديمة.

– أوجد الإسلام قيماً اجتماعية تخالف ما كان سائداً من احتقار بعض الحِرَف، كالحدادة والدباغة، حتى كان التعامل مع محترفي هذه المهن ضرباً من المكروهات، والتزاوج بهم ضرباً من (التابو)، فأزال هذه الموانع الاجتماعية، بل جعل من الحِرَف اليدوية على اختلافها حِرَفاً مباركة.

– شكّل شرب الخمر في المجتمعات الأرواحية ظاهرة اجتماعية عقائدية، حيث كان شرب الخمر حتى حدّ السكر فرضاً دينيّاً على الطاعنين في السنّ؛ فحرّمها الإسلام.

– أسّس الإسلام لقيم الكرم والضيافة، فصار الكرم سمة لمجتمعات المسلمين، ومكّنت لها أعياد المسلمين ومواسمهم واجتماعاتهم في رمضان، واتسعت ظاهرة تقديم الطعام واستضافة الغرباء في المساجد والمنازل، وانتقل الإسلام بهذه القيمة الاجتماعية إلى آفاقٍ عالمية أرحب، تمثّلت في تعاطف المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء مع المسلمين القادمين للحجّ من شتّى بقاع العالم.

– أولى الإسلام المرأة خصوصية عن طريق تصديه للقيم والأعراف التي حالت دون تحقيقها لحريتها، وضمانها لحقوقها المادية والاعتبارية، حيث قضت قيم الميراث الأرواحية بحرمان المرأة من وراثة الأموال، كما في مجتمعات (الهوتنتوت) على سبيل المثال، كان الإرث حقّاً للذكور دون الإناث، وذلك في سائر الأموال والممتلكات، وبالإسلام صار للمرأة الحقّ الشرعيّ في ذلك.

– عزز الإسلام قيم (الاعتداد بالنفس) في أوساط الأرواحيين، وقد لاحظ ذلك بعض الرحالة والدارسين، ذلك أنّ معظم الشعوب في إفريقيا السوداء كانت تنظر إلى (البيض) باعتبارهم آلهة أو أنصاف آلهة، خصوصاً في الأيام الأولى لقدوم المستعمرين، غير أنّ المراقبين والإداريين لاحظوا في مجتمعات الإفريقيين ظاهرة اعتداد المسلمين الإفريقيين بأنفسهم، ونظرتهم الواقعية للبيض من واقع ثقافتهم الإسلامية، بوصفهم بشراً عاديين لا يفوقونهم بشيء يوجب الخضوع، واستشهد هؤلاء الإداريون باعتداد الصوماليين والفلانيين بأنفسهم أمام البيض على وجه الخصوص، في المناسبات السلطانية الاحتفائية،

**بعض المجتمعات الإفريقية وغيرها، من الذين اعتنقوا الإسلام، ما زالوا يحتفظون ببعض طقوسهم الدينية وعاداتهم القديمة**

كالدخول على السلاطين والأمراء، وقد ذكر الرحالة البكري كيف أنّ الداخل على السلطان في تلك المجتمعات يدخل حبواً، وقد وضع بعض التراب على رأسه؛ دليلاً على الاستكانة والطاعة، بينما اكتفى المسلمون عند تحية الملك بالتصفيق!

– أدى تقديس الأمراء والملوك إلى إذلال الشعوب، عبر تقديم القرابين والضحايا البشرية لهم، وقد أوحت الأرواحية لمعتنقيها ضرورة الوفاء لملوكهم وزعمائهم بما لا يوافق الفطرة السليمة، فظهرت في أوساطهم – كما عند اليوربا – مراسم (الانتحار النبيل)، وهو مما يدخل في مفهوم (القتل الطقسي) عند الأنثروبولوجيين المحدثين، حيث يلحق بعض الأحياء بملكهم المتوفّى تعبيراً عن الوفاء، فحرّم الإسلام ذلك لكونه إهداراً للنفس والمال.

– لقد كان لقاء الإسلام بالقيم الأرواحية لقاء تاريخيّاً استغرق زمناً طويلاً، واقتضى التقويم فيه حكمة وصبراً كبيرين، فقد أدرك الإسلام نيات الأرواحيين ومقاصدهم في تخيّرهم لأعرافهم وقيمهم، فأبقى منها ما رأى فيه منفعة لا تصادم الشرع، وأزال ما دون ذلك في تأنٍ وتؤدة ■

# الفلانيّون.. الشعب واللغة

د. علي يعقوب
أستاذ اللغة العربية المشارك بكلية اللغة العربية – الجامعة الإسلامية بالنيجر

من الشعوب الإفريقية الإسلامية التي لعبت دوراً مهمّاً في نشر الإسلام واللغة العربية في غرب القارة، وخصوصاً في القرن التاسع عشر الميلادي، الشعب الفلاني أو (الفلانيّون)، وهذا ما أكسبهم شهرة في داخل القارة الإفريقية وخارجها، وهو ما دفع بالباحثين المحليين وغيرهم للاهتمام بهم من حيث الأصل، والانتماء العرقي، ودورهم في نشر الإسلام.

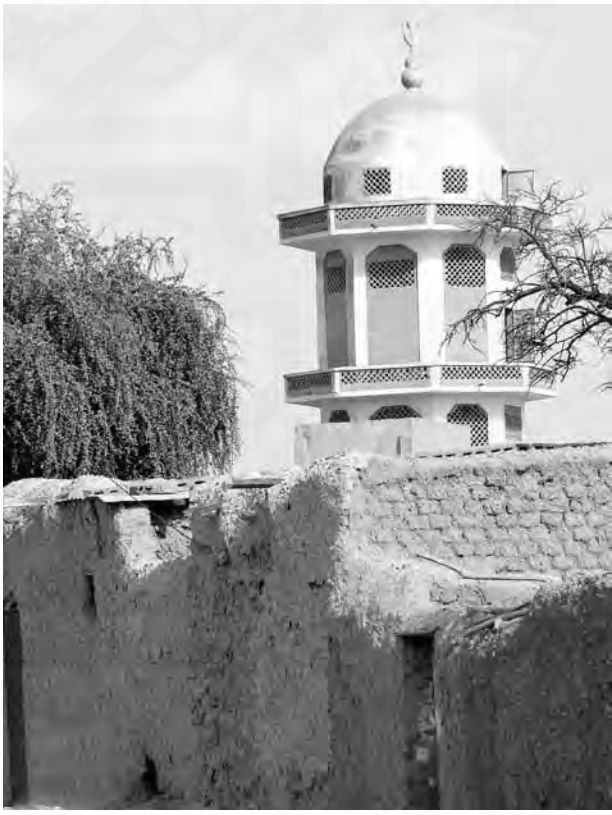

تشـعّبت أقوال الباحثين وتضاربت في أصلهم؛ فنجد بعض الباحثين ينسبونهم إلى أصولٍ عربية، بينما ينسبهم آخرون إلى أصـولٍ يهودية، وبعضـهم ينسـبهم إلى أصـول فرعونية.. وغير ذلك.

وجـلّ الأقـوال والآراء التـي وردت حـول أصـلهم ليسـت مبنيـة على أدلـة علميةٍ مقنعة، فبعضٌ منهـا عبارة عن خرافات وأسـاطير، وبخاصةٍ أقوال بعض الكتّاب الفلانيّين الذين يكتبون بالعاطفة التي تغمض العين، وتعقد اللسان، وتكبّل اليد عن الحقّ في مجال البحث العلمي.

ونريد في هذه المقالة الموجزة أن نناقش قضـية أصـلهم، ونعرض موطنهم وفروعهم، ولغتهم من حيـث انتمائها اللغوي، وبعض خصائصـها، بالإضـافة إلى عرضٍ سـريع لأهـمّ الدول الإسلامية التي أسّسوها[1].

(١) أمّا ما يخصّ نشرهم للإسلام؛ فقد كُتب فيه الكثير، مثل: كتاب (الإسلام في نيجيريا)، و (الشيخ عثمان بن فوديو) للشيخ آدم

## أصل الفلانيّين:

لقـد اختلفـت أقوال علمـاء الأجناس والآثـار والمؤرخين واللغويـين وآراؤهـم حـول مسـألة (أصـل الفلانيّـين)، قديماً وحديثـاً، ولم يتوصـلوا إلى قولٍ مقنعٍ علميّاً يُعتمد عليه (حسـب علمنا).

ويمكن إجمال آرائهم وأقوالهم في الآتي:

### ١ - أنهم طائفة من بني إسرائيل (اليهود):

انتقلـوا من طور سـيناء، فنـزلوا تـورو (Tourou) في حوض السـنغال، جاء في رسالة (مسألة أصل الفلانيّين) للشيخ عبـدالله بن فوديو أخو الشـيخ عثمان بن فوديو: «اعلم أنّ أصـل الفلانيّـين كلهم من طور سـيناء، فمـا زالوا ينتقلـون من مكانٍ إلـى مكانٍ، إلى أقصـى المغرب، وإلى ما شـاء الله»[2]، نلاحظ أنّ الشـيخ عبدالله لم يحدّد تاريخ هجرتهم من طور سـيناء إلى أقصـى المغرب، وقد علّل سبب هجرتهم بقوله: «لأنهم أصحاب الانتقال»[3]، ولم يزد على ذلك.

ويعلل بعض الباحثين كون أصـلهم من (اليهـود)[4] بأنهم يحبّون البقرة مثل حبّ اليهود للبقرة، حتى عبدوها في زمن نبيّ الله موسـى عليه السلام، وهذا القول لا يستند إلى دليل ملموسٍ مقبـول، وهو مبنـيٌّ على تعليـلات لا تثبت أمام البحـث العلميّ؛ لانعـدام المصـدر التاريخيّ والسـند الموثوق بهما، ثـم إنّ حبّ بني إسـرائيل للبقرة حالةٌ خاصّـةٌ بأتباع السامريّ الذين عبدوا العجل لمّا ذهب موسـى عليه السلام لميقات ربّه عز وجل، ومن باب أولى - للقائلين بهذا الرأي - لو أرجعوا أصل الفلانيّين إلى الهنود الذين أحبّوا البقرة حتى عبدوها وألّهوها!

### ٢ - أنهم من الروم: قال الشيخ عبدالله بن فوديو:

«وأصـلهم - فيمـا نسـمع - مـن نصـارى الروم، وصـلت

الإلوري، و (إمبراطورية الفلانيين الإسلامية) للدكتور إبراهيم طرخان، و (الثقافة الإسلامية في الغرب الإفريقي) للدكتور عمر باه، وسنتطرق في هذا المقال لهذا الموضوع قليلاً؛ لأنه سبق أن نشرنا دراسات عن بعض دولهم في مجلة (قراءات إفريقية).

(٢) الشيخ عبدالله بن فوديو: مسألة أصل الفلانيين، مخطوطة في مكتبة الباحث، ورقة ١.

(٣) المصدر السابق، ورقة ١.

(٤) انظر: محمد بللو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، طبعة ٢ - ١٩٦٤م - بمطابع دار الشعب - مصر، ص ٢٢٥.

إليهم جيوش الصحابة، فآمن ملكهم، وتزوّج ابنته عقبةُ بن عامر المجاهد الصحابيّ أمير الغرب[١]، فولد (قبيلة فلان) المشهورة، وجدّهم الرومي: عيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله»[٢]، ورجّح الوزير جنيد هذا القول؛ حيث قال: «والأصحّ أنهم من: روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، نزلوا بجنب البحر، وجاوروا اليهود الذين في الجزائر...»[٣]، وهذا التصحيح يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة، والأدلة العلمية المقنعة.

### ٣ - أنهم من أصول ترجع إلى مصر القديمة:

أي من الفراعنة والنوبة أو الحبشة، ويستند أصحاب هذا الرأي إلى: تشابه الملامح، وطبيعة العادات والتقاليد، عند الفلانيّين وقبائل النوبة في جنوب مصر وشمال السودان والحبشة[٤].

### ٤ - أنهم مجموعة من الحِمْيَريّين:

الذين سكنوا مناطق شرق إفريقيا، ثم هاجروا شمالاً مخترقين مصر، واتجهوا غرباً إلى أن وصلوا (مملكة التكرور)، واختلطوا بالسكان المحليين، وظهر الفلانيّون كجنس من هذا الاختلاط[٥]، لكن لم يذكر لنا أصحاب هذا القول متى كانت هذه الهجرة؟ ولماذا؟

### ٥ - أنهم من سلالة التابعي الجليل:

عقبة بن نافع الفهري (أي من العرب)[٦]: وذلك أنّ عقبة بن نافع لما فتح منطقة حوض السنغال (تورو)، وأدخل أهلها في الإسلام، طلب منه أمير البلاد أن يقيم معهم ليعلّمهم الدين، فقبل ذلك، ثم تزوّج من ابنة الأمير التي تُسمّى: (بج منغو Bajjo Mango)، فأنجبت له أربعة أولاد، هم:

١ - دعْتَ جَلْ.
٢ - آس سُه.
٣ - واي بَر.
٤ - رعرب بَه.

وقبائل الفلان كلّها راجعة إلى هؤلاء الأربعة!

ولمّا شبّ أبناؤه تكلموا بغير لسان أمّهم وأبيهم، وهو اللسان الفلاني، ومنهم انحدرت جلّ قبائل الفلان.

ولإثبات هذه الرواية لا بد من بحث جاد ودقيق؛ لأنه من المعلوم أنّ إنجاب المرأة أربعة أبناء يتطلب إقامة الزوج في مكان الزواج مدة لا تقلّ عن أربع سنين على أقلّ تقدير، وهل مكث عقبة بن نافع في تلك النواحي مدة أربع سنوات على الأقل؟ وهو من صغار الصحابة - كما قيل -، أو من كبار التابعين، وقائد مشهور، وتاريخ فتوحاته مدوّن بالأسانيد في كتب التاريخ الإسلامي، وهل وصل عقبة إلى منطقة (فوتا تورو) بالفعل؟ لو حدث ذلك لدوّنته المصادر التاريخية مثلما دوّنت مقتله في بسكرة في الجزائر، وفتوحاته في شمال إفريقيا وجنوب ليبيا وشمال شرق النيجر، وتأسيسه لمدينة القيروان.. وغير ذلك، فكيف تحفظ المصادر التاريخية كلّ هذه الحوادث ولم تحفظ قضية زواجه في منطقة (فوتا) بالسنغال وإنجابه أربعة أبناء؟! ولم تنقل لنا المصادر كذلك أيّ أثر عُزي إليه في المنطقة، فإذا كانت تلك المصادر تذكر أموراً أقلّ أهمية من هذه؛ فكان الأحرى بها أن تذكر مثل هذه الحادثة!

لعلّ السبب في مثل هذه الروايات والأقوال في المصادر التاريخية المحليّة - في غرب إفريقيا - هو محاولة شعوبها المسلمة ربط أصولهم البعيدة بالشرق أو بالعرب؛ بسبب حماسهم لعقيدتهم الإسلامية، وحرصهم على الانتماء إلى الأصول الشرقية العربية بوصفها مصدر الإسلام، وإلا فجلّ القبائل الإفريقية موجودة قبل الإسلام في مناطقهم، ولهم علاقات تجارية بدول الجوار، وبخاصة دول شمال إفريقيا، ولمّا دخل تجار العرب ودعاتهم إلى إفريقيا للتجارة والدعوة وجدوا قبائل الفلانيّين وغيرهم من القبائل الإفريقية، وتبادلوا معهم التجارة، ودعوهم إلى الإسلام، فأسلم مَن أسلم منهم طوعاً.

---

(١) المقصود بالغرب: جهة المغرب.

(٢) انظر: (إيداع النسوخ في مَن أخذت عنه من الشيوخ)، ضمن كتاب: (أوراق عربية من صكتو)، أحمد البدوي، ط٢ - ١٩٩١م، جامعة قاريونس بنغازي، ص ٦٩.

(٣) الوزير جنيد: (ضبط الملتقطات)، مخطوط في مكتبة الباحث، ورقة ٦، ولم يعيّن الجزائر التي يقصدها وأين تقع؟!

(٤) Boubou hama, contribution Ala connaissance .de l, histoire des peul, 1968, p 42
ويؤيد هذا الرأي الشيخ أنتا جوب السنغالي.

(٥) د. محمد بدين: الفلاته والفلانيّون في السودان، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، ص ٢٤، بتصرف.

(٦) وعلى هذا الرأي أغلب المؤرخين الفلانيّين، مثل: عبدالله بن فوديو، والوزير جنيد، بل رجّح ألفا هاشم أنه: (عقبة بن نافع)، والبعض يقولون هو: (عقبة بن عامر الجهني)، وقيل: (عقبة بن ياسر)، ولم يثبت في كتب تراجم الصحابة دخولهما أراضي المغرب.

**الأقوال والآراء التي وردت حول أصل الفلانيين ليست مبنية على أدلةٍ علميةٍ مقنعةٍ**

ومن الملاحظ أنّ كلّ هذه الآراء تتفق على شيءٍ واحدٍ، وهو أنّ أصولهم ليست زنجية، وإنما هم مجموعة مهاجرة إلى المنطقة، ثم اختلطت بالسكان الأصليين.

هذا ما رجّحه إبراهيم طرخان[١]، حيث قال: «ومن المحقّق الذي لا شك فيه: أنّ الفلانيّين ليسوا زنوجاً، ولكنهم متزنّجون نتيجة الاختلاط العميق بالزنوج... أصبح الفلانيّ يحمل طابعَيْن مميزَيْن: الطابع الزنجيّ من حيث اللون، وطابع الجنس الأبيض من حيث التقاطيع».

### لفظ (الفلاني)، وصوره المختلفة:

اشتهر الفلانيّون بأسماء مختلفة لدى الشعوب:

- فهم يُطلقون على أنفسهم اسم: (بلّو Pollo) للمفرد، و (فلبي follbe) للجمع.
- وبعض السنغاليين يستخدمون: (هال بلاري Polare hal).
- وعند قبائل المندنغو يستخدمون: (فلا Fola).
- وعند الفرنسيين: (بيل Peul).
- وعند الإنجليز: (فلاني Fullani)، وكذلك الهوسا.
- وعند (سنغي / زرما) في النيجر ومالي: (فلن Follan)
- وعند قبائل (موسي Mossi) في بوركينافاسو: (سلميغا Silmiiga).

(١) انظر: إمبراطورية الفلانيين الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض (الملك سعود)، المجلد ٦، عام ١٩٧٩م، ص ١٠٠.

- وعند العرب: (فلاني) أو (فلاته)[٢].

### موطن الفلانيين الأصلي بإفريقيا:

إنّ تحديد موطن الفلانيّين الأصلي يثير مشكلة أخرى مثل التي أثارتها أصولهم؛ وذلك بسبب طبيعتهم المعروفة، وهي كثرة التنقل للرعي، وكذلك بسبب كثرة هجراتهم، وامتداد مساكنهم في مساحات شاسعة في غرب إفريقيا ووسطها وشرقها.

ويُعتقد أنّ الموطن الأصلي للفلانيّين كان في: (فوتا تورو) على نهر السنغال، ومن هناك انتشروا في غرب إفريقيا ووسطها وشرقها (جمهورية السودان بالتحديد)[٣]؛ بسبب هجراتهم المتتالية نحو الشرق للحجّ أو غيره.

ولكنهم يتمركزون بأعداد كثيرة في: (السنغال، وجنوب موريتانيا، ومالي، وغينيا كوناكري، وغينيا بيساو، وغامبيا، وبوركينافاسو، والنيجر، وشمال نيجيريا، والكاميرون).

ولهم وجود مكثف في: (تشاد، وإفريقيا الوسطى، والسودان، وشمال بنين، وتوغو، وغانا).

ينقل الدكتور الأمين أبو منقه[٤] إجماع المؤرخين واللغويين القدامى والمحدثين[٥] على أنّ الموطن الأمّ للفلانيّين في إفريقيا يقع في منطقة (فوتا تورو) بالقرب من حوض النيجر الأوسط، ومن هناك بدأت هجراتهم نحو الشرق والجنوب، واستمرت خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديّين.

ويقول بعض الباحثين: «ومع كثرة الروايات عن أصلهم وموطنهم الذي جاؤوا منه لا يمكن معه القطع على وجه اليقين بذلك، إلا أنه لا يوجد شكّ في أنهم - لأكثر من ألف سنة خلت - قد تركّزوا وانتشروا في السودان الغربي، غير بعيد عن شواطئ المحيط الأطلسي»[٦].

الترجيح في هذه القضية يحتاج إلى بحوث مستقلة؛ بسبب تداخل المسائل فيها، وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى (اللغة الفلانيّة) سنجدها بعيدة كلّ البعد عن (اللغات الساميّة)؛ مما

(٢) انظر: غورو انجاي: معجم عربي - فلاني، رسالة ماجستير بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية - عام ١٩٩٩م، ص ٤٢، بتصرف.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩.

(٤) انظر: صوتيات لغات الشعوب الإسلامية (الهوسا، والفلاني، والسواحلية)، طبعة الإيسيسكو - ١٩٩٩م، ص ١٨.

(٥) ولكن لم يذكر لنا أسماءهم.

(٦) انظر: الغرابة، ط١ ١٩٩٨م، ص ١٣٢م.

يبعد كون أصولهم ساميّة، اللهم إلا أن يكونوا تخلّوا عن لغتهم الأصلية، وتبنّوا في محلّها لغة السكان الأصليين بالمنطقة وهويتهم.

### فروع الفلانيّين:

للفلانيّين فروع كثيرة، ويمكن إجمالها في ستة فروع رئيسة، حسب مناطقهم ولهجاتهم:

١ - **الفلانيّون السنغاليون:** وهم المعروفون باسم: (فلان فوتا تورو)، أو (التكرور)، وموزّعون بين: (السنغال، وموريتانيا، وغامبيا).

٢ - **الفلانيّون الغينيون:** ويُعرفون باسم: (فلان فوتا جلو)، وهم موزّعون بين: (غينيا كوناكري، وسيراليون، وغينيا بيساو).

٣ - **الفلانيّون في منطقة:** (ماسينا Massina) و (نيورو gnorou) في جمهورية مالي.

٤ - **الفلانيّون في منطقة:** (ليبتاكو غورما وجلغوجي Liptako gorma djelgodji): وهي منطقة موزعة بين: (غرب النيجر وجنوبها، وشمال بوركينافاسو وشرقها).

٥ - **الفلانيّون في:** (شمال نيجيريا، وشرق النيجر، وشمال بنين).

٦ - **الفلانيّون في منطقة:** (أدماوا Adamawa): وهم موزّعون في: (جنوب شرق نيجيريا، وشمال الكاميرون، ويمتدون إلى إفريقيا الوسطى، وتشاد، والسودان).

### فرع الفلانيّين شبه المستقل:

هناك فرع من الفلانيّين شبه مستقل بعاداته وتقاليده، حتى دينه، عن باقي الفروع، وهي قبائل: (برورو Bororo) أو (ودابى Wodabe).

وتقطن قبائل هذا الفرع في شمال شرق جمهورية النيجر، وهم رعاة متنقلون بمواشيهم، ولا يدينون بدين، ولا يدرسون أية دراسة، وقد هاجر بعضهم بسبب قلّة الأمطار من مناطقهم الأصلية في النيجر إلى: (نيجيريا، والكاميرون، وتشاد، والسودان)[١].

**قام الفلانيّون بدورٍ كبير في مجال الدعوة إلى الإسلام ونشره في السودان الغربي، وفي إصلاح عقائد المسلمين وتنقيتها مما علق بها من شوائب الجاهلية**

### اللغة الفلانية:

إنّ سعة المساحة الجغرافية التي تنتشر فيها اللغة الفلانية أدّت إلى تعدّد لهجاتها، والشقّة بين بعض لهجات اللغة الفلانية واسعة للغاية، قد تصل إلى الإعاقة الكاملة للتفاهم المتبادل، وذلك حسب سعة المسافة التي تفصل بينها، وربما لا يستطيع فلانيو النيجر التفاهم الجيد مع فلانيّ غينيا أو الكاميرون.

### انتماؤها اللغوي:

يطلق الفلانيون على لغتهم: (فلفلدي Fulfulde).

ويرى بعض الباحثين أنّ أول عالم لغوي حاول تصنيف اللغة الفلانية هو العالم الألماني (مينهو MIANHOF).

وقد ذهب (مينهو) إلى أنّ اللغة الفلانية من اللغات ذات الأثر الحاميّ؛ أي أنها من اللغات (النيلو - حامية)[٢]، وصنفها البعض ضمن مجموعة (الكونغو – النيجر)، ومجموعة (الكونغو – النيجر) هي أكبر المجموعات اللغوية في إفريقيا السوداء، وتنقسم إلى عدة فصائل منها: (الفصيلة الأطلسية الغربية، والفصيلة البنوي - النيجر).

وتندرج اللغة الفلانية تحت فصائل (اللغات الأطلسية الغربية) التي تجمع عدة لغات، منها: (الولف، والسيرير)، وهذا ما رجّحه العالم اللغوي الفلاني النيجيري د. إبراهيم مكوشي[٣].

---

(١) قد بدؤوا في السنوات الأخيرة يُدخلون أبناءهم في المدارس، وأسلم الكثير منهم، وتنصّر بعضهم بسبب الإرساليات المسيحية التي تركز عليهم، وتحفر لهم الآبار في مراعيهم!!

(٢) غورو انجاي، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٣) IBRAHIM MUKOSHY. THE SOUND AND MORPHEMES OF FULFULDE. 1988. p 12.

## من خصائص اللغة الفلانية الصوتية والصرفية والدلالية والنحوية:

للغة الفلانية خصائص كثيرة، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١ - أنها لغة تنغيمية: فللتنغيم فيها دور كبير من الناحية الوظيفية، وبه نستطيع التمييز بين اللهجات الفلانية المختلفة، ويكون التنغيم في اللغة الفلانية صاعداً أو مستوياً أو هابطاً[١]، وذلك حسب المواقف الكلامية والأحوال الاقتضائية.

٢ - تشابه الفلانية اللغة العربية كثيراً في الاشتقاقات:

فمثلاً كلمة: (كتب) في اللغة العربية يُشتقّ منها: (كاتب، مكتب)، وفي اللغة الفلانية نجد شبيه هذا الاشتقاق: (كتب: أوندي oowindi، (كاتب: بندوو bindowoo)، (مكتب: وِنْدِردي windirde).

٣ - تعتمد في توليد المعاني على التغييرات داخل جذور كلماتها: بالزيادة والحذف، وحسب الغرض الدلالي.

٤ - تنظر إلى الكائنات من حيث أنها حيّة أو غير حيّة، ومن حيث حجمها وشكلها أو ملمسها، والمادة التي صُنعت منها إذا كانت مصنوعة، وتقسمها إلى مجموعات وفق ذلك:

مثل: مجموعة الآدميين، ومجموعة المادة السائلة، ومجموعة الأشياء الخشنة، كلّ مجموعة لها مميزاتها الصرفية والدلالية الخاصة بها، وهي عبارة عن أزواج من المورفيمات في شكل سوابق (preflex) ولواحق (suffixes) تلحق الكلمات، كلّ زوج يختص بصيغتي المفرد والجمع، وتُشتق منها الضمائر وأسماء الإشارة، وبعض العناصر الصرفية والنحوية الأخرى[٢].

٥ - أنّ اللغة الفلانية تعبّر عن الوظائف النحوية:

فمثلاً كلمة: (أنا) في اللغة الفلانية (مِنْ min)، وإذا أردت أن تقول: (نحن) تضيف نوناً أخرى بين الميم والنون، وتقول: (مِنْنْ minen).

وكذلك في الأفعال، مثل: (فعَلْتُ) في اللغة الفلانية: (موَطي)، وإذا أردت أن تقول: (فعلنا) تضيف كافاً مفخمة (ga)، فتقول: (مِنْكَطي mingadi).

٦ - والفاعل دائماً يأتي قبل الفعل: ولا يأتي الفعل في مقدمة الجملة إلا نادراً (أي أنّ معظم جملها اسمية).

٧ - وإذا أريد تعريف كلمة توضع أداة لاحقة للتعريف، وإذا أريد تنكيرها تجرد الكلمة من اللاحقة:

مثال ذلك: كلمة (غُرْكُو gorkou) : رجل، وإذا

(١) غرو انجاي، مصدر سابق، ص ٧٥.

(٢) د. الأمين أبو منقه، مصدر سابق، ص ١٩.

أردنا تعريفها نضيف أداة: (أُوْ oo)، فنقول: (غركو أو gokou.oo )؛ أي الرجل، وكلمة (أُوْ oo) هي الأداة اللاحقة.

٨ – ليس فيها التذكير والتأنيث: يستوى فيها المذكر والمؤنث في الإشارة والضمائر.

٩ – تعد اللغة الفلانية من أغنى اللغات من حيث استعمال أسماء الإشارة والضمائر:

والضمائر في اللغة الفلانية على أنواع، نجملها في نوعين:

أ – ضمائر تخصّ فقط الجنس العاقل.

ب – ضمائر تختص فقط بالجنس غير العاقل؛ كالحيوانات والنباتات والسوائل وغير ذلك[١].

### أدب اللغة الفلانية:

واللغة الفلانية تتضمن أدباً رفيعاً، يشتمل على الحكايات الأسطورية، والقصص الشعبية، والشعر بجميع أغراضه التقليدية، والأغاني، وعلى كلّ حال فإنه من الصعب تقديم فكرة واضحة عن تاريخ اللغة الفلانية، وبالأخص المراحل التي اجتازتها إلى أن وصلت لهذا المستوى.

### حروف الكتابة في الفلانية:

كانت اللغة الفلانية، وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية، تُكتَب بالحرف العربي، ويشهد لهذا مئات المخطوطات التى كُتبت باللغة الفلانية بالحرف العربي، وهي موجودة بمراكز المخطوطات في غرب إفريقيا، لكن – ويا للأسف – ليس هناك دراسة للغة الفلانية في حدّ ذاتها، من حيث توصيف أصواتها وتقعيد نحوها، بل كلّ ما هنالك هو الكتابة بالحرف العربي، وكيفية رسم الحروف الفلانية المعدومة في اللغة العربية[٢].

ولمّا جاء الاستعمار الغربي حوّل الكتابة من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، وهو ما قلّص الكتابة بالحرف العربي، ولم

**اللغة الفلانية تتضمن أدباً رفيعاً، يشتمل على الحكايات الأسطورية، والقصص الشعبية، والشعر بجميع أغراضه التقليدية، والأغاني**

يبق له استعمال إلا في بعض الحلقات العلمية التقليدية، وفي بعض المراسلات الخاصّة.

### مكانتها بين اللغات الإفريقية:

تحتل (اللغة الفلانية) المرتبة الأولى من بين اللغات الإفريقية الأكثر استخداماً في القارة، وذلك من حيث عدد الدول التي تستخدمها.

وتستخدم ست عشرة دولة (اللغة الفلانية)، وهي الدول الآتية: (إفريقيا الوسطى، بنين، بوركينافاسو، تشاد، توغو، السنغال، السودان، سيراليون، غامبيا، غينيا، غينيا بيساو، الكاميرون، مالي، موريتانيا، النيجر، نيجيريا).

### تأثّر الفلانية باللغة العربية:

واللغة الفلانية كذلك من اللغات الإفريقية التي تأثرت باللغة العربية في مفرداتها، وتبلغ نسبة تأثر اللغة الفلانية باللغة العربية قرابة ٢٥ ٪، وخصوصاً في الألفاظ والعبارات الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ويوضح ذلك الأمثلة الآتية:

| العربية | الفلانية |
|---|---|
| صوم | صومي (somaye) |
| زكاة | زكا (zakaa) |
| فرض | فرللا (farilla) |
| جماعة | جما / جمآرى (jamaare) |
| إمام | الامامي (almami) |
| أمير | أميرو (amiiroo) |
| رِبح | ريبا (riiba) |

(١) انظر: سو الحاج ديبل: دراسة تقابلية بين اللغتين العربية والفلانية على مستوى تركيب الجملة البسيطة (النحوي)، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير؛ بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية – ١٩٨٤م، ص ٤٥.

(٢) وينبغي أن نشير هنا إلى دراسة الشيخ الوزير جنيد التي سمّاها: (مرتع الأذهان في قواعد لغة الفلان)، حيث حاول وضع بعض قواعد للغة الفلانية، وكذلك إلى دراسة الدكتور الأمين أبو منقه حول صوتيات اللغة الفلانية.

| العربية | الفلانية |
|---|---|
| ربا | ربا (ribaa) |
| حرام | هرم (haram) |
| حلال | هلل (halal) |
| آية | آيارى (aayare) |
| حيلة | هيلا (hila) |

## نبذة عن ممالك الفلانيّين الإسلامية في السودان الغربي:

قام الفلانيّون بدورٍ كبير في مجال الدعوة إلى الإسلام ونشره في مجتمعات السودان الغربي، وفي إصلاح عقائد المسلمين وتنقيتها مما علق بها من شوائب الجاهلية، وتصحيح بعض المفهومات الخاطئة عن الإسلام، ويظهر دورهم هذا في القرن التاسع عشر الميلادي في الدول الإسلامية التي أسّسوها، والحركات الإصلاحية التي قاموا بها، ومن هذه الدول ما يأتي:

### ١ - دولة الشيخ عثمان دن فوديو (١٧٥٤م - ١٨١٧م):

أسسها الشيخ عثمان في عام ١٨١٤م، بعدما أسقط الدول المناهضة للإسلام في بلاد الهوسا، واستمرت إلى عام ١٩٠٣م، حيث سقطت على يدي الاستعمار الإنجليزي.

وتعدّ (دولة الشيخ عثمان دن فوديو) من أهم دول الفلانيّين، وأعظمها أثراً، وأوسعها مساحة في تاريخ الإسلام في السودان الغربي[(١)].

كان عصرها عصر نهضة ثقافية وأدبية واسعة في المنطقة، وهو بمثابة العصر الذهبي للإسلام واللغة العربية.

فقد أولت (دولة الشيخ عثمان دن فوديو) اللغة العربية وآدابها والعلوم الشرعية اهتمامها، وازدهرت فيها، وقد لا نبالغ إن قلنا: إنها لم تزدهر في الدول الإسلامية التي سبقتها مثلما ازدهرت فيها، ودليل ذلك إنتاجها الأدبيّ والدينيّ، ومما تميّزت به اهتمام مؤسّسيها وخلفائهم بالعلم، وكان أغلبهم من العلماء الفطاحل.

لقد أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، واهتمّ بها الشعب اهتماماً كبيراً؛ لأنها لغة الدين ولا يُفهم الدين فهماً صحيحاً دونها؛ فتعلّموها وأتقنوها غاية الإتقان.

(١) كانت تغطي شمال نيجيريا ووسطها، وجنوب النيجر وغربها، وشمال الكاميرون وبنين، وشمال شرق بوركينافاسو.

وقد كثرت المدارس القرآنية للصغار، والحلقات العلمية للكبار، وفتح العلماء أبواب بيوتهم على مصاريعها للتدريس، وعقدوا الحلقات في المساجد لإلقاء الدروس في العلوم الدينية واللغوية.

وقد اشتهرت بعض المدن بكونها مراكز للعلوم، مثل مدن: (سكت، غوندو، كانو، كتشنا، ساي).

### ٢ - الدولة الإمامية (من ١٧٧٦م إلى ١٨٨١م):

أسّسها الشيخ سليمان راسبين (توفي ١٧٨٠م) في (فوتا تورو / السنغال)، في القرن التاسع عشر الميلادي، وتُعرف باسم: (الدولة الإمامية) لأنّ ولاتها كانوا يحملون لقب: (الإمام).

وقد اهتمّت هذه الدولة بالعلم ونشره؛ حيث بنى إمامها الثاني (عبدالقادر كن) العديد من المساجد الجامعة في كلّ بلدة ذات شأن، وعيّن لكلّ مسجدٍ إماماً، وبجانب المسجد مدرستين: إحداهما لتعليم الصغار القرآن، والثانية لتعليم العلوم الشرعية واللغوية.

وأشرف الإمام عبد القادر كن بنفسه على بناء خمسة وثلاثين مسجداً، وضعّف هذ العدد من المدارس، وبهذا النهج انتشر العلم في بلاد فوتا تورو وما جاورها، بل انتزعت راية العلم والدين من جلّ بلدان السودان الغربي، وصارت قبلة لطلاب العلم، وتوافد عليها العلماء لنشر ما عندهم من العلوم الشرعية واللغوية وغيرها.

سقطت الدولة الإمامية على يدي الاستعمار الفرنسي عام ١٨٨١م[(٢)].

### ٣ - دولة الشيخ أحمد لبو (١٨١٩م - ١٨٦٢م):

إنّ دولة أحمد لبو (ولد ١٧٧٦م، وتوفي ١٨٤٤م)، في ماسينا (شمال مالي)، من الدول التي لا تقلّ أهمية عن الدول الإسلامية الأخرى في المنطقة، ومع ذلك لا نكاد نجد كتباً بالعربية خاصّة بهذه الدولة مثلما كان لدولة عثمان دن فوديو، أو دولة الحاج عمر الفوتي، إلا مقتطفات لا تفي بحقّها[(٣)]، وهي من

(٢) أبوبكر خالد باه: العلاقة التاريخية بين اللغة الفولانية والعربية عبر التاريخ، داكار، ١٩٨٤م، ص ٢٧ بتصرف.

(٣) ومن ذلك رسالة الماجستير الأولى التي نوقشت بالجامعة الإسلامية بالنيجر، في ٢٠٠٨م، وعنوانها: (تطبيق الشريعة في إمارة ماسينا)، للباحث نوح سدبي، ونشرنا دراسة عنها في مجلة

أكثرها تنظيماً وصرامةً في تطبيق الشريعة الإسلامية.

وقد نظّم الشيخ أحمد دولته تنظيماً جيداً في الجوانب العديدة، حتى أصبحت من أرقى الدول في زمانه، فمن ذلك الجانب الثقافي والعلمي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، وبنى لها عاصمة (حمد الله)، وتعتبر من أرقى المدن وأنظفها في ذلك العصر.

سقطت دولة ماسينا الإسلامية ١٨٦٢م على يدي الحاج عمر الفوتي بعد مقتل أميرها: (أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد لبو).

### ٤ - دولة الشيخ الحاج عمر بن سعيد تال الفوتي (١٧٩٧م - ١٨٦٤م):

قام الحاج عمر برحلة الحجّ (١٨٢٢م)، وبعد رجوعه استطاع أن يؤسس دولة إسلامية شاسعة الأطراف تمتد من غينيا إلى مالي.

وتنقسم جهوده إلى ثلاثة أقسام:

١ - جهاده للإمارات الوثنية، ودعوتها للدخول في الإسلام.

٢ - جهاده للمسيحيين (الاستعمار الفرنسي) الذين بدؤوا يتوغلون في المنطقة.

٣ - خصومته مع بعض الحكام المسلمين الذين تعاونوا مع الحكام الوثنيين.

ففي عام ١٨٥٢م أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين في السودان الغربي، واستطاع بسط نفوذه على عدد من الإمارات الوثنية في إقليم: (بمبوك Bambok) وغيرها، ومع بداية عام ١٨٥٥م استطاع الحاج عمر أن يحارب أقوى إمارة في المنطقة، وهي (إمارة كارتا) الوثنية (في إقليم نيورو بجمهورية مالي)، ففتحها وألحقها بدولته الإسلامية.

وفي عام ١٨٥٧م بدأت المواجهات بين الحاج عمر والفرنسيين، وذلك عندما هاجم مدينة مادينا وطرد منها قوات فرنسا الاستعمارية، وواصل الحاج عمر الجهاد، حيث هاجم في عام ١٨٥٩م قلعة: (ماتم matam)، بل أرسل رسالة إلى المسلمين في سان لوي (عاصمة السلطات الاستعمارية) يطلب منهم محاربة الحكام المسيحيين والوثنيين حتى يدفعوا الجزية أو يطلبوا السلام[١] مع المسلمين، وهو ما دفع الحاكم الفرنسي أن يطلب معاهدة السلام مع الحاج عمر، ولكنها لم تنجح، ووقعت بين الطرفين عدة معارك، وكان النصر حليف الحاج عمر في معظمها.

لكن في عام ١٨٥٩م مُني جيش الحاج عمر في: (ماتم) هزيمة نكراء على يدي القوات الفرنسية المسلحة بالأسلحة الحديثة، حتى نقص عدد جيشه إلى النصف، بعد هذه النكسة التي حلّت بقوات المجاهدين تراجع الحاج عمر، وأدرك أنه لا يستطيع مواجهة الفرنسيين في هذه المنطقة.

وفي عام ١٨٦٠م غادر الحاج عمر المنطقة إلى جهة الشرق لمّا أخفقت معاهدة السلام والصلح بينه وبين الفرنسيين، وتبيّن أنّ عقد الصلح معهم لم يكن إلا هدنة مؤقتة؛ لأنّ أطماع فرنسا في المنطقة لا حدود لها[٢].

وعندما بدأ الحاج عمر زحفه إلى الشرق واجهه جيش ملك سيغو غير المسلم، وكان حليفاً لحكام ماسينا، وهو ما جعل أمير ماسينا يرسل جيشاً لمساعدة ملك سيغو، ولمّا هَزَم الحاج عمر ملك سيغو الكافر هرب إلى (حمد الله) عاصمة ماسينا يطلب الحماية، فطلب الحاج عمر من أمير ماسينا أن يسلّمه ملك سيغو الكافر ليقتله، فرفض أمير ماسينا ذلك؛ الأمر الذي سبّب سوء التفاهم بينهما، وأدى إلى نشوب حرب بينهما، ووقعت فتنة بين المسلمين المجاهدين، لنشر الإسلام وتطبيق تعاليمه السامية، والدفاع عن بيضته، في وقت بدأ فيه الاستعمار الغربي يتكالب على القارة الإفريقية.

وعلى إثر الفتنة التي وقعت بينه وبين أحمد لبو حاكم ماسينا من جهة، والشيخ بكاي الكنتي من جهة ثانية، ذهب الثلاثة كلهم ضحية الفتنة، فالحاج عمر أَعْدم أحمد لبو بعد القبض عليه في الحرب، وترك الشيخ بكاي المنطقة بعد هزيمة حليفه أحمد لبو إلى الصحراء، وقام الماسينيون

(قراءات إفريقية) - العدد الثامن، أبريل - يوليو ٢٠١١م.

(١) انظر: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، ص ٩١؛ د. عبدالله عبد الرازق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٥، بتصرف.

**تحتل (اللغة الفلانية) المرتبة الأولى من بين اللغات الإفريقية الأكثر استخداماً في القارة، وذلك من حيث عدد الدول التي تستخدمها**

بحملة مضادة ضد الحاج عمر وجيشه المُحاصر في مدينة حمد الله، وبعد حصار طويل استطاع الحاج عمر أن يخرج من المدينة المحاصرة هارباً، واختبأ في مغارة، حيث مات – رحمه الله تعالى – عام ١٨٦٤م، والله المستعان.

هذه هي أهم الدول الإسلامية وأشهرها التي أسسها الفلانيّون في السودان الغربي قبل الاستعمار الغربي للمنطقة، وهي ممالك إسلامية قامت على العدل والمساواة بين شعوب المنطقة التي تنضوي كلها تحت لواء التوحيد لا فرق بينها إلا بالتقوى.

وهناك دول إسلامية أخرى، ولكنها أقلّ شهرة من السابقة، ومنها:

– الدولة الإمامية في فوتا جلون: استطاع الفلانيّون في فوتا جلون في عام ١٧٢٥م أن يؤسّسوا دولة إسلامية يحكمها العلماء[١]، ومن أشهر حكامها: (ألفا إبراهيم سوري)، وقد سقطت على يدي الاستعمار الفرنسي في عام ١٨٨٨م.

– دولة موديبو آدم في شمال شرق نيجيريا وشمال الكاميرون: وهي امتداد لدولة الشيخ عثمان بن فوديو؛ لأنّ مؤسسها من تلاميذه، وكان تابعاً لها روحيّاً، وقد أسقطها الاستعمار الفرنسي والإنجليزي في بداية القرن العشرين.

– دولة موديبو علي أنّا (Annaa): في محافظة: (برننـي بايرو birnin bayourou)، في إقليم (دوسو Dosso) بجنوب النيجر، وذلك في نهايات القرن الثامن عشر الميلادي، واحتلتها فرنسا في بداية القرن العشرين.

– دولة (ألفا ممن جبو Alfa manman djobou) في القرن التاسع عشر: في محافظة ساي بالنيجر.

– دولة (بتنكوجي bitikodji): في القرن الثامن عشر الميلادي، في الضفة الغربية من عاصمة النيجر (نيامي).

– دولة (دوري dori): في القرن الثامن عشر، في شمال بوركينافاسو.

وغيرها من الدول الإسلامية في غرب إفريقيا ووسطها.

### وفي الختام:

فهذه نبذة عن شعب من الشعوب الإفريقية التي ساهمت مساهمة كبيرة في نشر الإسلام في السودان الغربي والأوسط، وما أردنا بها إلا تسليط الضوء على التاريخ الإسلامي والحضاري لإفريقيا، واستنهاض الهمم لقراءته، وكتابته، وتنقيته من تشويه كتّاب الاستعمار، وتحريف المستشرقين وبعض المستفرقين.

وأدعو الباحثين الأفارقة الذين درسوا اللغة العربية والثقافة الإسلامية (وما أكثرهم اليوم) أن يساهموا في كتابة التاريخ الحضاري لإفريقيا، وتاريخ الإسلام في إفريقيا، وموسوعة أعلام إفريقيا وعلمائها، لقد آن الأوان أن ننفض عن تاريخنا غبار النسيان والتشويهات ■

(١) من الملاحظ أنّ كلّ الدول التي أسّسها الفلانيّون كانت على أيدي العلماء.

# المقاربات الأمريكية لبناء السلم والأمن في منطقة الساحل الإفريقي

د. عصام عبد الشافي
أستاذ العلوم السياسية - جامعة صقاريا / تركيا

تتعدّد الاعتبارات السياسية والاستراتيجية التي تُبرز أهمية منطقة الساحل الإفريقي في الاستراتيجية الأمريكية، وقد ازدادت هذه الأهمية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وكذلك بعد التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة في ٢٠١١م، ومن أبرزها ما أُطلق عليها (ثورات الربيع العربي)، التي كانت بدايتها من تونس، ومنها انتقلت إلى مصر ثم ليبيا، وما أفرزته من التداعيات السياسية والاقتصادية والأمنية، ليس فقط على دول المنطقة، ولكن كذلك على كلّ القوى الإقليمية والدولية التي لها مصالح بالمنطقة، وفي مقدمتها بطبيعة الحال الولايات المتحدة الأمريكية.

فالولايات المتحدة لم تكن بمعزل عن تطورات الأوضاع في المنطقة، بل يمكن القول بأنها كانت طرفاً فاعلاً في إدارتها، ومع هذا الارتباط وتلك الفاعلية كان للولايات المتحدة مقارباتها الخاصة لبناء السلم والأمن في المنطقة، وهو ما تسعى هذه الدراسة للبحث في أبعادها، من خلال بيان الآليات الأمريكية لبناء السلم والأمن في منطقة الساحل الإفريقي، وكيفية التعاطي مع هذه الآليات.

## الآليات الأمريكية لبناء السّلم والأمن في منطقة الساحل الإفريقي:

اعتمدت الولايات المتحدة على عدد من الآليات لتعزيز مصالحها الاستراتيجية وبناء السلم والأمن – وفق منظورها – في القارة الإفريقية بصفة عامّة، وفي منطقة الساحل والصحراء بصفة خاصّة، ومن بين هذه الآليات:

### أولاً: الشراكة الاستراتيجية:

وتتمثل في قيام شراكات مع عدد من الدول الإفريقية، يتمّ بموجبها منح الولايات المتحدة امتيازات وتسهيلات عسكرية؛ بصورة مباشرة، أو من خلال الشراكة والتعاون مع حلف شمال الأطلسي (ناتو)، والذي تُعَدّ أمريكا الدولة المركزية فيه، ومن بين الامتيازات والتسهيلات التي تُمنح للولايات المتحدة: السماح بوجود جنود ووحدات عسكرية بكامل عتادها ومعداتها وأسلحتها داخل ثكنات خاصة لا تخضع لأي قوانين خاصة بالدول المضيفة، ولا أي سلطة داخلها؛ وهو ما يعدّه الخبراء الاستراتيجيون قواعد عسكرية أمريكية غير معلن عنها، أو غير معترف بها[1].

### ثانياً: القواعد العسكرية:

تهيمن الولايات المتحدة على العالم من خلال قواعدها العسكرية التي تحيط بالأرض من كلّ جانب، وتوجد في جميع قارات العالم باستثناء القارة القطبية الجنوبية، وبهذا فإنّ تلك الشبكة من القواعد تمثّل شكلاً جديداً من الإمبراطوريات، فهي إمبراطورية من القواعد بها أكثر من نصف مليون من الجنود والجواسيس والخبراء العسكريين والمدرّسين والمقاولين المدنيين.

وبحسب التقرير السنوي لوزارة الدفاع الأمريكية للسنة المالية ٢٠٠٣م، والذي حمل عنوان (تقرير هيكل القواعد)، والذي يوضح الأصول العسكرية الأمريكية في الداخل والخارج، فإنّ البنتاجون يملك أو يستأجر آنذاك ٧٠٢ قاعدة عسكرية في ١٣٠ دولة تقريباً، بالإضافة إلى ٦٠٠٠ قاعدة أخرى في الولايات المتحدة، ويقول مسؤولو البنتاجون إنّ الوزارة تحتاج على الأقل إلى ١١٣ مليار دولار لتستبدل القواعد الأجنبية وحدها.

ومن أجل أن تضع قواتها بالقرب من جميع المناطق الخطرة والبقع المتوترة الموجودة داخل ما أطلقت عليه: (قوس القلاقل)؛ فإنّ هناك عدداً من الدول تشكّل أماكن يقترح إنشاء قواعد عسكرية فيها، في إطار ما أسماه كولن باول: (عائلة جديدة من القواعد)، تشمل كلاً من: (رومانيا، وبولندا، وبلغاريا) في أوروبا الجديدة، وباكستان، والهند، وأستراليا، وسنغافورة، وماليزيا، والفلبين، حتى فيتنام، وفي شمال إفريقيا: (المغرب، وتونس، والجزائر)، وكذلك في غرب إفريقيا: (السنغال، وغانا، ومالي، وسيراليون)[2].

### ثالثاً: تأسيس قوة إفريقية لمكافحة الإرهاب:

في (٢٠٠٣/٧/٣٠م) كشف الجنرال جون أبوزيد قائد القيادة المركزية الأمريكية عن اعتزام بلاده إنشاء قوة عمل تشارك فيها ١١ دولة إفريقية، وذلك

(١) محمد عبد الحليم: قواعد عسكرية أمريكية لتأمين نفط إفريقيا، إسلام أون لاين.نت، ٢٠٠٦/٣/١م، الرابط: http://www.islamonline.net/Arabic/news/2006/01/03-article02.shtml

(٢) انظر: صحيفة الأيام، المغربية المستقلة، عدد ٢٠٠٥/٤/٦م. وانظر أيضاً: مريم التيجي: قاعدة عسكرية أمريكية تلوح بأفق المغرب، إسلام أون لاين.نت/ ٢٠٠٥/٤/١٠م، الرابط: http://www.islamonline.net/Arabic/news/2005/10/04-article01.shtml

بهدف مواجهة الكوارث ومكافحة الإرهاب في منطقة (شرق إفريقيا ووسطها) التي تقع فيها هذه الدول، وستشرف القيادة المركزية الأمريكية على عمل هذه القوات[١].

وقال أبو زيد: «إنّ القوة، التي ستشكّل أيضاً فريقاً إفريقيّاً لإدارة الكوارث، ستحظى بدعم كامل من الولايات المتحدة، وستعمل على تحقيق قدر كبير من الاستقرار في المنطقة»، موضحاً أنّ الكوارث التي تهدّد المنطقة (الإفريقية) تأخذ أشكالاً متعددة، مثل: الفيضانات، أو حوادث الطيران، أو الهجمات الإرهابية المدمّرة؛ ما يتطلب مواجهتها بصورة مشتركة، وشدّد أبو زيد على أنّ الطريقة الوحيدة للقضاء على الإرهاب في المنطقة هي الطريقة الجماعية، وأشار إلى أنّ قوة العمل المزمع إنشاؤها ليس المقصود منها أن تتولى فعليّاً محاربة الإرهاب، ولكنها ستوفر أرضية للردّ عليه عند حدوثه[٢].

## رابعاً: برنامج (بان ساحل) أو (ترانس صحرا):

في عام ٢٠٠٢م تمّ إطلاق برنامج (بان ساحل) الذي يهدف إلى تعزيز الأمن على الحدود وزيادة القدرة على محاربة الإرهاب في أربع دول، هي: (مالي، وتشاد، والنيجر، وموريتانيا)، وللبرنامج جناحٌ عسكري يعمل تحت مظلة عملية (انديرينج فريدوم) الهادفة إلى مكافحة واعتقال المجموعات الإرهابية العاملة في المغرب الإفريقي وفي الساحل[٣].

وقد قامت الولايات المتحدة بتوسيع هذا البرنامج عام (٢٠٠٩م) ضمن مبادرة جديدة عُرفت باسم: (TRANS SAHARA COUNTER TERRORISM)؛ لتشمل: (الجزائر، وتونس، ونيجريا)، والعديد من دول غرب إفريقيا، بما يضمن نجاح الاستراتيجية الأمريكية في محاربة الإرهاب؛ انطلاقاً من دول الجوار، والسيطرة على ثروات المنطقة، وبخاصة النفط من خليج غينيا إلى السودان[٤].

## خامساً: الشراكة الأمنية المغاربية مع حلف الأطلسي:

نتيجة تطور مصادر التهديدات للأمن العالمي والإقليمي، وتزايد حدة الاعتماد المتبادل، دخل (حلف الناتو) في مسارات جديدة وواسعة للتعاون مع أقاليم ودول أخرى لمواجهة التحديات الجديدة، وكانت الشراكة الأمنية مع دول منطقة الساحل الإفريقي من أولويات هذا الحلف، نظراً للقرب الجغرافي، وكذلك إعلان دول المنطقة رغبتها في العمل المشترك مع الحلف، سعياً منها لتجاوز بعض التهديدات التي عجزت عن مواجهتها بسبب تواضع إمكانياتها، وجاءت هذه الشراكة الأمنية لتوفير الأمن والاستقرار في حوض المتوسط، في إطار ما عُرف باسم: (الحوار المتوسطي)، الذي انطلق عام ١٩٩٤م، وارتكز الحوار على عدد من المبادئ منها:

---

(١) هي: مصر وإثيوبيا وإريتريا وجيبوتي وبوروندي ورواندا والكونغو وكينيا وأوغندا وتنزانيا وسيشل. انظر: علي حلني: واشنطن تؤسس قوة إفريقية لمكافحة الإرهاب، إسلام أون لاين.نت/ ٣١-٧-٢٠٠٣م، الرابط: http://www.islamonline.net/article08.shtml/31/07-Arabic/news/2003

(٢) جاءت مبادرة تشكيل قوة العمل الإقليمية في هذه المنطقة من إفريقيا، في إطار (ندوة الرمح الذهبي) التي عُقدت في أديس أبابا (يوليو ٢٠٠٣م)، وموّلتها القيادة المركزية الأمريكية بهدف دعم الحوار بين الدول الإفريقية في الشؤون الأمنية. وكانت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية قد ذكرت في ٢٠٠٣/٧/٤م أنّ وزارة الدفاع الأمريكية تخطط لإقامة قواعد عسكرية في عدة دول إفريقية، من بينها الجزائر وتونس والمغرب، وللحصول على موافقة دول أخرى على فتح مجالها الجوي أمام الطائرات الأمريكية، وذلك بهدف تأمين منطقة الصحراء الكبرى الواقعة بين السودان وموريتانيا. انظر: أمريكا تخطط لإحكام قبضتها على إفريقيا، إسلام أون لاين.نت/ ٢٠٠٣/٧/٥م، الرابط: http://islamonline.net/Arabic/news/2003/05/07-article04.shtml

(٣) Maya Kandel, Les Etats-Unis l'Afrique et la guerre au Mali, N° 22 - Fondation Jean-Jaurès / Orion, Observatoire de la défense - 7 février 2013 - page 1.

(٤) محمد فال ولد بلال: الأمن والاستقرار في منطقة الساحل.. الواقع والمآلات، ندوة (قضايا الأمن والاستقرار في منطقة الساحل.. الواقع والمآلات)، نواكشوط، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الإنسانية، ١١ مارس ٢٠١٢م.

عدم فرض أفكار على البلدان الأخرى؛ لأنّ كلّ دولة لها خصائص إقليمية وسياسية وثقافية، وهذا من أجل بناء علاقة تعاون تخدم المصالح المشتركة، ويحصل كلّ الشركاء على الأسس نفسها للنقاش، أي عدم التمييز، وزيادة التنسيق في السياسات والتعاون الأمني.

وفي عام ٢٠٠٤م قرّر زعماء الحلف دعوة البلدان المشاركة في الحوار لإقامة علاقات شراكة أوسع وأكثر طموحاً، خصوصاً مع البلدان السبعة التي تمتد من شمال غرب إفريقيا مروراً بجنوب المتوسط وشرقه: (موريتانيا، المغرب، الجزائر، تونس، مصر، الأردن، إسرائيل)، لزيادة التشاور السياسي والتعاون العملي والمساهمة في أمن المنطقة واستقرارها، وتشجيع العلاقات الحسنة بينهم، فكانت (قمة إسطنبول ٢٠٠٤م)، والتي تمّ فيها التركيز في:

١ – التعاون العسكري: بغرض تعزيز قدرات الحلف وبلدان الحوار؛ للعمل معاً في المستقبل ضمن عمليات بقيادة الناتو.

٢ – مكافحة الإرهاب والتهديدات الأمنية الجديدة: وذلك بتشجيع تقاسم المعلومات الاستخباراتية بشكل أكثر فعالية، إضافة إلى المشاركة في عملية: (المسعى النشط) (دوريات بحرية يقودها الحلف للكشف عن أية أنشطة إرهابية محتملة في المتوسط، وردعها والقضاء عليها)، بالإضافة إلى منع انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل ترويجها.

٣ – أمن الحدود: إعطاء النصائح الملائمة في هذا المجال، خصوصاً فيما يتعلق بالإرهاب وانتشار عمليات التهريب.

٤ – تخطيط الطوارئ المدنية: وذلك بتعزيز التعاون في مجال الاستعداد للكوارث، وتحسين القدرة على التعاون مع تبعات أية عملية إرهابية.

وبالرغم من وضوح أهداف المبادرة، وما قامت عليها من مبادئ، فإنها ترد عليها العديد من الملاحظات، منها:

– أنّ الواقع لا يعكس مصالح متكافئة ناتجة عن هذه العلاقة، فالطرف المغاربي يبقى الطرف الأضعف من حيث النتائج، بينما النسبة الأكبر من المكاسب تعود على حلف الأطلسي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية التي تقرّر وتنفذ ما يخدم أمنها بالدرجة الأولى.

– أنّ الحوار يتمّ بين المنظمة وكلّ دولة على حدة، وليس حواراً جماعياً مع الدول المدعوة، وهو ما يعني أنّ دول المتوسط لن تكون قادرة على تنسيق مواقفها في مخاطبة المنظمة.

– أنّ الأنشطة التي يمكن أن تشترك فيها دول الحوار ستكون تكلفتها على عاتقها.

– أنّ الحوار مفتوح لكلّ الدول المطلة على المتوسط، ومن المنطقي أن تحظى الدول التي تشكّل مصدراً لأخطار أمنية على المنطقة بالاهتمام الأكبر إذا كان الهدف الحقيقي من الحوار هو الأمن والتفاهم، إلا أنّ هذه النظرة غائبة في المجال العملي؛ فقد امتنعت المنظمة عن دعوة بعض الدول مثل ليبيا وسوريا، وهما دولتان تحظيان بأهمية ونفوذ مهمين في المنطقة، كما أنه ليس للقيم الديمقراطية سوى شكل رمزي – إن لم يكن غياباً تامّاً – في أغلبية تلك الدول، وهذا يعني أنّ هذا الحلف يختار الدولة التي يضمن أنها ستحقق أهدافه ولا تشكّل عائقاً أمام مخططاته فقط[١].

## سادساً: تأسيس أفريكوم (United States Africa Command (USAFRICOM):

(أفريكوم): هي قيادة إفريقيا الأمريكية، تتكون من قوات موحّدة مقاتلة تحت إدارة وزارة الدفاع

(١) مسالي نسيمة: التهديدات الأمنية الجديدة في المغرب العربي واستراتيجيات مواجهتها، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، (الجزائر، قسنطينة، جامعة منتوري، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، (٢٠٠٩م/٢٠١٠م)، ص (١٨٠ – ١٨٢).

الأمريكيـة، وهـي مسـؤولة عـن العمليات العسـكرية الأمريكيـة، وعـن العلاقـات العسـكرية مـع ٥٣ دولة إفريقيـة فـي إفريقيا، تأسسـت فـي ١ أكتوبر ٢٠٠٧م بوصـفها قيادة مؤقتة تحت القيـادة الأمريكية لأوروبا والتي كانت مسؤولة عن العلاقات العسكرية الأمريكية مع أكثر من ٤٠ دولة إفريقية.

وقد بدأت أفريكوم نشـاطها رسـمياً في ١ أكتوبر ٢٠٠٨م، حيـث وقّـع الرئيـس الأمريكي السـابق على خطة لإنشاء (قيادة عسـكرية أمريكية خاصة بالقارة الإفريقيـة)، لتسـتكمل الإمبراطوريـة الأمريكيـة سـيطرتها علـي العالـم، وفـي عهـد الرئيـس باراك أوبامـا، بدأت هـذه القوة في العمل فـي إفريقيا تحت اسـم (أفريكوم)، وهي سـادس قـوة أمريكية للتدخل الإقليمـي السـريع فـي العالـم، وقـد وضـع خطتهـا المعهد الإسـرائيلي الأمريكي للدراسـات السياسـية والاستراتيجيات المتقدمة التابع للمحافظين الجدد.

وجـاء تأسيسـها نابعـاً مـن الخطـط الأمريكيـة الرامية لتأمين الموارد الاسـتراتيجية، خصوصاً أنها – أي (أمريـكا) – تنظـر إلى إفريقيا بوصـفها بديلاً لنفط الشـرق الأوسـط، ولإبعاد الصـين عن الوصول إلى موارد إفريقيا؛ سواء النفطية وغير النفطية[١].

والهـدف المفترض من إنشـاء قيـادة الأفريكوم هـو: جلـب السـلام والأمـن لشـعوب إفريقيـا، ودفع الأهداف المشـتركة بين الولايات المتحـدة وإفريقيا في مجالات التنمية: (الصحة، التعليم، الديمقراطية، والتنمية الاقتصادية) في إفريقيا.

وكانت الحجّة التي أُنشـئت على أساسـها القيادة المركزيـة لإفريقيـا (الأفريكـوم) هـي: أنّ الـدول الضـعيفة يمكن أن تشـكّل خطراً داهماً على الولايات المتحدة بوصفها دولة قوية.

ومـن أجل تحقيق هذه الأهداف حدّدت الأفريكوم مسـؤولياتها بأنهـا: شـراكة (عسكرية-عسـكرية)، أُنشـئت لتطوير القـدرة والقابلية العسـكرية للجيوش الإفريقية، ومسـاعدة الهيئـات الأمريكية الأخرى في القيـام بمهامها فـي إفريقيا، وعند الاقتضـاء يمكنها القيام بنشاطات عسكرية لحماية المصالح الأمريكية في إفريقيا.

ويقع مقر مركز قيادة الأفريكوم في (شتوتغارت) بألمانيا نتيجة لرفض الدول الإفريقية أن يكون مقرّها فـي القـارة الإفريقيـة، ويعمل في هـذه القيـادة ألفا عنصـر (في ٢٠١٠م)؛ بمـن فيهم ثلاثمائة عنصـر من القوات الخاصـة، ومائتان وخمسـون عنصراً من الاسـتخبارات، بميزانية إجمالية تقـدّر بـ ٣٥٠ مليون دولار.

وتشكّل قوة المهام المشتركة الأمريكية في القرن الإفريقي – يبلغ عددها ألفي عنصـر، ويوجد مقرها في معسـكر لمونييه في جيبوتي – مجالاً آخر لنشـاط القيادة المشـتركة للأفريكوم من خـلال قوات تدخّل بحريّ، وقوات دروع أساسية، وقوات جوية متخصّصة موجودة أساسـاً في إيطاليـا وألمانيا، وقد تمّ إلحاقها بقيادة الأفريكوم[٢].

وتتمثّـل مهمات قيـادة أفريكوم ومجـالات عملها فـي: تعزيز القـوات العاملة في شـرق إفريقيا وغربها وشـمالها، ودعم الدول التي تمثّل ثقلاً إقليميّاً، وتعتبر مهمـة فـي إدارة الحـرب علـى الإرهـاب، مثـل: دول السـاحل، ودول المواجهة، بالإضـافة إلـى دول أخرى فـي إفريقيا، مثـل: (نيجيريـا، والمغـرب، وتونس)،

(١) إيهاب شوقي: الانقضاض الجيوسياسي العسكري الأمريكي بعد أفريكوم، النص متاح على الرابط الآتي: http://anntv.tv/new//showsubject.aspx?id=48123

(٢) قبل إنشاء مركز قيادة الأفريكوم كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتعامل مع الدول الإفريقية من خلال ثلاثة مراكز قيادة إقليمية، هي: (القيادة المركزية الأمريكية) التي كانت مسؤولة عن: (مصر، والقرن الإفريقي، وكينيا) من بين مناطق أخرى، ومركز (قيادة المحيط الهادئ) المسؤولة عن دول المحيط الهندي، مثل: (مدغشقر، وجزر القمر)، ومركز (قيادة أوروبا) الذي تتبع له غالبية الدول الإفريقية، مع ملاحظة أنّ مصر ما تزال ضمن اختصاص القيادة المركزية. انظر: إبراهيم شايير الدين: الأفريكوم.. حماية المصالح الأمريكية تحت غطاء الشراكة، مركز الجزيرة للدراسات، الأحد ٢٣ يونيو ٢٠١٣م، الرابط: http://studies.aljazeera.net/repor htm.201362354847424557/06/ts/2013

إضـافة إلى مالي، وتطوير منظومة التعاون وتوسـيعها بيـن الدول الإفريقية والقيـادة الأمريكية في إفريقيا، وخصوصاً في المجالات الآتية:

١ – برامج تدريب جيوش دول الساحل والصحراء الإفريقيـة عبـر برامـج تدريبيـة متنوعـة، وإجـراء مناورات مشتركة مع القوات الإفريقية، وعلى الأخص دول الساحل والصحراء.

٢ – برنامـج المسـاعدة والتدريـب علـى عمليـة الطـوارئ الإفريقـي ACOTA، وكذلـك برنامج IMEI ، والتعليم والتدريب العسكري.

٣ – برنامـج تجهيـز جيوش الـدول الواقعـة في السـاحل والصحراء، وتسـليحها بالمعدات العسكرية الأمريكية؛ بما فيها الحوامات، وطائرات الاستطلاع، وأجهزة الرؤية الليلية، والآليات القادرة على العمل في الصحراء.

٤ – تقديم أسـلحة من فائض المعدات العسكرية الأمريكيـة ومنحهـا إلـى دول تتولّـى عمليـة مكافحة الإرهاب، وتتعاون بشـكلٍ جماعي أو فردي مع الولايات المتحـدة، مثـل (مبـادرة مكافحـة الإرهـاب عبـر الصحراء)، أو الاتفاقيات المنفردة مع مالي والنيجر وتشاد وموريتانيا[١].

وتستخدم الولايات المتحدة حوالي ٥٠٠٠ شخص في إفريقيا موزعيـن على مختلف الوظائف والمهمات التي يضـطلع بها جهاز الأفريكوم من خلال العمليات المقامـة بها حاليّاً، حيث يوجـد في قاعدة (لمونيير) بدولـة جيبوتـي وحدهـا ٢٥٠٠ شـخص، بالإضـافة للأطقم الموجـودة في القاعدة الأساسـية للطائرات بدون طيار في العالم (في سيشـل)، كما تضمّ القارة الإفريقية عدة قواعد صـغيرة موجودة بمختلف الدول الإفريقية، وخصوصـاً في المنطقة ما بين خليج غينيا والقرن الإفريقي[٢].

موقف الدول الإفريقية من أفريكوم:

إنّ فكرة الأفريكوم كانت محلاً للرفض من جانب عدد مـن الـدول والمجموعـات الإفريقيـة، ومن بين أسباب الرفض الإفريقي لها:

١) الأثـر المتوقـع للإخـلال بتـوازن القـوى بين المنظمات الإقليمية وبين الدول نفسـها، حيث تتخوف المنظمـات الإقليميـة أن يقوّض وجـودُ الأفريكـوم تأثيرها في المنطقة، بينما تخشـى الدول المسـيطرة إقليميّاً التأثير الذي سـيخلفه وجود الأفريكوم في أية دولة إفريقية على التوازن الإقليمي في المنطقة؛ لذلك عمدت جنـوب إفريقيا ونيجيريا لاسـتخدام نفوذهما في كلٍّ من المجموعة الاقتصادية لدول جنوب إفريقيا (سـادك)، والمجموعـة الاقتصـادية لـدول غـرب إفريقيا (الإيكواس)، للضـغط من أجل منع اسـتقبال مقر قيادة الأفريكوم في أي من الدول الأعضاء.

٢) أثـارَ عـدم تشـاور الأمريكييـن مـع الاتحـاد الإفريقي في مرحلة الإعداد لإنشاء أفريكوم حالة من القلق حول الأهداف الحقيقية وراء إنشـائها، فقد رأى عـددٌ من المراقبين في إنشـاء القيادة سـعياً أمريكياً لسـحب النفـوذ مـن الاتحـاد الإفريقـي، وأن تكـون

(١) إيهاب شوقي: الانقضاض الجيوسياسي العسكري الأمريكي بعد أفريكوم، النص متاح على الرابط الآتي: http://anntv.tv/new//showsubject.aspx?id=48123

(٢) Maya Kandel, Les Etats-Unis l'Afrique et la guerre au Mali, N° 22 - Fondation Jean-Jaurès / Orion, Observatoire de la défense - 7 février 2013 - page 1.

أفريكـوم صـاحبة القرار في الشـؤون الأمنيـة للقارة الإفريقية.

وتظهـر حقيقـة هذا التخـوف من الدور السـلبي للأفريكـوم فـي تقويض جهود التسـوية التـي بذلها الاتحاد الإفريقـي في الأزمة الليبية في ٢٠١١م؛ حيث تـمّ رفض الدعـوات التي أطلقهـا الاتحـاد الإفريقي لإيجـاد حـلٍّ سياسـيٍّ تفاوضـي للأزمة الليبيـة، وتمّ تقويضها من خلال العمليات التي قامت بها الأفريكوم بالتنسيق مع حلف شمال الأطلسي.

٣) يـرى بعض منتقـدي قيـادة الأفريكـوم أنّ الإصـرار الأمريكي على ربط عاملي الأمن والتنمية ومحاولـة تحقيق ذلك مـن خلال إنشـاء الأفريكوم يهدّد بتمكين الزعماء الدكتاتوريين في إفريقيا؛ لأنّ الأفريكوم، وفي سـعيها لتحقيق المصالح الأمريكية ودفع أجندتها الأمنية في القارة الإفريقية، ستنشئ علاقـات ثنائيـة مـع دول المنطقـة، ولن يضـيرها أن يكـون ذلـك مع دولٍ تقـوم بقمع شـعوبها ما دام قادتهـا يوافقون على التنسـيق والتعاون مع سياسـة الأفريكوم.

٤) غطاء السرية الذي تحيط به قيادة الأفريكوم نشـاطاتها، وقلّـة مـا يتوفـر مـن المعلومـات عنهـا، والغموض والضـبابية اللذان يعتريـان طبيعة أهداف هذه القيادة.

٥) أثارَ ازدياد المصـالح الأمريكيـة في إفريقيا الكثير من الشـبهات حول الأهداف الحقيقية للولايات المتحـدة الأمريكية من وراء إنشـاء الأفريكوم، وذلك لكون أمريكا، ومن خلال سياسة الاحتواء التي اتبعتها تاريخيّـاً فـي فتـرة الحرب البـاردة، قد دعمـت قادةً دكتاتوريين، وموّلت ميليشيات تستخدم أساليب عنيفة جدّاً، إضـافة لعدم تشـجيعها للحركات التحررية في إفريقيا[١].

### سابعاً: تعزيز دَور الناتو في المنطقة:

جاءت المشـاركة العملياتية الأولية لحلف شـمال الأطلسي في إفريقيا، في الفترة ما بين عامي ٢٠٠٥م و٢٠٠٧م، بوصـفها نتاجـاً لمبـادرة قام بهـا الاتحاد الإفريقـي لطلـب توفيـر جسـرٍ جـويٍّ لبعثـة الاتحاد الإفريقـي فـي السـودان، وقـد تـلا الدعـم المقـدّم لبعثـة الاتحـاد الإفريقي فـي السـودان توفير جسـرٍ جـويٍّ وبحريٍّ لبعثـة الاتحاد الإفريقي في الصـومال، وبالإضافة إلى ذلك مساعدة حلف شمال الأطلسي في تعزيز قـدرة الاتحاد الإفريقي علـى تخطيط عمليات حفظ السلام الخاصة بالاتحاد وتنفيذها، وبناء القوة الاحتياطية الإفريقية[٢].

كما أثبتت مشاركة حلف شمال الأطلسي في ليبيا فـي الفترة ما بين مارس وسـبتمبر من العام ٢٠١١م، والتي تضـمّنت حمايـة المدنيين والمناطـق المأهولة بالسـكان، وفرض منطقة حظر طيران وحظرٍ بحريٍّ، قدرة الحلف على التحرك الفوري وإشـراك الشـركاء فـي عملياتـه، وبعد انتهـاء العمليـات في ليبيـا؛ أكد الحلف تبنّي عدد من التوجّهات الاستراتيجية، منها:

١ – أشـكال جديـدة وواضـحة مـن الوجـود؛ من بينها الاعتماد الموسّع على (قوات الاستجابة) التابعة لحلف شمال الأطلسـي؛ باعتبارها قوات متاحة عالية القدرات وقادرة على الانتشار.

٢ – وضـع جدولة أكثر انتظاماً لمناورات الحلف، وتركيـز أكثر فـي القـوات البحرية ومراكز مشـاركة المعلومات على البر؛ للمسـاعدة في مجابهة مجموعة من التحديـات الأمنية البحريـة، والتحديات الأخرى الناشئة من وإلى البحر.

٣ – تطبيـق هيـكل القيادة الجديد لحلف شـمال الأطلسـي علـى عمليـات قيـادة العمليـات والتحكّم؛ بوصـفه بديلاً للإجراءات الوقتية، والقيام بمزيد من الجهود الحثيثة لزيادة مجموعة المستشارين المتاحة لبعثات التدريب التابعة لحلف شمال الأطلسي لتدريب

(١) إبراهيم شابير الدين: الأفريكوم: حماية المصالح الأمريكية تحت غطاء الشراكة، مصدر سابق.

(٢) عبدالله الأحمر: استراتيجية الناتو بين التاريخ والواقع، موقع حزب البعث، النص متاح على الرابط: http://www.baathparty.org/index.php?option=com_content&view=article&id=4906:national11&catid=164&Itemid=129&lang=ar

قوات الأمن المحلية والإشراف عليها، واعتماد أكبر على التعاون العسكري مع الشركاء لتعزيز مساهماتهم المحتملة في أي عمليات ومهام مستقبلية يقوم بها الحلف، ولدعم الجهود المبذولة لبناء القدرات المحلية.

٤ – تقديم مزيد من التوعية النظامية من قِبَل مجموعة (مراكز التميّز متعددة الجنسيات) – الخاصة بالحلف – إلى الشركاء؛ من أجل بناء قوات وقدرات ملائمة وتبادلية[١].

إنّ العلاقة مع الحلف قد تصبح، على الأقل في المدى القصير، مصدر خلافٍ إضافيٍّ في سجل الخلافات البينية المغاربية، فمن المرجح أن تكون ليبيا الجديدة أطلسية؛ عرفاناً منها وردّاً للجميل الأطلسي.

ويمكن أن يقود هذا إلى اتجاهين متناقضين في العلاقة الأطلسية – المغاربية:

أولهما: احتمال دخول الدول المغاربية في منافسة معكوسة جديدة في علاقاتها مع الأطلسي؛ ذلك أنّ السقف العالي الذي ستضعه ليبيا الجديدة قد يجبر جيرانها على مزيد من التنازلات لخطب وُد الحلف؛ سعياً لنيل المكانة نفسها التي تتبوؤها ليبيا الجديدة، خصوصاً في حال بقاء أنظمة في منأىً عن التغيير الديمقراطي.

وثانيهما: تجميد العلاقة بتعليق النشاطات التعاونية، أو على الأقلّ خفض التعاون إلى أدنى مستوياته، تعبيراً عن القلق تجاه الحلف، خصوصاً أنّ الرأي العام في معظم الدول المغاربية يتشكك في نيات الحلف وسياساته[٢].

(١) قوات المساعدة الأمنية الدولية لحلف الناتو، عقدان من عمليات شمال الأطلسي ـ تقييم الوضع الراهن، التطلع إلى المستقبل، الموقع الرسمي لحلف الناتو على شبكة الإنترنت، الرابط: http://www.nato.int/docu/review/2012/Chicago/Stock-Looking-Ahead/AR/index.htm

(٢) Steven Metz, Is Libya the End of NATO?, Global Times, 16 April 2011. Text available at: www.realclearpolitics.com

## ثامناً: تشكيل قوة للتدخل السريع بشمال إفريقيا:

وافقت وزارة الدفاع الأمريكية، في الثالث من أبريل ٢٠١٣م، على تشكيل قوةٍ للتدخل السريع في شمال إفريقيا، وذلك على خلفية الانتقادات التي وُجّهت للجيش الأمريكي لعدم تمكّنه من إرسال قوات لموقع القنصلية الأمريكية ببنغازي عند تعرضها لهجوم في سبتمبر ٢٠١٢م، راح ضحيته السفير كريس ستيفنز وثلاثة من الأمريكيين.

وتعمل القوات الأمريكية على تشكيل قوة من منتسبي البحرية لتشكيل وحدة مكوّنة من ٥٠٠ جندي مزودين بخدمات مساندة، كالنقل الجويّ، تمكّنهم من الوصول إلى أي منطقة في إفريقيا، وأكد مسؤولون أمريكيون أنّ المحادثات جارية مع الحكومة الإيطالية وعدد من دول أوروبا الجنوبية للوصول إلى اتفاقٍ حول مكان القاعدة الأمريكية لهذه الفرقة، والتي – على الأغلب – ستكون في إيطاليا.

وأوضحوا أنّ هذه القوة سيتمّ تزويدها بست طائرات من طراز (V-٢٢) للانتقال السريع، وأسلحة خفيفة وقذائف هاون، بالإضافة إلى معدات فردية أخرى؛ من شأنها دعم عمليات الاشتباكات المحدودة ومهام الأمن وحماية المنشآت الأمريكية وإجلاء الأمريكيين، إلى جانب مهام البحث عن المفقودين وتقديم المساعدات الإنسانية[٣].

وفي هذا السياق؛ ذكرت بعض التقارير أنّ قوات أمريكية خاصة دخلت إلى (قاعدة أمشاش) العسكرية، القريبة من مدينة (تساليت)، في أقصى شمال شرقي مالي، والتي لا تبعد إلا بضع عشرات الكيلومترات عن الحدود الجنوبية للجزائر، وقد جاءت هذه القوات الأمريكية الخاصة في إطارٍ من التنسيق مع القوات الفرنسية الموجودة في المنطقة، على أن تواصل القوات الأمريكية الانتشار في مناطق أخرى من شمال مالي، ما يعني أنّ (قاعدة أمشاش)

(٣) أمريكا: تشكيل قوة للتدخل السريع بشمال إفريقيا، شبكة (CNN) الإخبارية، الأربعاء ٣ أبريل ٢٠١٣م.

العسكرية لم تكن سوى محطّةٍ أولى في إطار استراتيجية الانتشار الأمريكية على تراب الجارة الجنوبية للجزائر[1].

إنّ انتشار القوات الأمريكية في شمال مالي، وغرس قواعد عسكرية بالمنطقة لخدمة أهداف استراتيجية للإدارة الأمريكية، هو الهدف غير المعلن للولايات المتحدة وفرنسا، وإذا كان انتشار الجيش الأمريكي في شمال مالي يعتبر شأناً داخلياً في مالي ما دام أنه يتحرك في إطار حدود السيادة الماليّة، فإنّ وجود جنود أمريكيين بالقرب من الحدود الجنوبية للجزائر يشكّل تهديداً لأمنها واستقرارها[2].

## خاتمة: في مواجهة المقاربات الأمريكية:

أكّد المشاركون في المؤتمر الوزاري الثاني حول (تعزيز التعاون الأمني وتفعيله في منطقة الساحل والصحراء) (تشاد - سبتمبر ٢٠١٣م) الالتزام بمواجهة التحديات كافّة، والعمل على تحقيق الأمن والسلم الإقليميين، وشدّد الاجتماع على ضرورة دعم المنظومات الأمنية وتطويرها، وتوثيق التعاون في هذا المجال، والعمل على الحدّ من النشاطات الإرهابية، والتنبّه إلى خطورة الاندماج بين المجموعات الإرهابية في شمال مالي، وفي بعض الدول المجاورة لها.

ودعا الاجتماع إلى مزيدٍ من تكثيف التعاون والتشاور، والتنسيق وتبادل المعلومات، لتتمكن الأجهزة المعنية من مواجهة التحديات الأمنية التي تفرض على دول المنطقة حشد الإمكانيات والقدرات المتوفرة لدول الإقليم لمواجهتها، وتدارس رؤساء الأجهزة الأمنية في دول منطقة الساحل والصحراء خلال الاجتماع المصاعب والتطورات الخطيرة التي تشهدها منطقة الساحل والصحراء، وتداعياتها السلبية على الأمن الإقليمي برمّته، وبحث السبل والطرق للوصول إلى نتائج إيجابية وملموسة لمواجهة التحديات الأمنية كافّة.

وفي إطار هذه الدعوات؛ تأتي أهمية تأكيد عدد من الاعتبارات والتوصيات التي يجب الأخذ بها لمواجهة الاستراتيجيات الأمريكية في المنطقة، ومن ذلك:

١ - أنّ مثل هذه التوجّهات هي ما يجب تعزيزه وترسيخه لبناء مقاربة أمنية إفريقية في المنطقة؛ في مواجهة المقاربات الدولية التي تسعى لفرض هيمنتها على دول المنطقة والسيطرة على مقدّراتها، وعلى دول منطقة الساحل والصحراء أن تتحرك بسرعة في هذا الاتجاه، وتقوم بتنسيق جهودها مع منظمة دول غرب إفريقيا، وبالتشاور مع الاتحاد الإفريقي والأمم المتحدة، ولكن دون انتظارهما بالمبادرة، والعمل على تفعيل الاتفاقيات السابقة وتحسين بنودها، ووضع آليات متفق عليها لضمان تنفيذها على الأرض، وإنشاء (صندوق أزواد للتنمية والإعمار) بتمويل دولي لمباشرة النهوض بالمنطقة.

٢ - أنه في غياب حلٍّ توافقي سلمي، ومع طول أمد الحرب، واستمرار العمليات العدوانية والإرهابية، فإنّ الحرب ستمتد عبر دول المنطقة، فالمنطقة في معظم أرجائها تتّسم بهشاشة الدولة والصراعات الإثنية والعرقية والعشائرية، وتعاني عدم الاندماج والتكامل الوطني، واتساع مساحة الأقاليم، وصعوبة السيطرة عليها، والتحديات البيئية الصعبة، وطبيعة النُّظم السياسية.

٣ - أنَّ (حرب تحرير أزواد) و (تقسيم السودان) ليسا سوى قطرةٍ في بحر ما ينتظر المنطقة على المدى البعيد من تغيّراتٍ جوهريةٍ قد تُعيد إلى الأذهان ما حدث في قلب أوروبا، في البلقان ويوغسلافيا وفي الاتحاد السوفييتي، من تفتيتٍ وتشظٍّ وإعادة رسم الخرائط والحدود، وتأسيس عشرات الدول على حساب دول أخرى، بسبب: الدكتاتورية، والفساد، وكبت الحريات، وصراع الهويات، وتصادم اللغات

(١) كانت (قاعدة أمشاش) العسكرية محلّ تنافس بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، من أجل إنشاء قاعدة عسكرية فيها، غير أنّ كلاً من ليبيا والجزائر كانتا تقفان ضدّ أي وجود فرنسي أو أمريكي، وغربي عموماً، في (أمشاش) القريبة من (تيساليت).

(٢) محمد أميني: الجيش الأمريكي ينشر أولى قواته بالقرب من الحدود الجزائرية، ٢٠١٣/٦/١٩م. المصدر: http://elraaed.com/ara/watan

والثقافات، والعجز عن التكامل والاندماج والانصهار.

٤ – التشجيع على التعاون، وتنفيذ الاستراتيجيات والآليات الأمنية الموقّعة، وتعزيزها بما يشمل السلطات الليبية الجديدة، وتعزيز إدارة أثر الأزمة الليبية؛ بتوسيع نطاق التعاون الإقليمي ليشمل جميع البلدان المتأثرة في المنطقة برمتها، وتشجيع جهود تنفيذ العمليات الرامية إلى تعزيز فعالية مكافحة الإرهاب، وتعزيز مراقبة الحدود بما في ذلك بناء القدرات، وتشجيع تبادل المعلومات الأمنية، خصوصاً في عمليات ضبط الأسلحة، وضمان تطبيق مبدأ المطاردة الحثيثة على أساس اتفاقيات جماعية، وتفعيل التعاون الإقليمي بين الدول المعنية في مجال الاستخبارات الميدانية لجمع المعلومات الاستخباراتية البشرية، ورصد النشاطات الإرهابية ومتابعتها بين مختلف الوكالات والهيئات الاستخباراتية بين دول المنطقة.

٥ – دعم المبادرات الرامية إلى تعزيز الحوار، وزيادة قدرة المجتمعات المحلية على مواجهة الإرهاب ومقاومته، ومواصلة الدعم الدولي للدول الساحلية على تعزيز قدراتها في حماية حدودها ومراقبتها؛ بتقديم الدعم المادي واللوجيستي لها، وتعزيز قدراتها الأمنية، وتشجيع الدول الكبرى والمنظمات الدولية لعمليات التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدول الساحلية، وتقديم الدعم اللازم لها بغية تحقيق الاستقرار السياسي والأمني، وتجنّب تدخّل الدول الكبرى ذات المصالح في المنطقة، كفرنسا والولايات المتحدة، وتعزيز مبادرات الأمم المتحدة لتكثيف جهودها الرامية إلى حشد الموارد لإعادة الإدماج الاجتماعي والاقتصادي للسكان في منطقة الساحل الإفريقي.

٦ – العمل على استغلال التنافس الأمريكي الأوروبي على منطقة الساحل الإفريقي بما يحقّق مصالح دول المنطقة، وهو ما يمكن أن يتحقّق من خلال التكتل مع أطراف أخرى في إطار اتحاد المغرب العربي عن طريق إدخال لاعبين جدد، مثل الدول العربية عبر البديل الإقليمي العربي، أو التكتل

والتحالف مع الصين أو اليابان أو روسيا، وذلك لتنويع المبادلات التجارية، وتعزيز المركز التفاوضي لدول المنطقة لدى كلٍّ من الأوروبيين والأمريكيين.

٧ – أنَّ التصدي للتنافس الأورو–أمريكي على منطقة المغرب العربي يستدعي بذل مجهودات متناسقة من أجل تحقيق التنمية الشاملة، تتعدى الإمكانيات القُطرية، وتتطلب توحيد الجهود، والاستفادة من الموارد المتاحة على مستوى الاتحاد المغاربي، خصوصاً أننا نعيش في عصر التكتلات الاقتصادية الكبرى، والتي تفقد فيها الدول الضعيفة والمتشتتة وزنها، وتصبح مجرد تابعة في مجال العلاقات الدولية؛ تتأثر بانعكاساتها السلبية ■

## التصورات الدولية للأمن في منطقة الساحل الإفريقي:

# قراءة مقارنة بين التصوّرَيْن الأمريكيّ والفرنسيّ

**سمير قلاع الضروس**

باحث في الشؤون الإفريقية – الجزائر

**بالرغم** من الامتداد الجغرافي لمنطقة الساحل الإفريقي على أراضٍ قاحلة، ودول فقيرة، ومجتمعات متخلّفة ومتصارعة عرقيّاً وإثنيّاً، فإنّ المنطقة شكّلت مركز رهانات استراتيجية وحيوية، لكونها غنيةً بالثروات الطبيعية، والمصادر الحيوية، والطاقوية خاصّة.

وبالقراءة الجيواستراتيجية تُعتبر هذه المنطقة نقطة امتدادٍ جغرافيةٍ وحضارية، وعلى قدرٍ كبيرٍ من الأهمية الاستراتيجية، نظراً لتواصلها مع شمال إفريقيا، إفريقيا ما وراء الصحراء، ما أنتج اهتماماً متزايداً وكبيراً بها لدى القوى الكبرى، وبخاصة فرنسا: بالاعتماد على المحدّد التاريخي، والولايات المتحدة الأمريكية: بناءً على المعيار الواقعي، إضافة إلى الصين: بناءً على معطيات اقتصادية وسياسية، ودول أخرى صاعدة: تسعى لتحقيق النفوذ في عمق القارة الإفريقية.

في هذه الدراسة سنحاول إبراز أهمّ التصورات الأجنبية تجاه الأمن في منطقة الساحل الإفريقي، ورصد الأهمية الاستراتيجية للمنطقة ومكانتها في أجندة القوى الكبرى، سياسيّاً وأمنيّاً واقتصاديّاً، ومعرفة أهمّ الاستراتيجيات من خلال المحاور الآتية.

## المحور الأول: التصوّر الأمريكي للأمن في الساحل الإفريقي:

لم تعد دراسة السياسة الخارجية الأمريكية وفهمها مجرّد معرفة ودراسة، إنما باتت ضرورة، تفرضها آثار هيمنتها على العالم، وثقل تأثيرها في المجريات والأحداث، وتركيزها في المسائل المتعلقة بقضايا الاقتصاد والانفتاح الاقتصادي، وتشجيع نماذج الحكم الديمقراطي، وإظهار احترام المنظومة الدولية لحقوق الإنسان في العالم.

كما تميّزت السياسة الخارجية الأمريكية بتبنّيها قضايا الأمن في العالم، خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر، من خلال دعم الجهود الإقليمية والدولية؛ حينما يكون ذلك ملائماً، وتستند هاته الاستراتيجية على الاعتقاد بأنّ الوجود العسكري الأمريكي المتقدّم ما زال هو الحاجز المعتمَد عليه أمام المنافسين الجدد من القوى الكبرى[١].

### أولاً: إفريقيا في الاستراتيجية الأمريكية:

تكتسب القارة الإفريقية أهمية خاصّة لدى الدول الكبرى بصفة عامّة؛ نظراً لموقعها الجيواستراتيجي، حيث يتميز موقعها بأهمية حيوية من الناحية الجغرافية كونها تتوسط القارات، وفي خريطة البترول والنفط؛ بكونها تتوسط طريق التجارة النفطية القادمة من دول الخليج متوجهة إلى أوروبا وإلى الولايات المتحدة الأمريكية[٢]، ولا تقتصر أهمية القارة على اعتبارات الموقع فحسب، وإنما تتعداها للموارد الحيوية والطبيعية.

ولا يمكن فصل هذه القارة عن مجمل المصالح الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية في كلّ المجالات، حيث سعت الإدارة الأمريكية إلى تأسيس شراكة (أمريكية - إفريقية) جديدة خاصّة، من خلال التكوين والتدريب العسكري.

كما قامت الإدارة الأمريكية بمجموعة من الأفعال والسياسات؛ أهمّها[٣]:

١ - إصدار قانون التنمية الاقتصادية والفرص التجارية في إفريقيا، ومن أهم مرتكزاته: إعطاء مزيدٍ من الاهتمام السياسي، وتعزيز التعاون الاقتصادي.

٢ - طرح الإدارة الأمريكية - في إطار سياستها تجاه إفريقيا - مبادرات جديدة لمواجهة الأزمات السياسية والأمنية، تمثلت في مشاريع تهدف إلى تكوين وحدات عسكرية وطنية؛ لحفظ السلام في المناطق المتأزّمة والمتوترة جرّاء النزاعات والحروب.

التصوّر الأمريكي تجاه إفريقيا - بعد أحداث ١١ سبتمبر - ركّز في استراتيجية استباقية نابعة من مصالحها القومية، وليس من متطلبات المجتمع الدولي ومصالحه[٤]، وكانت - ولا تزال - القارة الإفريقية تمثّل محوراً مهمّاً في أجندة السياسات الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن أهمّ هذه السياسات:

- بناء قواعد عسكرية في بعض الدول الإفريقية.
- طرح مشاريع استثمارية واقتصادية في إفريقيا.
- طرح خطة سياسية لنشر الديمقراطية الأمريكية وفق المقاربة الليبرالية، مع أن الواقع يناقض ذلك.
- إعادة رسم الخرائط السياسية في إفريقيا.
- الوصول إلى مناطق الأزمات وتحديد مصائرها برؤية تتسق مع المصالح الأمريكية.

بعد أحداث ١١ سبتمبر واجه البيت الأبيض تحدّياً كبيراً في إعادة مراجعة عقيدته الأمنية، وهو ما أثّر بشكل كبير في الخطاب الأمني تجاه المنظومة الدولية بناءً على وثيقة الأمن القومي ٢٠٠٢م، وفي السياسة الأمريكية تجاه الدول والمنظمات، وخصوصاً في المجال الطاقوي[٥]، حيث أصبح هذا الأخير فاعلاً يتحكّم في العلاقات الدولية.

وبدأت الإدارة الأمريكية في فحص الدول الإفريقية من حيث (الإرهاب)، وطلبت العديد من المطالب؛ أهمّها[٦]:

- المشاركة الإفريقية في (التحالف ضدّ ما يسمى الإرهاب)،

---

(١) قاسم عبد الستار: الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وانعكاساتها على الحرب، مجلة البيان، العدد ٢، ٢٠٠٤م، ص ٣٢٠.

(٢) حمدي حسن عبد الرحمن: عسكرة العولمة ومخاطر التنافس الدولي في السودان، القاهرة: قضايا سياسية، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٦.

(٣) Carter Ham, United States Africa Command before the Senate armed Services committe, 7 march 2013, p 3.

(٤) Alex Calinicoss, "Great Strategie for American Impire", International Social, N 97, 2002, p 3.

(٥) زينب عبد العظيم: الاستراتيجية الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٤م، ص ٢١٨.

(٦) كمال مصطفى: أمريكا والإرهاب، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٧، شتاء ٢٠٠٢م، ص ٥٩.

إضـافةً للتعاون مع الاسـتخبارات الأمريكية، وتشـديد أمن الحدود الإفريقية.

– التعاون والتنسـيق الأمني مع الـدول والمنظمات الإقليمية، وبخاصـة الإفريقية، في مكافحة (المسلحين)، وتسليمهم للولايات المتحدة الأمريكية.

## ثانيـاً: الأهميـة الاسـتراتيجية للسـاحل بالنسـبة للولايات المتحدة الأمريكية:

بالرغـم مما تتسـم بـه الاسـتراتيجية الأمريكية، مـن كونها اسـتراتيجية كونية لا تقتصر على قارة أو إقليم أو منطقة، بل تشمل العالم قاطبة، فقد تغيّرت ملامح السياسـة الأمريكية[1]، وأصبحت أكثـر براغماتيـة، خصوصـاً بعـد أحـداث ١١ سـبتمبر، ومن هذا المنطلق ركـزت الولايات المتحدة الأمريكية فـي أبرز المناطق في القارة الإفريقية، بوصفها المناطق ذات الاهتمام المتزايد، وتشكّل مجالاً حيوياً ومركزاً استراتيجياً.

وكمـا لمنطقة (القـرن الإفريقـي) أهمية اسـتراتيجية؛ ففي الجهـة المقابلـة لها توجد منطقـة (غرب إفريقيا) التي أصـبحت محـلّ تنافـس دولـيٍّ، ومركـز اهتمام لـدى القوى العظمـى، ونجد الولايات المتحدة الأمريكية في صدارة هذه الدول.

تحتل هـذه المنطقـة (غـرب إفريقيا) مكانـة مهمّة فـي بُعدها الجغرافي، إذ يمتد هذا الإقليم من موريتانيا غرباً حتى النيجر شـرقاً، ومن موريتانيا شمالاً إلى ليبيريا جنوباً، ومن ليبيريا غرباً إلى نيجيريا.

ومـن ثمّ فـدول غرب إفريقيـا هي: (مالـي، غانـا، نيجيريا، النيجر، بوركينافاسـو، سـاحل العـاج، موريتانيا، غينيـا، غامبيا، بنين، توغو، ليبيريا، سيراليون، والسنغال)[2].

والقـارئ المتمعّـن فـي: (وثيقة الأمـن القومـي الأمريكي)، سـواء التي صـدرت فـي ٢٠ سـبتمبر ٢٠٠٢م، أو تلك التي صـدرت في ١٦ مارس ٢٠٠٦م، يرى أنّ هذه المنطقة أصـبحت ضـمن أعلى اهتمامـات الإدارة الأمريكية، وأنها تحتل مكانـة مهمّة في الأجندة الاسـتراتيجية لواشـنطن؛ نظراً لموقعها باعتبارهـا بوابة الدخول

**الولايات المتحدة مصرّة على تواجدها في منطقة الساحل الإفريقي بأيّ ثمنٍ، وذلك بسبب اطلاعها على معطياتٍ جيولوجية دقيقةٍ جدّاً بالأقمار الصناعية**

للقـارة الإفريقيـة، وقد نصّـت الوثيقـة الأخيـرة علـى أنّ إفريقيا تكتسـب أهمية جغرافية متزايدة، وتشكّل أولوية في جدول الأعمال، والفكـرة المحوريـة فـي الاهتمـام الاسـتراتيجي بمنطقـة غـرب إفريقيا، ولاسـيما: (تشـاد، النيجر، الكاميـرون، نيجيريا)، تتركز في المصلحة الاقتصادية العليا الأمريكية.

وتتعـدد دوافع الاهتمام الأمريكي بمنطقة السـاحل الإفريقي، ومن أهمّها:

١ – وضـع اليـد الأمريكية على مخزونات غـرب إفريقيا النفطية، وزيـادة الكميات المكتشـفة فـي المنطقة: ذلك أنّ ٧ مليارات من أصـل ٨ مليـارات برميـل نفط تمّ اسـتخراجها عام ٢٠١٠م، الأمـر الذي دفع بشـركات النفط الأمريكية، وبخاصـة إكسـون موبيل و شيفرون، لإقامة فروع ضخمة لها خلال السنوات الأخيرة في خليج غينيا الاستراتيجي[3].

٢ – الحصـول علـى النفـط بأسـعار منخفضـة: وذلـك لأنّ النفط الإفريقي يتمتع بمميزات متعددة بالنسـبة للولايات المتحدة الأمريكية؛ منها:

أ – قرب المسافة بين مناطق النفط في خليج غينيا الاستوائية ومصـافي البترول على الساحل الشـرقي لأمريكا؛ مما يوفّر نفقات الشحن.

ب – يسـتغرق نقلـه مـدة زمنية أقـلّ مقارنـةً بجلبه من مناطق أخرى.

ج – كمـا أنّ النقـل البترولي مـن غرب إفريقيا إلى مصـافي البترول وقواعـده في الولايات المتحدة يجنبهـا مخاطر النقل عبر

(١) زينب عبد العظيم، مرجع سابق الذكر، ص ٢١٩.

(٢) سعيد اللاوندي: ملامح سياسة أمريكية جديدة: بين الديماغوجيا والغطرسة، أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أهم وأخطر حدث في القرن ٢١، ونقطة تحوّل عظمى في سياسة الولايات المتحدة الامريكية، القسم الرابع من الدراسة، مجلة المتابع الاستراتيجي، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، مارس ٢٠٠٥م، ص ٢١.

(٣) حمدي حسن عبد الرحمن: السياسة الأمريكية تجاه إفريقيا من العزلة إلى الشراكة، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٤، ٢٠٠١م، ص ١٩٢.

قناة السويس والشرق الأوسط والقرن الإفريقي، وهي ممرات مائية تقع في بؤرة الصراعات الدولية.

٣ - محاصرة النفوذ الأوروبي، وبخاصة الفرنسي، وتحجيم وتقليص الدور الصيني في غرب القارة؛ من خلال زيادة الاستثمارات والصادرات في هاته المنطقة.

## ثالثاً: المبادرات الأمنية الأمريكية في منطقة الساحل الإفريقي:

إنّ الولايات المتحدة الأمريكية، ولتجسيد اهتمامها بالمنطقة، وتحويل خطابها الأمنيّ والسياسيّ - خصوصاً فيما يتعلق بـ (مكافحة الإرهاب) - إلى أفعال، اعتمدت مجموعة من المبادرات، اتخذت بُعداً أمنيّاً وعسكريّاً، نظراً لتوسّع الظواهر الإجرامية عبر كامل المنطقة، وهو ما تعدّه الإدارة الأمريكية أكبر تهديد لها، حيث اعتمدت هذه الأخيرة في تجسيدها للأمن على مبادرات تحمل الصفة الأمنية بامتياز؛ منها ما هي خاصّة بالساحل الإفريقي كمبادرة (بان ساحل Pan Sahel)، ومبادرة (مكافحة الإرهاب عبر الصحراء TSCTI)، ومنها مبادرة تشمل القارة الإفريقية كلها، في إطار البُعد العسكريّ أيضاً، تسمّى: (القيادة الأمريكية العسكرية الخاصة بإفريقيا: أفريكوم).

١ - مبادرة بان ساحل: مبادرة مكافحة الإرهاب في دول الساحل الإفريقي ٢٠٠٢م:

انطلقت واشنطن في تلك المبادرة من فرضية أساسية، وهي أنّ أمنها في القارة الإفريقية مرتبط بضرورة مكافحة الإرهاب في منطقة الساحل الإفريقي، ولهذا خصّص البيت الأبيض مبلغاً مالياً يفوق ٨ مليارات دولار لإعداد الجيوش وتكوينها، وهذا ما سمّي: مبادرة (بان ساحل)، وذلك في كل من: (تشاد، النيجر، مالي، موريتانيا).

ويرى العقيد في الجيش الأمريكي فيكتور نيلسون Victor Nelson، المسؤول عن برنامج (بان ساحل) في وزارة الدفاع الأمريكية، المختص في المسائل ذات الصلة بالأمن القوميّ، أنّ هذه المبادرة هي أداة مهمّة في: (الحرب ضد الإرهاب)، من خلال تكوين الجيوش، والدعم اللوجيستي في الساحل الإفريقي، إضافة إلى الاعتماد على نظام المراقبة الأمنية من أجل (مكافحة الإرهاب)[١].

ويأتي ذلك باعتبار أنّ منطقة الساحل الإفريقي أصبحت بالنسبة للإدارة الأمريكية بؤرة توتّر جديدة، ليس فقط في إفريقيا بل على مستوى العالم، فهناك تقديرات خاصّة بالتنمية البشرية تشير وتؤكّد أنّ مستوى المعيشة منخفض بالمنطقة، حيث يعيش أفرادها تحت عتبة ١ دولار في اليوم، والمصنف في أعلى هرم الفشل الخاصّ بالدول، الأمر الذي جعل من الولايات المتحدة الأمريكية تسارع في تكثيف نشاطها في المنطقة باسم هذه المبادرة التنموية العسكرية[٢].

٢ - مبادرة مكافحة الإرهاب عبر الصحراء TSCTI :

جاءت هذه المبادرة بعد ٣ سنوات من مبادرة (بان ساحل)، وهي امتداد لهذه الأخيرة، وتهدف إلى توسيع نطاق المشاركة، لتشمل - بالإضافة للدول الأربع - كلاً من: (الجزائر، والسنغال)، واعتماد كلٍّ من: (المغرب، وتونس، ونيجيريا) مراقبين.

ويمكن تعريف هذه المبادرة، كما جاء في الفصل الخامس من تقارير الدول حول (مكافحة الإرهاب) لوزارة الخارجية الأمريكية سنة ٢٠٠٦م، بأنها: (تهدف إلى هزيمة الإرهاب، وتدعيم القدرات العسكرية لجيوش دول المنطقة)، والشيء المختلف عن مبادرة (بان ساحل) هو: (تدعيم الجهود والدور التنسيقي لأمن دول الساحل والصحراء الكبرى، وتعزيز العلاقات العسكرية بين دول المنطقة والولايات المتحدة الأمريكية).

كما رغبت الإدارة الأمريكية أن يكون مقرّها في إحدى دول الساحل أو المتاخمة لهذه المنطقة (منطقة التماس المباشر بالساحل الإفريقي، كمنطقة غرب إفريقيا أو شمال إفريقيا)، إضافة إلى إلحاح الولايات المتحدة بأن يكون مقرّ القيادة في الجزائر إلا أن الجزائر رفضت ذلك، وتُعرف هذه القيادة باسم (قيادة أفريكوم)[٣].

---

(١) Tanguay Struye, Pan Sahel initiative, cpyright, janvier 2005, deplomate magagine; Obtenu dans ladresse electronique, 25 mars 2013 http://www.diploweb.com/forum/usafrica.html.

(٢) Lake Anthony and wihtman christine, More than humanitarian strategique Usapproches. toward africa.2012 and US, Departement of state country reports on terrorisme, Chapiter five_country report, africa review, 28 April 2006: Obtenu en site electronique suivant :

(٣) http://www.state.gov/s/ct/rls/2005/64335.html.

٣ - مشروع أفريكوم AFRICOM:

تعدّ عقيدة (الحرب على الإرهاب) السبب الرئيس وراء إنشاء (قيادة أفريكوم)، ويأتي ذلك جليًّا وراء الحجّة القائلة: إنّ الدول الضعيفة تشكّل القدر نفسه من الخطورة الذي تشكّله الجماعات الإرهابية على أمن الولايات المتحدة الأمريكية؛ لوجود ارتباط بين انعدام التنمية وانتشار الإرهاب.

وقد أشار العديد من المحللين السياسيين لهذه العملية بوصفها خطاباً (تنمويًّا - أمنيًّا)، وبسبب انتشار هذه الفكرة لم تعد البيانات التي تُصدرها أفريكوم تُخفي دافع (مكافحة الإرهاب)[١] وراء المبادرة، وقد ابتلعت معظم البلدان الإفريقية هذه الحجّة.

جديرٌ بالذكر أنّ إنشاء (أفريكوم) لم يكن أول مبادرة تستخدمها الولايات المتحدة لاختراق الدول الإفريقية تحت غطاء: (مكافحة الإرهاب)، حيث فتحت الولايات المتحدة الأمريكية غطاءً مبادرات إقليمية مثل: (تجمّع دول الساحل والصحراء) مثلاً.

واصلت واشنطن أجندتها المسمّاة: (الحرب على الإرهاب) التي تركّزت - بعد أحداث ١١ سبتمبر - في تنسيق جهود مكافحة الإرهاب مع الدول الإفريقية، مثل: (مالي، موريتانيا، الجزائر، والنيجر)[٢].

حيث تقول في هذا الصدد الباحثة كلوديا أنياسو Claudia Aniaso أنه بعد خمسين سنة بدأت وزارة الدفاع بالتسليم بأهمية إفريقيا الاستراتيجية؛ من خلال إنشاء قيادة عسكرية مكرّسة خصيصاً لاحتياجات إفريقيا الأمنية، ولن يكون لزاماً على الولايات المتحدة الأمريكية أن تتعامل مع القيادات الثلاث السابقة: "EUCOM" و"CENTCOM" (هذه ليست في إفريقيا) و "PACOM"[٣].

و (أفريكوم): هي القيادة العسكرية الأمريكية في إفريقيا، التي اتخذ الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش قراراً بإنشائها في ٦ فيفري (فبراير) ٢٠٠٧م، كي تكون مركزاً مستقلاً للقيادة العسكرية الأمريكية في القارة الإفريقية، يتولّى مهمّة تنفيذ البرامج المتعلقة بالأمن والاستقرار.

ويعود تأسيس أفريكوم إلى أمرين مهمّين:

١ - إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على دخول دائرة التنافس مع أوروبا وآسيا في إفريقيا، خصوصاً مع تزايد الأهمية على الموارد الحيوية، في مقدمتها: النفط واليورانيوم.

٢ - تزايد الأخطار التي بدأت تهدّد السفارات والشركات الأمريكية في إفريقيا منذ الهجوم المزدوج على سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في نيروبي و دار السلام عام ١٩٩٨م، ثم تفجير السفينة الأمريكية (كول) في خليج عدن بالبحر الأحمر سنة ٢٠٠٠م، وتزايد النشاط الإرهابي في القرن الإفريقي[٤].

وفي تقرير خاصّ بلجنة الأزمات الدولية، صادر في ٢٠٠٥م، تحت عنوان: (الإرهاب الإسلامي في الساحل.. حقيقة أم وهم؟)، ينصّ التقرير على تعاظم النشاط الإرهابي في المنطقة، مستدلين بالتنظيمات والتشكيلات الإرهابية الموجودة، كتنظيم القاعدة والجماعات الإرهابية المنتشرة في عمق القارة، وبالرغم من كلّ المحاولات التي قامت بها الإدارة الأمريكية، وغيرها من الدول التي اندمجت في إطار (مكافحة الإرهاب)، فإنّ هذا التنظيم اليوم

(١) أحمد إبراهيم محمود: أفريكوم وتحولات السياسة العسكرية الأمريكية تجاه إفريقيا، مجلة آفاق إفريقية، العدد ٢٧، ٢٠٠٨م، ص ٨.

(٢) محمود خلف: الاستراتيجية الأمريكية لقيادة إفريقيا العسكرية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٨، أفريل (أبريل) ٢٠٠٧م، ص ١٩٠.

(٣) قاسم نصر الدين: أفريكوم وحدود أمريكا الجديدة، جريدة القبس، العدد ١٢٤٥٤، السنة ٣٦، فيفري (فبراير) ٢٠٠٨م، ص ٣.

(٤) خيري عبد الرزاق جاسم: قيادة عسكرية أمريكية لإفريقيا فرصة أمريكية ومحنة إفريقية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢١ (شتاء ٢٠٠٩م)، ص ٩٩.

**لفرنسا وجود عسكري في 5 دول إفريقية، وهي أيضاً مرتبطة بالعديد من الدول الإفريقية باتفاقيات للتعاون العسكري**

أصبح أكثر خطورة وتخصّصاً في مناطق معينة، كفرع القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي AQMI ، الذي يتمركز في منطقة الصحراء الكبرى، كما لا يزال يضرب المصالح الأمريكية إلى يومنا[1].

### وختاماً لهذا المحور:

نرى أنّ الاستراتيجية الأمريكية في شريط (الساحل الإفريقي)، إضافة إلى منطقة (الصحراء الكبرى)، ما هي إلا امتداد أو جزء من سياقٍ شاملٍ واستراتيجية متعددة الأبعاد، تعمل إدارة واشنطن على تحقيقها في عدة أقاليم من العالم، لذا تنظر الولايات المتحدة للعالم بمنطق المصلحة، وهذا المنطق ليس حديث العهد في العقيدة الاستراتيجية الأمنية الأمريكية؛ باعتبارها المستوى الأول في مقاربتها من خلال مستوى الاستراتيجية الكونية.

## المحور الثاني: التصورات الأمنية الفرنسية في منطقة الساحل الإفريقي:

يعود الوجود الفرنسي في القارة الإفريقية إلى العهد الاستعماري، حيث كانت فرنسا تسيطر على مناطق عديدة في القارة، وبعد استقلال دول هذه المناطق بقيت مرتبطة ارتباطاً سياسيّاً وأيديولوجيّاً وثقافيّاً بالكيان الفرنسي، وهذا من خلال الاتفاقيات السياسيّة والأمنية والتاريخية، مما سمح لها بالتدخل في الشؤون الداخلية إلى حدٍّ يصل إلى رسم القرار وصنعه بما يتوافق وتوجّه الدولة الفرنسية وسياستها، وذلك من خلال مجموعة من الآليات التي تنفذ بها سياستها الأمنية في القارة، والتي عرفت تطوّراً كبيراً بعد الحرب الباردة.

ومن هنا تثور إشكالية رئيسة في هذا المبحث:

هل السياسات الأمنية الفرنسية في القارة، أو في منطقة الساحل الإفريقي، امتداد للاستعمار الفرنسي للقارة؟ أو أنها استراتيجية فرنسا للعودة للمنطقة والقارة بناءً على المعطيات التاريخية؟

### أولاً: الأهمية الاستراتيجية للساحل الإفريقي بالنسبة لفرنسا:

لقد خضعت دول الساحل للاستعمار الفرنسي نفسه، واستقلت: (النيجر، تشاد، مالي، موريتانيا) في عام ١٩٦٠م.

تقوم التركيبة الاجتماعية في هذه الدول الإفريقية على النظام القبليّ والإثنيّ، وتوجد فيها المئات من العرقيات والإثنيات المتصارعة، حيث عملت فرنسا على تطبيق سياسة (فرّق تسد)، ولا تزال هذه الصراعات قائمة إلى يومنا هذا، واعتمدت فرنسا، لضمان بقائها وبقاء التبعية التاريخية والسياسية لها في هذه البلدان، على غرس الروح الفرنكفونية، حتى أصبح بعضٌ من دوائر

(١) Jean Pierre Filiu, "Could Al-Qaeda Turn African in the Sahel", Carnegie Papers, Carnegie Endowment for international peace, N 112, june 2010, p 3.

القرار الفرنسي يسمّيها: (الساحل الفرنكفوني)، فكوّنت نُخباً سياسية تدين بالولاء لفرنسا؛ باعتبار أنّ هذه الأخيرة يطغى عليها مبدأ المصالح تجاه هذه البلدان، ومجمل هذه المصالح هي:

- المصالح الاقتصادية: القائمة على الموارد المعدنية والحيوية والبترولية.
- المصالح الثقافية: من خلال غرس القيم الفرنسية.
- المصالح السياسية: بناءً على مبدأ كسب الأصوات لصالح فرنسا في المنظمات الدولية[1].

أما أهمّ رهان لباريس فهو: حماية مصالحها الحيوية والاستراتيجية، والتموقع في المنطقة أكثر، حيث ترى فرنسا أنّ أمنها القومي يمتد إلى غاية هذه البلدان، فصانع القرار في الإدارة الفرنسية يرى أنه لا توجد قطيعة بين الأمن الداخلي والخارجي في تعزيز النفوذ الفرنسي في الساحل[2].

ومن الملاحظ أنّ فرنسا ليس لها أبواب مفتوحة للعودة إلا من باب الأزمات المشتعلة، وأغلب التدخلات الأجنبية في القارة الإفريقية كانت فرنسية، مثل تدخلها في تشاد في جانفي (يناير) ٢٠٠٩م لإنقاذ حكم الرئيس إدريس ديبي Idris deby الذي كان على وشك السقوط بعد الأزمة السياسية التي عصفت بتشاد، والتدخل في ٢٠١١م لإسقاط حكومة لوران غباغبو ضدّ الرئيس الحالي الحسن واتارا في كوت ديفوار الذي يقود حالياً (الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا)؛ مما ساهم بشكل كبير في عملية التدخّل الفرنسي بسرعة في مالي، بالتنسيق مع (الإيكواس)، بعد الانقلاب العسكري ضد الرئيس المالي الأسبق أمادو توماني توري، كما لفرنسا وجود عسكري في ٥ دول إفريقية من خلال عدة اتفاقيات، وهي أيضاً مرتبطة بالعديد من الدول الإفريقية باتفاقيات للتعاون العسكري[3].

(١) إجلال رأفت: السياسة الفرنسية في إفريقيا جنوب الصحراء، السياسة الدولية، العدد ١٤٥، جويليه (يوليه) ٢٠٠١م، ص ٢٣.

(٢) حفيظ صواليلي: الساحل الإفريقي يستقطب الأطماع ويرسم استراتيجيات الغرب الأمنية، متحصل عليه من الموقع الإلكتروني بتاريخ ٢٩ مارس ٢٠١٣م، من خلال الرابط الآتي: http://www.elkhabar.com/dosseirsp/ida&=1pagereduction/mars/2010.

(٣) محند برقوق: التدخل الفرنسي سيحوّل المنطقة إلى مستنقع وسيخلق أزمة سياسية غير مسبوقة، حوار أجري بجريدة الحوار الجزائرية، العدد، ص ٥، في يوم ١٣ جانفي (يناير) ٢٠١٣م.

**فرنسا ليس لها أبواب مفتوحة للعودة إلا من باب الأزمات المشتعلة، وأغلب التدخلات الأجنبية في القارة الإفريقية كانت فرنسية**

## ثانياً: المقاربة الأمنية الفرنسية في منطقة الساحل الإفريقي:

شهدت منطقة الساحل الإفريقي حراكاً دراماتيكيّاً متسارعاً، أدى لتعقّد الأوضاع الأمنية، خصوصاً بعد الانقلاب العسكري على سلطة توماني توري في مالي، وتنام كبير للتهديدات الأمنية، إضافة للأزمة الأمنية الليبية، خصوصاً بعد سقوط نظام معمر القذافي، حيث أصبحت الحركات المسلحة أقوى من أي وقت سبق، من حيث التنظيم والتعداد ونوعية السلاح الممتلك، كما وجدت تلك الحركات ملجأً آمناً لها في شمال مالي، فقد ظهرت حركتان مستقلتان عن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وهما: (أنصار الدين) و (التوحيد والجهاد)، إضافة لمجموعة من الكتائب، وظهور حركة انفصالية تدعو لتكوين كيان دولة على أساس عرقيّ، وهي: (الحركة الوطنية لتحرير الأزواد MNLA)، المنتشرة في أقاليم: (كيدال، غاو، تمبوكتو)، من ثم تمخّض فراغ في السلطة المالية نتيجة التمرد على مستوى شمال مالي، والتمرد على مستوى السلطة، وأصبح تقسيم مالي أمراً وارداً، خصوصاً بعد تقسيم المهام بين هذه الحركات على مناطق الشمال، وفي ظلّ الأزمة المتفاقمة طلبت الحكومة المالية في سبتمبر ٢٠١٢م مساعدة تقنية وعسكرية من (المنظمة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا)[4].

(٤) فردينارد دوريتارس: مقاربة أوروبية حول التهديدات الإرهابية في منطقة الساحل، متحصل عليه من موقع أنباء الموريتانية، بتاريخ ٧/ ١٠/ ٢٠١٢م، من خلال الرابط الآتي: http://www.alakhbar.info/26750-0--BA0BC0F-FC--F-BCC-F5-FFCF.html

فرنسا في ظلّ الوضع المعقّد في إفريقيا، ليس في شمال مالي، بل في شريط واسع واقع بين نهر السنغال من واجهة المحيط الأطلسي إلى جزيرة السودان، ومنطقة القرن الإفريقي المطلة على المحيط الهندي، ومن الجنوب الجزائري إلى شمال نيجيريا، تسعى للحفاظ على مكتسباتها التاريخية، والطاقوية بشكل أخصّ، كون الأهمية الاستراتيجية للمنطقة بالنسبة للإدارة الفرنسية تتجلّى في ثرواتها الطبيعية، إضافة إلى هذا كلّه وجود حوالي ٦٠٠٠ مواطن فرنسيّ مقيم بجنوب مالي، وفي العاصمة باماكو، ناهيك عن اعتبار تنظيم القاعدة والحركات المرتبطة به في منطقة الساحل الإفريقي الفرنسيين هدفاً أولياً للخطف، وعلاوة على ذلك تنتج فرنسا ما يقدّر بحوالي ٢٠ ٪ من كهربائها من الطاقة النووية، ومن شركاتها شركة أوراسن وشركة أريفا العملاقة لإنتاج الطاقة النووية، ويتم استخراج اليورانيوم في كلٍّ من الحدود المالية النيجيرية وإفريقيا الوسطى، وهكذا نلاحظ أنّ المصالح الفرنسية مرتهنة بوجود الأمن والاستقرار في المنطقة[١].

وبناءً عليه تهدف المقاربة الأمنية الفرنسية من التدخل في شمال مالي إلى جملة من الأهداف الاستراتيجية المهمّة، منها:

– ضمان استمرار النفوذ الفرنسي في منطقة الساحل الحيوية.

– حماية مناطق نفوذها التقليدي في إفريقيا وتسييجها من مخاطر التنافس الأمريكي، والصيني خاصّة.

– تسعى فرنسا من خلال تدخلها العسكري المباشر إلى وضع حدٍّ لنفوذ القاعدة في المنطقة، وخصوصاً في شمال مالي من خلال عملية سيرفال Serval[٢]، وتهدف أيضاً إلى الحدّ من قدرات القاعدة في التوسع والانتشار جغرافيّاً وبشريّاً، وبناء قدرات عسكرية قتالية عالية، إضافة لاسترجاع السيطرة على دولة مالي[٣].

– تحاول فرنسا – من خلال هذه المقاربة – أن تضع حدّاً لكلّ الأنشطة المهدِّدة لمصالحها الحيوية، والتنقل بالأموال

(١) فريدوم أوتوها: التدخل العسكري الفرنسي الإفريقي في مالي والمخاوف الأمنية المتفاقمة، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، فيفري (فبراير) ٢٠١٣م، ص ٤.

(٢) فريدوم أوتاها، مرجع سابق ذكره، ص ٩.

(٣) مرجع سابق، ص ٩.

والسيارات الرباعية الدفع في منطقة الساحل الإفريقي[٤].

– كما تهدف المقاربة الفرنسية إلى الضغط على الأوعية التنظيمية للحركات المسلحة، وتسعى كذلك – حسب لوران فابيوس – لإنهاء الاضطراب في البلاد في بُعده الأمني والسياسي.

## المحور الثالث: فرنسا وأمريكا: بين التعاون الدولي في مكافحة الإرهاب، والتنافس على المصالح الكبرى للمنطقة.. رؤية تقييمية:

تعطي الاستراتيجية الأمريكية للشريط الساحلي اهتماماً للتعاون مع فرنسا، في مجال التأطير والتنسيق العسكري للقوات الخاصّة لمختلف دول المنطقة، وبرعاية من (الإيكواس)، حيث تتمثل المهمّة الأساسية للبنتاغون في المنطقة في محاربة:

١ – (المجموعات الإسلامية المسلحة) في القرن الإفريقي (الصومال).

٢ – (القاعدة) في بلاد المغرب العربي.

٣ – جماعة (بوكوحرام) في نيجيريا.

وذلك عن طريق استراتيجيتين:

(٤) Mali : “Sécuriser dialoguer et réforme en profondeur”, Rapport Afrique, N 201, 11 avril 2013, p 7.

أ – تكويـن القوات الإفريقيـة المحلية وتدريبها في نطاق برنامج (التعاون على مكافحة الإرهاب).

ب – التنسـيق الأمني والاسـتخباراتي مع القوى الكبرى، وبخاصـة فرنسا، من أجل تغطية المناطق الهشّة والصعبة في ساحل الأزمات.

ومع بدء عملية سـيرفال serval حدث تنسـيق مباشر بيـن باريس وواشـنطن، أبـرزه وزيـر الدفـاع الأمريكي ليون بانيتا، الذي صرّح بكلّ وضوح، عند بداية العمليات الفرنسية، بأنّ المسـؤولية تحتم على أمريكا تقديم المسـاعدات لفرنسا فـي حربها على: (الجماعات الإجرامية والإرهابية)، إضـافة لإعطـاء عنايـة أكثر لقـوات (أفريكـوم) والقـوات الإفريقية الموجودة في مالي.

ولا شـك أنّ واشـنطن تـوّد العمـل بشـكلٍ مشـترك فـي إفريقيـا، وقد أبـدت رغبتها عدة مرات في التعـاون المتبادل بشـكلٍ أعمق مع فرنسـا؛ لوجود قواسـم عديدة مشتركة تميّز السياسة الخارجية لكلٍّ من الدولتين، فهما:

– ترفعـان معـاً – وبدعـم المجموعـة الدولية – شـعار: (مكافحة الإرهاب).

– وتريـان فـي كلّ تنظيم مسـلّح، فـي أية دولـة، تهديداً مباشراً لأمنهما القومي ومصالحهما الحيوية.

وبالرغم من أنّ الدولتين قد تختلفان تكتيكيّاً، فيما يتعلق بالضـربات التـي توجهها الطائـرات الأمريكية بـدون طيـار، والعمليات التي توجهها القوات الخاصّة الأمريكية خارج نطاق التحالـف، حيث ترى الولايـات المتحدة أنه لا مجـال للتعاون فـي مثل هـذه العمليـات؛ لأنّ القضـية تتعلق بأمر جدّ سـريٍّ، وبالسياسـة الدفاعية الأمريكية؛ كما تصـفها باستراتيجيات Smart Power الأمريكية، فإنّ لهما الهدف نفسه الذي يتجـاوز (محاربة الإرهـاب)، ويتعداه إلى السـيطرة وتعزيز النفوذ في المنطقة.

وبالمقابل من هذا التعاون والتنسـيق الأمريكي الفرنسي في سـاحل الأزمـات؛ نلاحظ نوعـاً من الانفراديـة في اتخاذ القـرارات مـن الدولتيـن؛ باعتبـار أنّ لـكلٍّ منهمـا رؤيتهـا واسـتراتيجيتها للمحافظـة على مصـالحها ونفوذهـا، فكما لفرنسا مصـالح وأهداف في القارة الإفريقية؛ توجد مصالح مهمّة أيضـاً للولايـات المتحـدة الأمريكية، لا تريـد التفريط فيهـا، وتعمـل على بلوغهـا بالاعتمـاد على عتادها العسـكري المتطور، وبالتنسيق مع شركاء المنطقة.

كمـا نلاحـظ أنّ التعاون والتقـارب بين الدولتيـن يقابله تنافسٌ كبيرٌ على بسـط النفوذ في المنطقة؛ وفقاً لمدركات كلٍّ منهما للأهمية الاقتصـادية والاستراتيجية والحيوية للساحل، إضـافة إلى وعي واشنطن بأنّ دور الريادة في صناعة السياسة والأمـن والتدخل في الشـؤون الداخليـة للبلدان تتقنه فرنسـا جيداً بوصفها المستعمر القديم، والمتمكنة في فَهْم التعقيدات الأيديولوجية والفكرية، والعارفة بخبايا المنطقة وأسرارها.

## النتائج العامّة لما سبق:

نسـتخلص مما سـبق أنّ الأهداف الأمنية والاقتصـادية لفرنسا في الساحل الإفريقي واضحة، فعَيْن لها على الحركات المسـلحة، وعَيْن أخرى على حوض (تاودني)[1] أقصى شمال مالي الغني بالنفط والغاز، حيث تتمركز القوات الفرنسـية في كلٍّ من: (غاو، وكيدال، وتمبوكتو).

كما يشـكّل الأمن غاية للولايات المتحـدة، وأولوية مهمّة لسياستها الخارجية، منذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، تسعى إلى تحقيقها بوسـيلة التدخل الإنسـاني، وبالإنفاق العسكري، للتمركـز فـي الفراغات المشـكّلة داخل الفضـاء السـاحليّ، مما يعني أنّ القيادة العسـكرية الأمريكية في إفريقيا سـتكون ملتزمـة وملزمـة بتطبيق هذه العقيـدة في القـارة الإفريقية؛ تحت ذريعة أنّ الأمن القومي الأمريكي يقتضي ذلك؛ خصوصاً في مجال (مكافحة الإرهاب)[2].

## خاتمة:

وختامـاً.. فـإنّ الوجـود الفرنسـي ومحـاولات التموقـع الأمريكـي بمنطقـة السـاحل الإفريقـي تفسّـره العديـد مـن الاعتبارات الاقتصـادية، فهذه المنطقة، انطلاقاً من الجنوب الجزائري وصـولاً إلى خليج غينيا غرباً، وإلى منطقة إفريقيا الوسطى، تنامُ على ثروات باطنية عظيمة، وبخاصة: (النفط، الذهـب، اليورانيوم)، قد تتحول إلـى بديلٍ للتزود بالطاقة في

(١) يقع حوض (تاودني)، الذي يعد أكبر حوض رسوبي في غرب إفريقيا، على مساحة تقدّر بـ ١,٥٠٠,٠٠٠ كم، بين: (موريتانيا ومالي والجزائر)، ويمتد حتى حدود بوركينافاسو، وتقوم شركة توتال الفرنسية بأعمال حفر في الجزء الموريتاني من الحوض على بعد ١٠٠ كم شرق مدينة ودان.

(٢) خيري عبد الرزاق جاسم، مرجع سابق الذكر، ص ١٠٣.

**خريطة: منطقة الخطر في منطقة الساحل الإفريقي بالنسبة للإدارة الفرنسية**

www.monde-diplomatique.fr/cartes/afriqueverte Source

ظلّ الأوضاع التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط، علماً بأنّ فرنسا تقرّ صراحةً بأهمية المنطقة جيواستراتيجيًّا وتاريخيًّا، كما ترى في منطقة الساحل الإفريقي ومنطقة غرب إفريقيا سلّتها الاقتصادية وسوقها الاحتياطي، وبوابة كبرى للدخول للعمق الإفريقي الساحلي.

ولهذه الأسباب نستنتج أنّ العديد من القوى الدولية الكبرى لا تريد الاستقرار لمنطقة الساحل الإفريقي لأسباب جيواستراتيجية واقتصادية واضحة، ومنها غنى بلدان المنطقة بالثروات الطبيعية.

إذن يمكن القول بأنّ الوضع الراهن في المنطقة يتّسم بالخطورة بسبب:

١ - الإصرار) الفرنسي والأمريكي) على تواجدهما العسكري في منطقة الساحل الإفريقي بحجّة أمنيّة.

٢ - وجود دواعٍ غير أمنيّة لا تمّت بصلة لموضوع مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة والتهديدات الأمنية الناتجة عن الفراغ الأمني ومساعدة دول المنطقة، فبالرغم من وجود قناعة أمريكية بأنّ وجودها العسكري والأمني في المنطقة، أو في أي دولة من دول العالم، هو أكبر سبب يغذّي (الإرهاب) الذي يجد الحجّة جاهزة، وهي: (مقاومة المحتل)، فإنّ الولايات المتحدة مصرّة على تواجدها في منطقة الساحل الإفريقي بأيّ ثمنٍ، وذلك بسبب اطلاعها على معطيات جيولوجية دقيقة جدّاً بالأقمار الصناعية، ومختلف الوسائل التقنية الحديثة، تؤكد وجود كميات ضخمة من الثروات الطبيعية بالمنطقة.

**وبناءً على ما سبق:**

نرى أنّ هذه التصورات الأمنية والتدخلات الغربية تعيق بناء الدولة في هذه المنطقة، وبخاصة مسألة التنمية التي تعدّ عنصراً أساسيًّا لتحقيق الأمن.

كما نرى أنه يتمّ تضخيم (ما يسمى التهديد الإرهابي) لإيجاد مسوّغٍ للتدخل العسكري والتموقع بالمنطقة لدواعٍ استراتيجية، وإعادة رسم الخريطة السياسية في إفريقيا؛ بناءً على هذه المصالح التي تسعى كلٌّ من الولايات المتحدة وفرنسا إلى الوصول إليها.

وعليه؛ نستنتج أنّ أقرب حلٍّ لتحقيق الأمن هو: التنسيق والتعاون بين دول منطقة الساحل الإفريقي، من خلال مقاربتها الأمنية لإعادة السلم والاستقرار للمنطقة، باعتبار أنّ التعاون الأمني يجب أن يكون في إطاره الإقليمي؛ لأنّ أي تدخلٍ خارجيّ يمثّل ضربة قاسية للأمن على المستوى الوطني والجهوي ■

# الاقتصاد الإفريقي وفرص النهضة والتنمية

د. جميل حلمي عبد الواحد
دكتوراه في الاقتصاد (جامعة القاهرة)، ومستشار اقتصادي

تحتل القارة الإفريقية السمراء موقعاً استراتيجيّاً يتوسط الكرة الأرضية، بمساحة إجمالية تبلغ ٣٠،١٩٠ مليون كم٢، كما توجد بها أنهار مائية عريقة، مثل: (نهر النيل، ونهر النيجر، ونهر الزمبيزي) وغيرها، وترتفع بها معدلات تساقط الأمطار، وتكثر بباطن أراضيها المياه الجوفية، حيث تبلغ الطاقة الكامنة للريّ في إفريقيا ما يزيد عن ٤٢،٥ مليون هكتار.

وأراضيها الخصبة يمكن أن تكون سلّة العالم للغذاء، حيث تقدّر نسبة مساحة الأراضي الصالحة للزراعة فيها بحوالي ٣٥ ٪ من إجمالي مساحة القارة، يُستغل منها فقط حوالي ٧ ٪.

كما تزخر قارة إفريقيا بالذهب الأسود (النفط)، والغاز، في كثير من البلدان، كما تمتلك أكبر مخزون للعديد من المعادن الاستراتيجية والثروات المعدنية.

ويوجد بها العديد من الأماكن السياحية الخلابة؛ يكفي أنّ مصرنا الحبيبة يوجد بإحدى مدنها العريقة، وهي مدينة الأقصر، ثلث آثار العالم.

وبالنظر إلى ثرواتها البشرية؛ فعدد سكان إفريقيا يزيد عن مليار نسمة، والقوة البشرية من المفترض أن تكون من أهم عوامل قوة الدول، فمن خلال سواعد رجالها يزرع السكان ويحصدون وينتجون.

وعلى الرغم مما سبق؛ فإنّ الفقر في إفريقيا يُعدّ ظاهرة تجعل القارة مجالاً خصباً للدراسة، ذلك أنّ ندرة الموارد هي أساس المشكلة الاقتصادية التي يستغرق الاقتصاديون كثيراً من أوقاتهم فيها بحثاً عن حلول للتعاطي معها، ولكن أي نوع من أنواع الندرة تلك التي جعلت القارة الإفريقية بهذا الوضع السيئ، هل هي ندرة مائية، أو ندرة بشرية، أو ندرة نفطية، أو هناك أسباب أخرى؟ كما أنّ المتأمل في واقع الفقر في العالم خلال الأعوام الثلاثين الماضية يلاحظ انخفاض معدلات الفقر بشكلٍ عامٍّ؛ غير أنها بشكلٍ خاصٍّ تزداد في إفريقيا، وذلك على الرغم من توافر العديد من الفرص التي يمكن من خلال استغلالها تحسين مستوى معيشة المواطنين.

**جدول رقم (١): المؤشرات الاقتصادية الأساسية لقارة إفريقيا عام ٢٠١٠م**

Source: African Development Indicators، ٢٠١٢/٢٠١٣

| المؤشر | وحدة القياس | القيمة |
|---|---|---|
| عدد السكان | مليون نسمة | ١٠١٠,٣ |
| متوسط معدل النمو السكاني | ٪ | ٢,٣ |
| المساحة | كم٢ | ٢٩٣٧٨ |
| الكثافة السكانية | شخص / كم٢ | ٣٤,٤ |
| نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي | دولار- بالأسعار الثابتة لعام ٢٠٠٠ | ٩٢٦ |
| متوسط معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي | ٪ (٢٠٠٠ - ٢٠١٠) | ٢,٦ |
| العمر المتوقع عند الميلاد | سنة | ٥٧,٢ |
| نصيب الفرد من المساعدات التنموية | دولار | ٤٧,٣ |

## حجم السوق الإفريقي:

يبلغ عدد سكان القارة الإفريقية وفقاً لإحصاءات عام ٢٠١٠م نحو ١٠١٠,٣ مليون نسمة، ويتركز نسبة ٦٢ ٪ من سكان القارة في عشر دول، هي: على التوالي: (نيجيريا، وإثيوبيا، ومصر، وجمهورية الكونغو الديموقراطية، وجنوب إفريقيا، وتنزانيا، وكينيا، والجزائر، والسودان، وأوغندا)، حيث تحتل نيجيريا المركز الأول من حيث عدد السكان؛ بما يقدّر بنحو ١٦١,٦ مليون نسمة، وبما يشكّل نسبة ١٦ ٪ من سكان إفريقيا، وفي المركز الثاني تأتي إثيوبيا بعدد سكان يبلغ ٩٢,٩ مليون نسمة (٩,٢٪)، وتأتي مصر في المركز الثالث بعدد سكان بلغ ٩١,١ مليون نسمة (٩ ٪)، وتعدّ دولة سيشل أقلّ دول إفريقيا في عدد السكان، حيث يبلغ عدد سكانها ٠,١ مليون نسمة، وبشكلٍ عامٍّ فقد زاد عدد سكان القارة من ٢٢١ مليون نسمة عام ١٩٥٠م إلى ما يزيد عن مليار نسمة حالياً، ومن ثمّ فإنّ إفريقيا، وهي أكثر قارات العالم فقراً، تُعدّ من أكثر القارات في معدل النمو السكاني.

## مستوى معيشة المواطنين الأفارقة:

يبلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في إفريقيا عام ٢٠١٠م نحو ٩٢٦ دولاراً، وباستبعاد دولة جنوب إفريقيا التي يرتفع فيها المتوسط ليصل ٢٣١٣ دولاراً؛ يبلغ المتوسط الإفريقي فقط ٤٥٨ دولاراً.

وبترتيب الدول الإفريقية يتضح أنّ أفضل مستوى معيشي يوجد في دولة سيشل، حيث يبلغ متوسط نصيب الفرد ٨٧٨٨ دولاراً، يليها على التوالي: (غينيا الاستوائية، وموريشيوس، والجابون، وبوتسوانا، وجنوب إفريقيا، وتونس، وناميبيا، والجزائر)، وتأتي مصر في المركز العاشر بمتوسط يبلغ ١٩٧٦ دولاراً سنوياً.

أما أفقر الدول الإفريقية من حيث متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي - دون الأخذ في الاعتبار كلاً من: (ليبيا، وجيبوتي، والصومال، وساوتومي، حيث لا تتوفر عنها بيانات) - فهي جمهورية الكونغو الديموقراطية بمتوسط بلغ ١٠٦ دولارات، تليها على التوالي كلٌ من دولة: (بوروندي، وإريتريا، وغينيا بيساو، والنيجر، ومالاوي، وإثيوبيا التي يبلغ المتوسط فيها ٢٢١ دولاراً).

### متوسط أعمار شعوب القارة الإفريقية:

يبلغ متوسط العمر المتوقع عند الميلاد في جميع الدول الإفريقية ٥٧,٢ عاماً، غير أنه يوجد تفاوت كبير بين الدول، فبالنظر إلى مستوى أفضل الدول نجده يتركز في ثماني دول، يزيد فيها العمر المتوقع عن ٧٠ عاماً، وفي المركز الأول تأتي دولة ليبيا بمتوسط يبلغ ٧٤,٨ عاماً، تليها تونس بمتوسط ٧٤,٦ عاماً، ثم كاب فيرد بمتوسط ٧٣,٨ عاماً، وموريشيوس ٧٣ عاماً، وسيشل ٧٣ عاماً، ومصر ٧٣ عاماً، والجزائر ٧٢,٩ عاماً، والمغرب ٧١,٩ عاماً.

وبالنظر إلى مستوى أقلّ الدول؛ نجد أنّ هناك ١٢ دولة يقلّ متوسط العمر المتوقع فيها عن ٥٠ عاماً، وتأتي دولة بوركينافاسو كأقلّ دولة بمتوسط يبلغ ٤٥,٩ عاماً، وسيراليون بمتوسط ٤٧,٤ عاماً، وليسوتو بمتوسط ٤٧,٤ عاماً، وجمهورية إفريقيا الوسطى بمتوسط يبلغ ٤٨,١ عاماً، وسوازيلاند بمتوسط ٤٨,٣ عاماً، وزامبيا بمتوسط ٤٨,٥ عاماً، وتشاد بمتوسط يبلغ ٤٩,٢ عاماً، وموزمبيق بمتوسط ٤٩,٧ عاماً، وزيمبابوي بمتوسط ٤٩,٩ عاماً، وبوروندي بمتوسط ٤٩,٩ عاماً، وذلك وفقاً لبيانات عام ٢٠١٠م.

### مناخ الأعمال في القارة الإفريقية:

بالاعتماد على نتائج (تقرير ممارسة الأعمال) الصادر عن البنك الدولي؛ توجد ثلاث دول إفريقية فقط ضمن أفضل ٥٠ دولة على مستوى العالم من حيث ممارسة الأعمال، حيث احتلت دولة موريشيوس المركز رقم (٢٣) عالمياً، في حين احتلت دولة جنوب إفريقيا المركز رقم (٣٥)، وجاءت دولة رواندا في المركز رقم (٤٥) عالمياً.

وعلى النقيض من ذلك؛ جاءت ٢٤ دولة ضمن أسوأ دول العالم، واحتلت جميعها مراكز تلت المركز (١٥٠) عالمياً، وجاءت دولة تشاد كأسوأ الدول الإفريقية من حيث ممارسة الأعمال، محتلةً المركز رقم (١٨٣) عالمياً، تلتها دولة إفريقيا الوسطى في المركز رقم (١٨٢)، وجمهورية الكونغو رقم (١٨١)، وإريتريا في المركز (١٨٠)، وغينيا في المركز (١٧٩)، وجمهورية الكونغو الديموقراطية في المركز (١٧٨)، وغينيا بيساو في المركز (١٧٦)، وبنين في المركز (١٧٥)، والنيجر في المركز (١٧٣)، وأنجولا في المركز (١٧٢).

### فرص التنمية والنهضة:

### الفرصة الأولى: تعزيز التكامل الاقتصادي (العربي الإفريقي).. الاستثمار الزراعي نموذجاً:

يحمل التكامل الاقتصادي (العربي الإفريقي) بين طياته فرصاً كبيرة تحقيقاً لتكامل عناصر الإنتاج، من حيث توفّر رؤوس الأموال في دول الخليج، وتوفّر الأراضي الزراعية الخصبة في الدول الإفريقية، وتوفّر الأيدي العاملة الماهرة أيضاً.

وفي هذا الإطار؛ بدأت المملكة العربية السعودية في تفعيل (مبادرة الملك عبدالله للاستثمار الزراعي في الخارج)، والتي تهدف إلى تحقيق الأمن الغذائي السعودي، وقد حدّدت المبادرة بعض الدول المستهدفة للاستثمار الزراعي، ومنها ٩ دول إفريقية، وهي: (مصر، السودان، إثيوبيا، كينيا، أوغندا، جنوب إفريقيا، النيجر، مالي، السنغال).

وتستهدف المبادرة زراعة السلع الاستراتيجية الغذائية، والتي تشمل: (القمح، الأرز، السكر، اللحوم الحمراء، الأسماك، الشعير، الحبوب الزيتية، فول الصويا، الذرة)، وبشكلٍ عامٍّ تُعَدّ المملكة من بين أكبر ١٠ دول في العالم من حيث الاستثمارات في الأراضي الزراعية في الخارج وفقاً لـ (مؤشر لاند ميتركس) العالمي، وهذه فرص يجب على الدول الإفريقية المستهدفة استغلالها، بتشجيع هذه الاستثمارات من خلال محفزات استثمار متنوعة، تشمل: تسهيل استيراد الآلات الزراعية دون رسوم جمركية، وتخفيض للضرائب، وتسهيل الإجراءات.

كما بدأت دولة الإمارات العربية المتحدة في خطوات مشابهة، خصوصاً في دولة السودان، ومن ثم فإنه يجب على الدول العربية انتهاز هذه الفرص لتحويل فوائض النفط الكبرى من البنوك الأوروبية إلى الأسواق الإفريقية؛ لجني

الثمار المشتركة للتعاون الاقتصادي.

ومن خلال نظرة متعمقة حول واقع الاستثمارات الأجنبية الزراعية في إفريقيا؛ نجد أنّ في دولة مثل أوغندا تتوجه الاستثمارات نحو تصنيع القهوة وزراعة الزهور ومعالجة الأسماك، ومن المؤكد أنّ هذه القطاعات تساهم بشكلٍ كبير في تخفيض معدلات الفقر في أوغندا، وبخاصة القهوة، وتُعدُّ كلٌّ من المملكة المتحدة والهند وكينيا أكبر الدول المستثمرة في الزراعة في أوغندا.

وفي مالي تتوجه الاستثمارات نحو إنتاج المحاصيل، مثل: (الأرز، والقمح، والقطن، والسكر، والمانجو)، وتأتي معظم الاستثمارات من الصين وأمريكا.

كما توجد آفاق عديدة للاستفادة من الموارد الطبيعية المتوفرة في السودان، والتي تشمل الأراضي الخصبة والمياه والمناخ المناسب للزراعة.

وبشكلٍ عامٍّ؛ تشكّل الاستثمارات الأجنبية الزراعية نسبة منخفضة من حجم الاستثمارات الأجنبية في إفريقيا، حيث تشكّل نسبة تقلّ عن ٣ ٪ في مدغشقر، و ٢ ٪ في السودان، و ١ ٪ في المغرب.

وبالنظر إلى فوائد الاستثمارات الزراعية بالنسبة لإفريقيا؛ يلاحظ أنها عديدة، حيث تشمل توفير فرص عمل، وتحقيق الأمن الغذائي، وزيادة الصادرات، وتمكين المزارعين من الحصول على الأموال التي تمكّنهم من تنمية أنشطتهم الزراعية، يُضاف لذلك الدور المهم لهذه الاستثمارات في نقل التقنية الزراعية للدول الإفريقية بما يساعد على تحسين الإنتاجية الزراعية، وأيضاً تشجيع الحكومات على تحسين البنية التحتية التي تتوجه إليها هذه الاستثمارات.

وبالنسبة لإفريقيا؛ يُعدّ الاستثمار في المجال الزراعي من أفضل الخيارات، وقد دعا برنامج التنمية الزراعية في إفريقيا إلى تخصيص ٢٤٠ مليار دولار، حتى نهاية عام ٢٠١٥م، للاستثمار في الزراعة؛ للرفع من درجة مساهمة الصادرات الزراعية من إجمالي الناتج القومي الإفريقي، والتي لا تزيد عن ١٧ ٪ حاليّاً.

وتتركز النسبة الأكبر من الفقر في إفريقيا في المناطق الريفية، بما يعني أنّ التنمية الزراعية والريفية محدّدات أساسية لمحاربة الفقر في إفريقيا، ووفقاً لبعض التقديرات؛ فإنّ النمو الزراعي في بعض الدول الإفريقية مسؤول عن ٤٠ – ٧٠ ٪ من تخفيض الفقر في إفريقيا، ومن ثمّ فإنّ النمو الناتج عن الزراعة يؤدي إلى زيادة دخل المزارعين الفقراء والعمال في مجال الزراعة، كما أنّ التنمية الزراعية تؤثّر بشكلٍ كبير في أسعار الغذاء، والذي ينفق الفقراء نسبة كبيرة من دخولهم لشرائه.

وفي إطار الحديث عن تحرير التجارة البينية؛ يتعلق الأمر بتحرير التجارة على المستوى الدولي في إطار التزامات الدول الإفريقية في منظمة التجارة العالمية، ومنذ إنشاء المنظمة عام ١٩٩٥م تتنافس حكومات الدول الإفريقية في الانضمام للمنظمة لنهل الخيرات الوهمية؛ إذ لا توجد في الأساس قاعدة إنتاجية في العديد من تلك الدول الواهمة تجعلها تستفيد من فرص النفاذ لأسواق دول العالم، الأمر الذي جعل الأسواق الإفريقية مجرد سوقٍ استهلاكيٍّ كبيرٍ لتصريف منتجات الدول المتقدمة.

وفي الوقت نفسه؛ نجد الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية تقدّم الحماية القصوى لمنتجاتها الأساسية، خاصةً تلك التي يمكن لإفريقيا المنافسة فيها، مثل المنتجات الزراعية، يُضاف لذلك سياسات الإصلاح الاقتصادي والتكيّف الهيكلي التي تفرضها مؤسستا بريتون وودز Bretton Woods (وهما: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي) فيما يتعلق بضرورة ضغط الإنفاق الحكومي، وتخفيض الدعم، وتحرير أسعار الصرف، وتحرير التجارة، وغيرها من السياسات التي لا تتفق مع طبيعة الدول الإفريقية وظروفها، والتي نتجت في أغلبها عن زيادة إفقار الدول الإفريقية، والجدير بالذكر أنّ هناك ٣٠ دولة إفريقية طبقت هذه البرامج، ولم ينتج عنها سوى مزيدٍ من تدهور المستوى المعيشي للمواطنين!

وفي هذا الصدد؛ تجدر الإشارة إلى وجود ٣٩ دولة إفريقية أعضاء في منظمة التجارة العالمية، وكان لزاماً عليها منذ الانضمام الالتزام باتفاقيات المنظمة فيما يتعلق بتحرير التجارة وتخفيض الرسوم الجمركية، وتوجد من بين هذه الدول ٨ دول تقلّ فيها متوسط التعريفة الجمركية المطبقة عن ١٠ ٪، وهي كلٌّ من: موريشيوس (١,٤ ٪)، وأنجولا (٧,٣ ٪)، وليسوتو (٧,٦ ٪)، وسوازيلاند (٧,٧ ٪)، وجنوب إفريقيا (٧,٧ ٪)، وناميبيا (٧,٧ ٪)،

وبتسوانا (٧,٧ ٪)، وموريتانيا (٩,٦ ٪)، ولا شكّ في أنّ مزيداً من التحرير يقوّض فرص التنمية الصناعية أمام الدول الإفريقية، ويجعلها سوقاً لتصريف منتجات الدول الأخرى.

وهنا يمكن القول بأنّ هناك فرصة أمام الدول الإفريقية الراغبة في حماية منتجاتها الوطنية من منافسة الواردات، وذلك برفع التعريفة الجمركية المطبّقة إلى الحدود العليا التي وضعتها منظمة التجارة العالمية فيما يُسمّى بـ (التعريفة المربوطة)، وهذه السياسة قد نفّذتها دولٌ كثيرة، مثل البرازيل، خلال الأزمة المالية العالمية الأخيرة.

كما أنه يجب على الدول الإفريقية التريّث في عقد اتفاقيات التجارة الحرة مع دول أخرى غير عربية أو إفريقية، حيث أنّ الهياكل الإنتاجية في الدول الإفريقية لا تزال غير مهيأة للاستفادة من فوائد التحرير التجاري، كما أنه من بين المفارقات أن تقوم دولةٌ بعقد (اتفاقية تجارة حرة) مع دولة مثل سنغافورة – التي تقريباً لا تفرض رسوماً جمركية على وارداتها – ويكون المقابل فتح أسواق الدولة الإفريقية، كما أنه من المؤكد أنّ واقع الدول العربية لن يمكّنها من مزايا البنود الأخرى التي تنصّ عليها اتفاقيات التجارة الحرة.

### الفرصة الثانية: تعزيز التكامل الاقتصادي بين دول القارة:

يُشار في هذا الصدد إلى قرار الزعماء الأفارقة، خلال مؤتمر قمة الاتحاد الإفريقي في يناير ٢٠١١م، بتعزيز التجارة البينية الإفريقية، والإسراع في إنشاء منطقة تجارة حرّة إفريقية، يتماشى معها تأسيس صندوق لتعويض الدول المتضررة من تخفيض عوائدها الجمركية، وبحيث توجّه موارده للإنفاق على تطوير البنية التحتية للنقل البريّ والنهريّ المعزّز للتجارة البينية.

ومن خلال التجارة يمكن تحقيق توفير فرص العمل، وتحفيز الاستثمارات البينية، ودفع عجلة التنمية الاقتصادية، ومن خلال نظرة متأنية حول واقع التجارة البينية الإفريقية نجدها لا تتجاوز ١٢ ٪ من جملة تجارتها الخارجية؛ مقارنة بمعدلات تبلغ ٥٠ ٪ في الدول الآسيوية النامية، و ٢١ ٪ في دول أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي، و ٧٠ ٪ بين الدول الأوروبية.

وفي هذا الصدد؛ يجب تشجيع القطاع الخاص الإفريقي من خلال محفّزات غير تقليدية، وتحسين بيئة الاستثمار، وإزالة العراقيل أمام القطاعات الإنتاجية الوطنية، وتوفير التمويل المناسب بأسعار فائدة منخفضة، وتشجيع المنشآت الصغيرة والمتوسطة، ودفعها نحو قيادة عجلة التنمية، كما أنه من المستغرب أن يكون من بين دول القارة، بالرغم مما تمتلكه من أراضٍ زراعية خصبة وموارد مائية، ٣٧ دولة مستورداً صافياً للغذاء!

ولا شكّ في أنّ اتفاقيات الشراكة الإفريقية البينية تُعدّ بديلاً مؤكداً لاتفاقيات الشراكة الإفريقية مع دول الشمال التي تُعدّ الوجه الجديد للاستعمار في ثوبه الجديد، ومن ثمّ يمكن القول بأنه: لا مستقبل لإفريقيا خارج الشراكة بين دولها.

ومن خلال تحليل بيانات الصادرات البينية الواردة في (الجدول رقم ٢)؛ يتضح أنّ هناك نموّاً في الصادرات البينية كنسبة من إجمالي صادرات جميع التجمّعات الاقتصادية الإفريقية ما عدا كل من تجمّع (سيماك) وتجمّع (الإيكاس)، وقد حقّق تجمّع (السادك) أعلى زيادة في نسبة الصادرات البينية، فمن نسبة بلغت ١٣ ٪ عام ١٩٩٠م؛ إلى نسبة بلغت عام ٢٠١٠م نحو ١٤,٦ ٪.

### الفرصة الثالثة: تحسين طرق نقل التجارة البينية:

ولا شكّ في أنّ الاهتمام بالإنفاق على البنية التحتية لطرق التجارة البينية يحمل معه الخير الكثير من حيث تخفيض الوقت المستغرق للنقل، وتخفيض تكلفة النقل، وتقليل فرص الهدر في السلع التي يتم نقلها عبر هذه

الطرق، كما أنّ تحسين مستوى الطرق يزيد من التجارة في الصناعات التحويلية، حيث سيتمكّن المصنّعون من الحصول على المواد الخام اللازمة للتصنيع، وأيضاً سيمكّنهم من توصيل منتجاتهم للأسواق الإفريقية بشكل أيسر.

وتشير تقديرات البنك الدولي إلى أنّ تكلفة النقل تشكّل (١٥ - ٢٠ ٪) من أسعار الواردات في العديد من الدول الإفريقية، كما أنّ الدول الحبيسة تفقد ما بين (١ - ١,٥) نقطة من النموّ سنويّاً بسبب مشكلات النقل، وتشكّل تكلفة الوقود وإطارات السيارات نسبة ٩٠ ٪ من التكاليف المتغيرة لمعظم شركات النقل.

ووفقاً لأحدث بيانات صادرة عن البنك الدولي، بشأن مؤشر التجارة عبر الحدود لعام ٢٠١٣م، يبلغ الوقت اللازم لإتمام عملية الاستيراد في إقليم إفريقيا جنوب الصحراء ٣٨ يوماً؛ مقارنةً بنحو ١٠ أيام في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، كما تتكلف عملية الاستيراد ٢٧٩٣ دولاراً لكلّ حاوية في المتوسط؛ مقارنةً بنحو ١٠٩٠ دولار فقط في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

وبشكلٍ عامٍّ توجد على الأقل خمسة أسباب تجعل الدول الإفريقية تواجه مشكلات ارتفاع أسعار النقل، وهي: (المسافة، والدول الحبيسة، وعدم كفاية اقتصاديات الحجم، ونقص الاستثمارات الموجهة لبنية النقل، وسياسات النقل والتجارة)، فعلى سبيل المثال أثبتت الدراسات أنّ كلّ زيادة بنسبة ١ ٪ في المسافة تزيد تكلفة النقل بنسبة ٠,٢٥ ٪، ومن المعروف أنّ جميع الأسواق التقليدية للصادرات الإفريقية في أوروبا وأمريكا تزيد المسافة فيها عن ٣٠٠٠ كم.

وفي هذا الصدد؛ توجد أهمية لزيادة الإنفاق على البنية التحتية لطرق النقل المشتركة، والتعاون بين الدول الحبيسة والدول الساحلية المجاورة في مجالات النقل والمشاريع المشتركة، ويأتي دور التجمّعات الإقليمية المختلفة في تنفيذ مشروعات جادة لتحسين البنية التحتية لطرق التجارة البينية، فقد أثبتت الدراسات أنّ كلّ زيادة في الإنفاق على بنية الطرق بنسبة ١ ٪ ينتج عنها تخفيض تكلفة النقل بنسبة ٠,١٤ ٪.

**جدول رقم (٢): واقع التكامل الاقتصادي بين دول القارة الإفريقية (الصادرات البينية)**

Source: World Bank, Africa Development Indicators, 2012 / 2013, 2013

| التجمّع | سنة التأسيس | ١٩٩٠م | | ٢٠١٠م | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | القيمة مليون دولار | نسبة من إجمالي الصادرات ( ٪) | القيمة مليون دولار | نسبة من إجمالي الصادرات ( ٪) |
| التجمّع الاقتصادي والنقدي لدول وسط إفريقيا CEMAC | ١٩٩٤ | ١٣٨,٧ | ٢,٣ | ٣٨٣ | ١,٢ |
| التجمّع الاقتصادي لدول البحيرات العظمى CEPGL | ١٩٧٦ | ٧ | ٠,٥ | ٨٠,٧ | ١,٥ |
| السوق المشتركة لدول شرق وجنوب إفريقيا CPMESA | ١٩٩٤ | ١١٤٦ | ٤,٧ | ٨١٥٧,٨ | ٧,٧ |
| تجمّع شرق إفريقيا EAC | ١٩٩٦ | ٣٣٤,٥ | ١٧,٧ | ١٩٩٦,٧ | ٢٠,٣ |
| التجمع الاقتصادي لدول وسط إفريقيا ECCAS | ١٩٨٣ | ١٥٩,٧ | ١,٤ | ٤٨٢,٥ | ٠,٦ |
| التجمّع الاقتصادي لدول غرب إفريقيا ECOWAS | ١٩٧٥ | ١٥٣٢,٣ | ٨ | ٨٩١٠,٧ | ٨,٨ |
| تجمّع دول المحيط الهندي IOC | ١٩٨٤ | ٦٢,٥ | ٣,٩ | ١٨٤,١ | ٥,٣ |
| التجمّع الاقتصادي لدول جنوب إفريقيا SADC | ١٩٩٢ | ١٦٥٥,٣ | ٦,٦ | ١٤٥٧٥,٩ | ٩,٨ |
| الاتحاد الاقتصادي والنقدي لدول غرب إفريقيا UEMOA | ١٩٩٤ | ٦٢٠,٨ | ١٣ | ٢٢٥٠,٣ | ١٤,٦ |

### الفرصة الرابعة: الاهتمام بالتعليم، وإتاحة الفرصة لتعليم المرأة وتمكينها:

توجد علاقة ارتباط وثيقة الصلة بين التوزيع العادل لفرص التعليم وخفض مستويات الفقر وتعزيز النمو الاقتصادي، كما أنّ الاهتمام بتعليم النساء يؤدي إلى تعزيز مشاركتهن الاقتصادية، ويجعلهن أكثر وعياً بالشؤون الصحية وتغذية أطفالهن بشكل جيد.

وقد أثبتت العديد من الدراسات أنّ التعليم هو أحد أهم العوامل المؤثرة في تخفيض فرص إصابة الأفارقة بمرض نقص المناعة (الإيدز)، كما أنّ التعليم يؤدي إلى الاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية وتقليل مستويات الهدر، وبالرغم من الجهود المبذولة لنشر التعليم في دول إفريقيا جنوب الصحراء فإنّ نسبة تقلّ عن ٦٠ ٪ من الشباب قادرون على القراءة والكتابة بفهم.

وبالاعتماد على النتائج الدولية الخاصة بتعليم المرأة (معدل محو الأمية) في دول القارة (أكبر من ١٥ عاماً)، والمتاحة فقط لـ ٣٣ دولة إفريقية عام ٢٠٠٩م، يتضح أنّ أعلى نسب تعليم المرأة تتركز في ليسوتو بمعدل ٩٥,٣ ٪، تليها دولة غينيا الاستوائية بمعدل ٨٩,٨ ٪، وفي المركز الثالث تأتي دولة زيمبابوي بمعدل ٨٩,٤ ٪، وفي المركز الرابع تأتي دولة ناميبيا بمعدل ٨٨,١ ٪، أما أقلّ الدول من حيث تعليم المرأة فتتركز في دولة تشاد، حيث بلغ المعدل فقط ٢٣,١ ٪، تليها دولة غينيا بمعدل ٢٨,١ ٪، تليها بنين بمعدل ٢٩,١ ٪، ثم سيراليون بمعدل ٣٠,١ ٪.

### الفرصة الخامسة: التنمية الصناعية وتوطين مشتريات القطاعات الاستراتيجية الكبرى:

يُنظر للتنمية الصناعية بوصفها أحد أهم محدّدات التنمية الاقتصادية، ويجب أن توجّه السياسة الصناعية نحو تطبيق أدوات متنوعة لتشجيع الصناعات الصغيرة والمتوسطة؛ نظراً لأهميتها في تشغيل العمالة وتخفيف حدّة البطالة، ويمكن أن تشمل هذه السياسة ما يتعلق بتقديم قروض ميّسرة، وتخفيض الرسوم الجمركية المفروضة على واردات المواد الخام، ووضع حماية جمركية للمنتجات المصنعة.

وبالنظر إلى الدول الإفريقية التي تتمتع بموارد نفطية وتعدينية؛ فيجب أن تكون هذه الموارد هي المحرك الأساسيّ للتنمية الصناعية، وذلك عن طريق توطين مشتريات هذه القطاعات، وإلزام الشركات العاملة فيها بشراء مستلزمات التشغيل من السوق المحلي، وتشغيل العمالة المحلية وتدريبها وتأهيلها لتمكينها من الإحلال محلّ الخبرة الأجنبية.

فمن حيث احتياطيات البترول الخام؛ فاحتياطي إفريقيا من البترول الخام يبلغ نحو ١٣٠,٣ ألف مليون برميل، وتحتل ليبيا المركز التاسع عالمياً، في حين تحتل نيجيريا المركز العاشر، كما توجد احتياطيات كبيرة لدى كلٍّ من أنجولا والجزائر، وذلك وفقاً لإحصاءات عام ٢٠١٣م.

وتبلغ احتياطيات إفريقيا من الغاز الطبيعي ما يزيد عن ١٤,٢ تريليون م٣، وتحتل نيجيريا المركز التاسع عالمياً في احتياطي الغاز الطبيعي، كما توجد قدرات كبيرة كامنة لدى كلٍّ من الجزائر ومصر.

وبالنسبة للفحم؛ توجد احتياطيات كبيرة لدى كلٍّ من جنوب إفريقيا وزيمبابوي.

وفيما يتعلق بتوليد الطاقة الكهربائية يبلغ حجم الطاقة المولّدة لإفريقيا عام ٢٠١٣م نحو ٧٠٣ تيراوات/الساعة، وتُعدّ جنوب إفريقيا أكبر الدول إنتاجاً في إفريقيا، تليها مصر ثم الجزائر.

كلّ هذه القطاعات الاستراتيجية يجب أن توجّه سياساتها نحو توطين المشتريات، ويمكن في هذا المجال الاستفادة من التجربة النيجيرية في قانون (المكوّن المحلي) الصادر في مارس ٢٠١١م، والذي أكدت المؤشرات الأولية قدرته على جذب مزيدٍ من الاستثمارات الأجنبية والمحلية، وخلق مزيدٍ من فرص العمل أمام العمالة النيجيرية، يُضاف لذلك الاستغلال الأمثل لاحتياطيات النفط من خلال التوسع في إنشاء مصافي تكرير وطنية، وإنتاج المنتجات البترولية بأيدٍ وطنية، والتوسع في سنّ سياسات لتوطين مشتريات قطاع النفط والغاز والمعادن؛ كما في قانون (المكوّن المحلي) في نيجيريا.

### الفرصة السادسة: العدالة في توزيع الموارد داخل الدول الإفريقية:

بالرغم من تعدّد الموارد الطبيعية في العديد من الدول الإفريقية فإنّ هناك سوء عدالة في توزيع الموارد، ومثال على ذلك بعض الدول النفطية مثل نيجيريا؛ ينعم فيها الجنوبيون

وسكان حوض نهر النيجر بعوائد النفط؛ بينما الولايات الشمالية هي الأكثر فقراً، وتزداد فيها معدلات البطالة، كما أنه في دولة مثل جنوب إفريقيا - أكثر الدول تنمية - يتركز مرض الإيدز في الفقراء.

فعلى سبيل المثال؛ تبلغ مساحة الولايات الإسلامية في نيجيريا (عددها اثنتا عشرة ولاية) ٤٦٦٧١٢ كم٢، وبما يشكّل نسبة ٥١,٣ ٪ من إجمالي مساحة نيجيريا، ويبلغ عدد سكانها ٦٠,٦٤ مليون نسمة وفقاً لتقديرات عام ٢٠١٠م، وبما يشكّل نسبة ٣٨ ٪ من إجمالي سكان نيجيريا، وبالرغم من هذه الأهمية النسبية فإنّ معدل البطالة يبلغ في المتوسط في هذه الولايات ٣٢,١ ٪؛ مقارنةً بمتوسط يبلغ ١٩ ٪ في باقي الولايات ذات الأغلبية المسيحية، كما تشكّل الأسر الأكثر فقراً من إجمالي الأسر في هذه الولايات في المتوسط نسبة ٨,٦ ٪، ويبلغ أقصاه في ولاية زامفارا، وذلك بنسبة ١٥,٣ ٪ من جملة سكان الولاية، تليها ولاية سوكوتو بنسبة ١٢ ٪، وفي المركز الثالث تأتي ولاية كانو بنسبة ١١,٥ ٪.

ومن خلال تحليل الخصائص الأساسية للولايات الإسلامية في نيجيريا؛ يتضح أنّ جميع هذه الولايات ولايات زراعية، تعمل النسبة الأكبر من مواطنيها بنشاط الزراعة، وصيد الأسماك، أو تجارة المنتجات الزراعية، أو تصنيع المنتجات الغذائية والنسيجية أو الجلود، ومع ذلك تُعدّ ولاية كادونا هي الولاية الصناعية الأكثر شهرة بين هذه الولايات، حيث يوجد بها بعض الصناعات، مثل: الآلات، والصلب، والألمنيوم، والمنتجات البترولية التي ترتبط بقطاع النفط والغاز، ويمكنها الاستفادة من الفرص التي قدّمها قانون (المكوّن المحلي) النيجيري، أما فيما عدا ذلك من الولايات؛ فتتضاءل نسبة الاستفادة بشكلٍ كبيرٍ نظراً لعدم وجود خبرة صناعية كافية في تصنيع متطلبات قطاع النفط والغاز من الآلات والمعدات وقطع الغيار، والتي تُعدّ من الصناعات ذات المكوّن التكنولوجي المرتفع.

### الفرصة السابعة: تفعيل دور التجمعات الإفريقية في ضمان السّلم والأمن الإفريقي:

تُعدّ الصراعات الداخلية التي تعتبر عادةً ومظهراً أساسيّاً في الحياة السياسية والأمنية في الدول الإفريقية، ومصدراً أساسيّاً للبؤس الإنساني بما ينتج عنه من فقرٍ ومجاعة، فوفقاً لتقديرات البنك الدولي فإنّ معدلات الفقر تزيد معدل ٢٠ نقطة في الدول التي يوجد بها عدم استقرار سياسي، وكلّ عام يمرّ على الدولة في حالة العنف وعدم الاستقرار يصاحبهُ إبطاء فرص تخفيض الفقر بمعدل ١ ٪، كما أنّ الدول التي تعاني تدهوراً في أوضاع حقوق الإنسان، وضعف الأداء الحكومي، وضعف دور القانون، أكثر عرضة للحروب الأهلية بمعدل يتراوح بين (٣ - ٤٥ ٪)؛ مقارنةً بالدول النامية.

وتؤدي الصراعات إلى تهديدات للبشر بالوفاة أو الإعاقة أو نزوح السكان وهروبهم لأماكن أخرى بعيداً عن مصدر دخلهم ومواردهم، ويوجد في إفريقيا - وفقاً لإحصاءات عام ٢٠١١م - ما يزيد عن ١٣,٥ مليون لاجئ ومعاق حرب، وبما يشكّل نسبة ٣٨ ٪ من العدد العالمي البالغ ٣٥ مليون شخص.

وبالاعتماد على مؤشرات الحوكمة العالمية الصادرة عن البنك الدولي، وخصوصاً ما يتعلق بمؤشر الاستقرار السياسي (٢٠١٣م)، يلاحظ أنّ الصومال تحتل المركز الأول عالميّاً من حيث عدم الاستقرار السياسي، حيث حصلت على درجة صفر من ١٠٠ درجة، وتوجد ١١ دولة إفريقية أخرى حصلت على درجات أقلّ من ١٠، وكانت على التوالي: (الكونغو الديموقراطية، والسودان، وإفريقيا الوسطى، ونيجيريا، وليبيا، وجنوب السودان، ومالي، ومصر، وإثيوبيا، وبوروندي، والنيجر)، وبالرغم من ذلك احتلت: (موريشيوس، وناميبيا، وسيشل) مراكز متقدّمة عالميّاً، حيث حصلت على درجات (٧٣,٧٣ و ٧٧,٢٥ و ٧٣,٤٦) على التوالي.

وفي هذا الصدد يجب تفعيل دور الاتحاد الإفريقي والتجمعات الإقليمية الأخرى في ضمان السّلم والأمن الإفريقي، سواء داخليّاً أو فيما بين الدول الإفريقية.

### الفرصة الثامنة: السيطرة على الفساد من خلال الحوكمة:

يحدث الفساد عندما تقوم الحكومات باستغلال أموال الشعوب بشكلٍ غير مسؤول، فبدلاً من توزيع الموارد بشكلٍ عادلٍ تقوم الحكومات بجني الثمار وحدها وترمي لشعوبها الفتات، وبما يؤدي إلى تدمير مقدّرات البلاد وزعزعة الثقة بين الحكومات والشعوب، وهو ما يوفّر مناخاً خصباً للعنف والتطرف، ففي الدول النفطية الإفريقية تكثر ظاهرة

الفساد بين كبار المسؤولين في الحكومة وشركات النفط العالمية التي تبحث عن طرق خلفية لتخفيض الضرائب المفروضة عليها، الأمر الذي يضيّع مليارات عديدة من أموال الشعوب، كما تكثر ظاهرة تهريب الموارد النفطية المدعمة للدول المجاورة الفقيرة نفطيّاً.

وبتحليل نتائج مؤشرات الحوكمة العالمية الصادرة عن البنك الدولي، خصوصاً ما يتعلق بمؤشر الفساد (٢٠١٣م)، يلاحظ أنّ دولة غينيا الاستوائية تحتل المركز الأول عالميّاً من حيث الفساد، حيث حصلت على درجة صفر من ١٠٠ درجة، وقد حصلت ١٢ دولة أخرى على درجات أقلّ من ١٠، وهي على التوالي: (الصومال، وليبيا، والسودان، وبوروندي، وزيمبابوي، وجنوب السودان، وغينيا بيساو، وأنجولا، والكونغو الديموقراطية، وتشاد، ونيجيريا، والكاميرون).

ولا شكّ في أنّ أحد أهم العوامل التي تساعد في التحكّم في الفساد ما يتعلق بتطبيق معايير الحوكمة في كافّة الشركات والأجهزة الحكومية، وتحويل شركات قطاع الأعمال إلى شركات مساهمة عامّة ومدرجة في البورصة، بحيث يتمّ إلزامها بمعايير الإفصاح والشفافية والرقابة الداخلية والخارجية.

### الفرصة التاسعة: الإدارة المتكاملة للموارد المائية:

تواجه بعض دول القارة مشكلة نقص الموارد المائية أو (الفقر المائي)، وذلك على الرغم من الجهود الدولية المبذولة لتوفير مياه الشرب بالكمّ والكيف المناسبين للحياة البشرية، فقد أكدت خطّة عمل (مؤتمر الأمم المتحدة للمياه) المنعقد عام ١٩٩٧م أنّ «كلّ البشر أيّاً ما كانت مرحلة التنمية التي تمرّ بها دولهم، وأيّاً ما كانت ظروفهم الاقتصادية، لديهم جميعاً الحقّ الكامل في الحصول على مياه الشرب بالكمّ والجودة التي تناسب احتياجاتهم الأساسية»، وبالرغم من ذلك لا يزال نصف سكان القارة يعانون الأمراض المرتبطة بالمياه، مثل الكوليرا، بالرغم من ثراء القارة المائي، وبالرغم من المشروعات الدولية المقدمة لدول الأنهار في النواحي الفنية والمالية والاقتصادية والمؤسسية؛ فإنّ سوء الإدارة كان عاملاً أساسيّاً في تدنّي فرص الاستفادة من هذه المشروعات.

وتشير التقديرات إلى أنّ حصّة المواطن الإفريقي من المياه لا تزيد عن ٥٠٠٠ م٣ سنويّاً؛ مقابل ٢٤٠٠٠ م٣ في القارة الأمريكية و ٩٠٠٠ م٣ في أوروبا، ومع استمرار معدلات النمو السكاني المرتفعة في إفريقيا؛ فمن المؤكد أنّ هذه الحصّة معرضة للانخفاض بشكل ملاحظ، كما أنّ الموارد المائية في إفريقيا لا تتوزع بالتساوي، حيث يمثّل نهر الكونغو وحده ٣٠ ٪ من الموارد المائية في القارة الإفريقية.

وبشكل عامٍّ؛ يجب على دول أحواض الأنهار أن تتبع منهج الإدارة المتكاملة للموارد المائية، بما يشمل إشراك المجتمعَيْن المدني والخاص في عملية تخطيط الموارد المائية، وإرساء إطار قانوني منطقي وآليات لحلّ المنازعات، وحماية الأنهار من التلوث ومن الاستغلال المفرط، والاستعانة بتقنيات حديثة في الزراعة المروية، وذلك بهدف زيادة الإنتاجية من الموارد المائية، ورفع كفاءتها، وتحقيق مزيد من العدالة في توزيعها، وتحسين نوعية المياه، كما توجد أهمية لتفعيل التعاون المائي فيما بين الدول الإفريقية لتعزيز فرص الاستفادة المثلى من الموارد المائية.

### الفرصة العاشرة: الرعاية الصحية:

لا يوجد شكّ في أنّ انتشار الأمراض المزمنة في العديد من الدول الإفريقية كان له الأثر الكبير في تردي الأوضاع الاقتصادية، ذلك أنّ المرض يعني إعاقة الأفراد عن المشاركة بفعالية في العملية التنموية، كما أنّ الصحة من أحد المكونات الرئيسة لرفاهية الإنسان، فهي رأس المال البشري، ومحدّد رئيس في تكوين الثروة، ومن ثمّ توجد علاقة تبادلية بين الصحة والثروة، فالدول الغنية تتمكن من الاهتمام بصحة مواطنيها، كما أنه كلما تحسّن المستوى الصحي زادت إنتاجية العمالة، ومن ثمّ تتحقق التنمية، ومن بين البيانات الصادمة في هذا الإطار أنه على الرغم من أنّ سكان إفريقيا يشكّلون نسبة ١٠ ٪ من سكان العالم فإنهم يتحملون أعباء ٢٥ ٪ من الأمراض، ويوجد بها ٣ ٪ فقط من القوى العاملة بالقطاع الصحي.

ومن المؤكد أنّ زيادة الإنفاق الحكومي على الصحة

في الدول الإفريقية سيكون له أثر إيجابي كبير في تحسين المستوى الصحي للمواطنين، ويجب على الدول الإفريقية تطبيق توصيات إعلان أبوجا (٢٠٠١م) بشأن تخصيص نسبة ١٥ ٪ من الإنفاق الحكومي للقطاع الصحي، وتوجد ضرورة للاستغلال الأمثل للمعونات الدولية الموجّهة لقطاع الصحة الإفريقي، والتي تبلغ ١٠ مليارات دولار سنويّاً، وتفعيل الاستراتيجية التي وضعتها الشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا (نيباد) (٢٠٠٧م – ٢٠١٥م)، والتي تركز في حوكمة القطاع الصحي، ووضع التشريعات والسياسات المحلية الداعمة للقطاع الصحي، وتمويل القطاع الصحي، والوقاية المجتمعية، والأمن الغذائي.

## خاتمة:

قدّم المقال لمحة سريعة حول واقع التنمية في إفريقيا، كما عرض بعض الفرص التي يمكن من خلالها المساهمة الفعالة في تخفيض معدلات الفقر في إفريقيا وتحسين مستوى معيشة المواطنين، غير أنّ المجال لا يتسع لعرض جميع الفرص في مقال واحد، ولا يتسع أيضاً للاستفاضة في عرض تفاصيل كلّ فرصة، ولا شك أنّ جميع هذه الفرص يجب أن تكون جزءاً أساسيّاً من استراتيجيات التنمية الاقتصادية وخططها في جميع الدول الإفريقية؛ لتأثير كلٍّ منها في التنمية ومواجهة الفقر بشكلٍ أساسيّ ■

## المراجع:


1- International Trade Centre Africa's Trade Potential: Export Opportunities in Growth Markets, 2012.

2- NEPD, Africa Health Strategy: 2007-2015.

3- Overseas Development Institute, Poverty and Poverty Reduction in Sub-Saharan Africa: An Over view of Key Issues, London, 2009.

4- United Nations University, The Significance of Transport in Africa, Policy Brief N.O 5, 2007.

5- World Bank, Africa Development Indicators, 20122013 ,2013/.

6- World Bank, Study of Transport Costs and Prices in Sub-Sahran Africa, 2008.

# التكامل الاقتصادي الإفريقي

د. محمد بوبوش

باحث في العلاقات الدولية والعلوم السياسية - جامعة محمد الخامس، الرباط - أكدال

**يجتاز** العالَمُ في الفترة الراهنة تحوّلات عميقة في بنية النظام العالمي، وإعادة صياغة لكثيرٍ من الرؤى والمفاهيم والقوى الحاكمة للعلاقات الدولية.

ومع التسليم بأنه لم تسفر هذه التحوّلات عن قيام نظام جديد واضح المعالم والمسارات؛ فإنّ ما يحدث على الساحة الدولية، بتغيّراته وتأثيراته، يستحق النظر والتعمّق؛ بغية استشراف اتجاهات إعادة بناء النظام الدولي، وتشير مجمل تلك الاتجاهات إلى حقيقة أساسية، مفادها: أنّ العالم يتحرك تحرّكاً حثيثاً نحو مزيد من التكتلات الاقتصادية الكبرى[١].

ولقد شهدت إفريقيا - كباقي قارات العالم - نشاطاً تكاملياً إقليمياً واسع النطاق، فلا يكاد يخلو مكان فيها من جهود تكاملية، وفيما سيأتي نستعرض بعضاً منها، والتحديات التي تواجهها، وسبل تجاوزها.

## أولاً: مفاهيم وصيغ التعاون الاقليمي:

إجمالاً يمكن القول بأنّ (التعاون الإقليمي) يُعدّ أحد المفاهيم الرئيسة ضمن أدبيات العلوم السياسية، وتحديداً علم العلاقات الدولية، كما أنه أحد المجالات الرئيسة في الدراسات الاقتصادية، وعلّة ذلك تعدد صور التعاون الممكنة وجوانبها بين الكيانات السياسية الدولية، وفي مقدمتها الدول[٢].

مفهوم (التعاون الإقليمي) يبدو مفهوماً مركباً، يتكون من كلمتين:

الكلمة الأولى: تشير إلى مجموعة من المعاملات والاتصالات الكثيفة بين طرفين، أو عدة أطراف (أشخاص، دول، أجهزة، مؤسسات...)، بهدف العمل المشترك على نحو يؤدي إلى تحقيق أفضليات مشتركة، ويعظّم درجة الأمن لدى عدة أطراف، ولا يُشترط بالضرورة أن يكونوا متقاربين مكانياً أو جغرافياً[٣].

أما الكلمة الثانية: فإنها بإضافتها للكلمة الأولى تقوم بتخصيص النطاق المكاني للتعاون بين أطرافه، حيث يتعلق الأمر في هذه الحالة بتعاون إقليمي، يتصل بتفاعلات تحدث بين عدة دول تنتمي إلى حيّز جغرافي محدّد، ويطلق البعض على هذا النوع من التفاعلات مصطلح: (الإقليمي Regionalism).

**للاستقرار السياسي دور رئيس في نجاح إقامة أي تكتّل اقتصادي، ويتحقق الاستقرار السياسي من خلال إعلاء سيادة القانون، وتحقيق مبدأي الشفافية والمساءلة**

هذه (التفاعلات الإقليمية) تعني في أحد تعريفاتها: جهود دفع التعاون الاقتصادي والأمني بين ثلاث دول أو أكثر، في منطقة جغرافية معينة، تبعاً لأسس محددة، تتعدد وفقاً لها الاقترابات الإقليمية للتعاون الاقتصادي والأمني.

ويمكن التمييز بين نوعين من الإقليمية، هما:

١ - الإقليمية المفتوحة Open Regionalism: يُقصد بها تلك الجهود التي تستهدف التعاون في مجالات التجارة والاستثمار.

٢ - الإقليمية الرخوة Soft Regionalism: تعني الإجراءات المشتركة، في إطار التعاون الأمني، بين الوحدات الداخلة في مثل هذا النوع من التعاون[٤].

ويعتبر مفهوم الانتشار والإقليمية الجديدة من المفاهيم وثيقة الصلة بفكرة (التعاون الإقليمي)، انطلاقاً من حقيقة أنّ بعض أنماط التعاون تتجه إلى تجاوز شرط (الجوار الجغرافي)، فتمتد بنطاق الإقليم والمكان إلى التعاون: (السياسي، الاقتصادي، الثقافي)، بالمصطلح القانوني والفقهي، ومن ثمّ تُتاح فرص (التعاون الإقليمي) في وحدات وكيانات أكثر اتساعاً من المعنى الجغرافي الضيّق للإقليم[٥].

وعلى الصعيد الاقتصادي؛ يمكن القول بتعدد الأشكال التي تتخذها ظاهرة (التعاون الاقتصادي) بالمعنى الشامل Economic

(١) أحمد إبراهيم محمود: التحولات الاستراتيجية وإشكاليات الصراع والأمن في جنوب شرق آسيا، السياسية الدولية، العدد ١١٨، أكتوبر ١٩٩٤م، ص (٢١٦ – ٢٢٠).

(٢) شقير، محمد لبيب: الوحدة الاقتصادية العربية تجاربها وتوقعاتها (الجزء الأول)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، مايو (أيار) ١٩٨٦م، ص ٤٥.

(٣) حول مفهوم التعاون انظر: شامي ذبيان وآخرون: قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٠م، ص ١٣٦.

(٤) BYUNG, A. Joon.- Regionalism in the Asia-Pacific : Asian or Pacific Community ?.-6-Koreain Foucs, vol. 4, n° 4, 1996.- p.p.5.

(٥) حول مفهوم الانتشار ومضامينه انظر: سعيد، عبد المنعم: الإقليمية في الشرق الأوسط نحو مفهوم جديد، السياسية الدولية، عدد ١٢٢، أكتوبر، ١٩٩٥م، ص ٦١.

Integration بين الدول المختلفة، والذي يُعرف اصطلاحاً باسم: (التكامل الاقتصادي)، حيث يعتبر التكامل الاقتصادي أحد التعابير الغامضة في علم الاقتصاد الحديث على الرغم من كثرة استعماله، فكلمة (تكامل) في المعنى الدارج - مثلاً - ذات دلالة واضحة على ربط أجزاء بعضها إلى بعض لتشكّل كلاً واحداً[١].

أما بخصوص الأدبيات الاقتصادية؛ فإنّ مصطلح (التكامل الاقتصادي) موضع «اختلاف بين الفقهاء في تعريفه؛ إذ نجد البعض يُدخل في نطاقه صوراً مختلفة من التعاون الدولي، كما يرى آخرون أنّ قيام علاقات تجارية بين اقتصاديات قومية مختلفة ينطوي في واقع الأمر على (تكامل اقتصادي) يربط هذه الاقتصاديات»[٢].

ويرى بعض الباحثين أنّ (الاندماج الاقتصادي)[٣]: «عمل إرادي من قبل دولتين أو أكثر، يقوم على إزالة كافة الحواجز والقيود على المعاملات التجارية، وعلى تنقّل عوامل الإنتاج فيما بينها، كما أنه يتضمن تنسيق السياسات الاقتصادية، وإيجاد نوع من تقسيم العمل بين الدول الأعضاء»[٤].

إنّ (التكامل الإقليمي) يعدّ إحدى السمات الرئيسة للعالم[٥]، وإن كانت صيغة (التكامل الإقليمي) الأوروبي تستقطب الاهتمام في هذا المجال، وذلك لتمتعها بدرجة عالية من الاعتماد المتبادل في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية[٦]، وقد أصبحت الدول النامية أحوج من غيرها لإقامة التعاون وتأسيسه فيما بينها عن طريق هذا الأسلوب المتقدّم (التكامل).

فالتكامل ضرورة لا بدّ من مراعاتها بالنسبة لهذه الدول[٧] التي تعاني أوضاعاً اقتصادية في غاية السوء، جراء الانكماش الاقتصادي العالمي العميق، والتي تعاني وطأة نظام ظالم وغير منصف في العلاقات الاقتصادية الدولية.

وقد عرّف بعض الباحثين (التكامل الاقتصادي) بأنه: (إيجاد أحسن إطار ممكن للعلاقات الاقتصادية الدولية، والسعي لإزالة العوائق المصطنعة أمام التعاون الاقتصادي بين الدول، حيث إنّ التكامل الاقتصادي يعني: تحقيق الاندماج بين عدد من الوحدات الاقتصادية، اثنتين فأكثر، وإزالة مظاهر التمييز القائمة فيما بينها، وتكوين وحدة اقتصادية جديدة متميزة، كما أنّ التكامل الاقتصادي يُعتبر عملية تنسيق مستمرة متصلة وصيغة من صيغ العلاقات الاقتصادية)[٨].

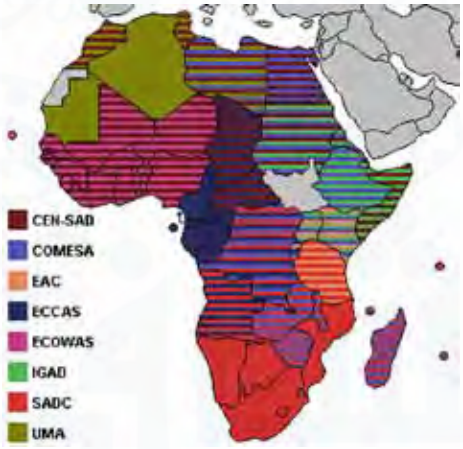


/http://ar.wikipedia.org

(١) محمد هشام خواجيكة: التكتلات الاقتصادية الدولية، حلب، مديرية المطبوعات الجامعية، ١٩٧٢م، ص ٣٠.

(٢) حسين عمر: التكامل الاقتصادي أنشودة العالم المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٩٨م، ص ٧.

(٣) هناك اختلاف كبير بين الاقتصاديين حول تحديد مصطلح (التكامل الاقتصادي)، فالبعض منهم استعمل مصطلح (الاندماج Intégration)، والبعض الآخر استعمل مصطلح (التعاون)، وآخرون استعملوا مصطلح (التكتل)، ويرجع هذا الاختلاف بوجه عام إلى التباين في وجهة نظر هؤلاء الاقتصاديين حول (التكامل Complémentarité) المقترح بين مجموعة من الدول، هل هو في شكل اتفاقيات ثنائية، أو تعاون بين دولتين، أو في شكل تكامل إقليميٍّ بين مجموعة من الدول من أجل إنشاء كتلة اقتصادية، هنا تجدر الإشارة إلى أنّ الاقتصاديين يستخدمون مصطلح (التكامل) لنقل معنى التعبير الإنجليزي: (Intégration) (وفي اللغة الإنجليزية اشتق هذا اللفظ من (Enteger) الذي يعني الشيء المتراكب عضوياً في كلٍّ لا يتجزأ، مثلما يُسمّى في الرياضيات: الواحد الصحيح)، كما أنّ بعض الاقتصاديين يعرّفون التكامل الاقتصادي أحياناً حسب أسبابه، وأحياناً أخرى حسب أهدافه، لهذا نرى أنّ مصطلح (التكامل) لم يحظ باتفاق عامٍّ بين مختلف الكتّاب الاقتصاديين؛ كالمفاهيم والتعريفات الأخرى في العلوم الاقتصادية.

(٤) أحمد الغندور: الاندماج الاقتصادي العربي: معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٤.

(٥) محمد الشاذلي: التكامل الاقتصادي في أمريكا اللاتينية، المجلة المصرية للقانون الدولي، ١٩٧٨م، ص ٢٢٧.

(٦) د. عبد المنعم سعيد: الجماعة الأوروبية، تجربة التكامل والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢٢.

(٧) د. مصطفى سلامة حسين: الجماعة الاقتصادية الإفريقية، قراءة قانونية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١٣، يوليو ١٩٩٣م، ص ٢٩.

(٨) Maurice SCHIFF , Intégration régionale et développement , Economica , World Bank ,Paris, 2004, pp 330 .

## ثانياً: أشكال التكامل الاقتصادي[1]:

للعلاقات الاقتصادية الدولية أشكال عديدة من حيث أطراف العلاقة، فهناك العلاقات الاقتصادية الثنائية بين دولتين، وأخرى متعددة الأطراف بين دولتين أو أكثر، وهناك علاقات التعاون الاقتصادي الثنائية التي تحدث على مستوى المنظمات الاقتصادية للأمم المتحدة، إضافة إلى العديد من منظمات التعاون الاقتصادي المتخصصة والمرتبطة بالأمم المتحدة[2].

إضافة إلى ذلك: هناك أشكال أخرى من (التعاون الاقتصادي الدولي)، تتمثل في المبادرات الفردية، أي التي تتم من طرف واحد، ودون وجود اتفاقية مسبقة، كالمساعدات الاقتصادية وغيرها، لدولة أو دول لأسباب مختلفة، من خلال المنظمات الاقتصادية للأمم المتحدة، أو من خلال مبادرات فردية من جانب العديد من دول العالم.

ثم هناك علاقات التعاون المالي، أو علاقات التعاون في مجال المشاريع المشتركة، أو علاقات التعاون في المجال التقني، وعلاقات التعاون التجاري[3].

إذن؛ إذا كانت العلاقات الاقتصادية (الدولية - الدولية) تأخذ عدة صور؛ فإنّ التكامل الاقتصادي بدوره يأخذ صوراً متعددة.

وقد تعدّدت الدراسات النظرية بخصوص درجات (الاندماج الاقتصادي) وأشكاله، فقد أشار الأستاذ BALASSA إلى ضرورة التمييز بين عدة درجات من الاندماج أو التكامل الاقتصادي، وهي: (اتفاقية التفضيل الجمركي، منطقة التجارة الحرة، السوق المشتركة، الوحدة الاقتصادية، والتكامل الاقتصادي التامّ)[4].

في حين يرى بعض المحللين أنّ درجات هذا الاندماج ينبغي أن تقتصر على أربع مراحل أساسية، وهي: (منطقة التجارة الحرة، الاتحاد الجمركي، السوق المشتركة، وأخيراً: الوحدة الاقتصادية)[5].

بينما يرى بعضٌ آخر أنّ (الاندماج النقدي) عنصر أساسي لاستكمال الاندماج.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أنّ تحقيق (الاندماج الاقتصادي) لا يمكن أن يؤتي ثماره مع استمرار كلٍّ من المؤسسات الوطنية للدول الأعضاء في وضعها الأصلي، فمثل هذه العملية تتطلب إقامة مؤسسات (فوق وطنية)، تفوّض لها حكومات الدول الأعضاء تدريجيّاً اختصاصاتها الاقتصادية، واتباع مثل هذا النهج التفويضي لا يكتمل كذلك دون دعم شعبيٍّ، يمكن التعبير عنه عن طريق الاستفتاء، أو من خلال إنشاء برلمان للمجموعة، يقوم على التمثيل النسبي لكلّ مواطني الدول الأعضاء، أو يُختار أعضاؤه من برلماناتها.

وبذلك؛ فإنّ نهاية المطاف، عند استكمال هذه المراحل، هي الانتقال من الوحدة الاقتصادية إلى وحدة سياسية تكون شبيهة إلى أبعد الحدود بالاتحاد الفيدرالي.

## ثالثاً: دوافع التكامل الإفريقي:

عقب انتهاء الحرب الباردة بدأت إفريقيا في التركيز في التنمية الاقتصادية، ومحاولة تجنّب الآثار السلبية لتيار العولمة،

---

(١) منير الحمش: التّكامل الاقتصادي العربي، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٧م، سليمان ناصر: التكتلات الاقتصادية الإقليمية كاستراتيجية لمواجهة تحديات الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، دراسة حالة الجزائر، مجلة الباحث، الجزائر، العدد ١، ٢٠٠٢م، ص ٨٦.

(٢) من أمثلة هذه المنظمات:
- صندوق النقد الدولي: أنشئ بموجب اتفاق بريتون وودز في الولايات المتحدة في ١٩٤٤/٧/١م؛ بهدف وضع نظام نقدي دولي لتحقيق التوازن في المدفوعات الدولية.
- البنك الدولي للإنشاء والتعمير: أنشئ بموجب اتفاق بريتون وودز؛ لمواجهة احتياجات الدول التي دمرتها الحرب، إضافة إلى حاجة الدول النامية إلى رأسمال للتنمية.
- المنظمة الدولية للتنمية الصناعية ONUDI: تكونت بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٦٦/١١/١٧م، كمنظمة مستقلة ضمن إطار الأمم المتحدة، بهدف تشجيع التنمية الصناعية في الدول النامية، وخصوصاً في قطاع الصناعة التحويلية.
- منظمة الأغذية والزراعة F.A.O: أُسست عام ١٩٤٥م بهدف العمل على تنسيق الكفاية الإنتاجية في الزراعة.

(٣) انظر – كمثال-: د. عبد المنعم سعيد، محمد فايز فرحات: مجموعة العشرين وإعادة هيكلة النظام الاقتصادي العالمي، سلسلة كراسات استراتيجية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد رقم ٢٠٧، القاهرة ٢٠١٠م، محمد فايز فرحات: الدول الصاعدة وإعادة هيكلة النظام الدولي، العدد ١٨٥ يوليو ٢٠١١م، ص ١٥.

(٤) B.BALASSA: The Theory of économique intégration, Allan anda Un Win London, fourth impression 1973.

(٥) د. سامي عفيفي حاتم: التجارة الخارجية بين النظرية والتنظيم، الجزء الثاني، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢م، ص ٢٨٦، وما بعدها.

والاستفادة منها، وذلك من خلال الاعتماد المتبادل[1]، من خلال تطوير منظمات قائمة، أو إنشاء منظمات جديدة.

ويعود ذلك إلى عدة أسباب، أبرزها ما يأتي:

– تمتلك قارة إفريقيا مقومات اقتصادية وسياسية وثقافية مشتركة: فأغلب اقتصاديات القارة خضعت للاستعمار، حيث نظّمت القوى الاستعمارية بعض الأنشطة الاقتصادية (التجارة، التمويل، المسائل النقدية، المسؤولية الإدارية، النقل)، وشبكات الاتصال، على أساسٍ إقليميٍّ، ومثل تلك الترتيبات التي استمرت بعد الاستقلال في الروابط النقدية بين فرنسا والدول الفرنكوفونية، أو منظمة الخدمات المشتركة لسوق إفريقيا.

– خضوع كثيرٍ من دول القارة لبرامج التكيف الهيكلي، وتحرير الاقتصاد: واشتراطات المانحين عبر سياسات البنك الدولي، ومراقبة صندوق النقد الدولي، وما ترتب على ذلك مما تعرضت له القارة[2].

– تشابه المشكلات التي تواجهها دول القارة الإفريقية: وبخاصة الفقر والديون[3]، وطبقاً لبعض التقديرات: يصل إجمالي الديون الخارجية على الدول الإفريقية حوالي ٣٠٠ مليار دولار، وعلى الرغم من تعدد الجهود والمبادرات الرامية لتسوية أزمة الديون؛ فإنها جميعها باءت بالإخفاق الذريع[4].

– الاشتراك في التطور التاريخي والاجتماعي: فقد عانت

**تحقيق (الاندماج الاقتصادي) لا يمكن أن يؤتي ثماره مع استمرار كلٍّ من المؤسسات الوطنية للدول الأعضاء في وضعها الأصلي، فمثل هذه العملية تتطلب إقامة مؤسسات (فوق وطنية)**

الدول الإفريقية من الاستعمار، والصعوبات الاقتصادية بعد الاستقلال، وتراكم الديون، وسلبيات التبعية الاقتصادية لدول الاستعمار السابق، كما تشترك جميعها في الاهتمام بتجنّب الآثار السلبية للعولمة، ومحاولة إظهار الاهتمام بحقوق الإنسان، وسيادة القانون، والشفافية والمساءلة (المحاسبية)[5].

– تشابه القدرات العسكرية والاقتصادية: تتسم الإمكانات العسكرية والاقتصادية لمعظم دول القارة بالضعف الشديد، باستثناء دول قليلة، كمصر، والجزائر، وكينيا، ونيجيريا، وجنوب إفريقيا.

وكذلك؛ تشترك الدول الإفريقية في التطور الذي شهدته النزاعات والحروب، وطريقة إدارة الصراعات، حيث اتجه معظمها إلى حلّ مشكلاتها عبر التفاوض، والاستعانة بآليات حفظ السلم وتسوية المنازعات التابعة للاتحاد الإفريقي، أو للتجمعات داخل القارة، ومن أبرز الأمثلة في هذا الإطار: الاعتماد بشكل كبير على قوات الأكوموج التابعة لتجمّع إيكواس للسيطرة على النزاعات في سيراليون وليبيريا، وتدخل القوات الإفريقية لحفظ السلام في الصومال حاليًا.

– تُعاني غالبية الدول الإفريقية التداعيات السلبية للعولمة: فأغلبها لا يستطيع اتخاذ قرارٍ في توزيع موارده؛ بسبب سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على اقتصاديات هذه الدول، وضعف

(١) طارق الشيخ: التجمعات الإفريقية: مقومات النجاح ومعوقات التكامل، الأهرام الرقمي، ١ يوليو ٢٠٠٧م.
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=221929&eid=1097

(٢) انظر: المشكلات التنموية في إفريقيا، تقرير الجزيرة نت، الأحد ٢٠٠٤/١٠/٠٣م.
http://www.aljazeera.net/specialfiles/48ec-be0f- -2e83 -pages/7b4b4877f4d037994bda

(٣) القمة الإفريقية.. آمال الوحدة والنهضة الإفريقية، موقع آخر الأخبار: ٢٥ مايو ٢٠١٣م.
http://www.akheralanbaa.com/ar/news/4605/%D8%B1%D8%B2%D8%A7%D8%B2

(٤) حمدي عبد الرحمان: إفريقيا وتحديات الألفية الثالثة، الديون والفقر، موقع أون إسلام، ٠١ سبتمبر ٢٠٠٠م.
http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/analysis-opinions/africa-latin-html.00-00-2000%01-09-2000-america/85335

(٥) خالد حنفي علي: قمة أكرا وعوائق الوحدة الإفريقية، الأهرام الرقمي، بتاريخ ٠١ أكتوبر ٢٠٠٧م.
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=221994&eid=4846

دور الدولة مع تطبيق برامج (الإصلاح الاقتصادي) التي أدّت إلى بيع الشركات العامّة والقطاع العامّ؛ ما أدى إلى فقدان هيبة الدول، وحدوث عدم استقرار سياسي مصحوب بانقلابات عسكرية، وهي ظاهرة مزمنة في الدول الإفريقية.

– تحتاج أغلب الدول الإفريقية إلى الاستفادة من بعض الفرص التي تتيحها العولمة: كالانضمام لتجمّعٍ إقليميٍّ يتيح لها زيادة استثماراتها، ورفع معدلات النمو الاقتصادي، وتخفيض التضخم، وتوسعة السوق أمام صادراتها، لخفض العجز المزمن في موازين المدفوعات، وتقوية مركزها التفاوضي مع التكتلات الغربية، وكسر التبعية للدول التي كانت تستعمرها.

### رابعاً: بعض تجارب التكامل الاقتصادي الإفريقي:

١ – التجمع الاقتصادي لدول غرب إفريقيا[١] ECOWAS:

أُنشئ في لاغوس، بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٧٥م، يضمّ خمس عشرة دولة، هي[٢]: (بنين، بوركينافاسو، الرأس الأخضر، ساحل العاج، جامبيا، غانا، غينيا، غينيا بيساو، النيجر، ليبيريا، مالي، موريتانيا[٣]، نيجيريا، السنغال، سيراليون، توجو)، بالإضافة إلى دولتين عُلقت عضويتهما مؤقتاً، وهما: (غينيا، والنيجر)، بسبب الانقلابات العسكرية[٤].

(١) Economic Community Of West African States

(٢) ECOWAS Member States, in http://www.ecowas.int/

(٣) خرجت موريتانيا في ديسمبر ٢٠٠٠م؛ بعد أن أعلنت رغبتها في الانسحاب في ديسمبر ١٩٩٩م.

(٤) غينيا كوناكري: شهدت انقلاباً عسكريّاً مدعوماً على المستوى الشعبي، في ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٨م، قام به النقيب «موسى داديس كامارا» أحد صغار ضباط الجيش، وذلك فور وفاة الرئيس الغيني الجنرال «لانسانا كونتي»، وهو الانقلاب العسكري الثاني في تاريخ غينيا بعد الاستقلال. انظر: السيد علي أبو فرحة: مستقبل الدولة الإفريقية بين السطوة العسكرية وجدوى الديمقراطية، المنبر الحرّ للجماهير الإريترية، ٢٣/١٢/٢٠١٢م.
http://www.hafash.org/index.php?option=com_content&view=article&id=2579:2013-02-23&catid=29:arabic&Itemid=328&

النيجر: وقع انقلاب النيجر في ١٨ فبراير ٢٠١٠م، قاده «سالو دجيبو»، حيث أطاح بالرئيس «مامادو تانجا»، ومن الأسباب المعلنة لهذا الانقلاب ما قيل عن إمعان الرئيس المنقلب عليه في مخالفة الديمقراطية، لمحاولته الترشح لولاية ثالثة، وهذا ما دفع بالمعارضة إلى إدانة ما سُمّي «انقلاب الرئيس»، ودعت قوات الأمن والدفاع إلى «العصيان»، وعدم شرعية بقاء الرئيس في السلطة بعد انتهاء آخر ٢٠٠٩م، وما ذكّى ذلك اتجاه «تانجا» لإقامة علاقات مع فنزويلا وإيران، والتفاوض مع الصين للاستثمار في مجال اليورانيوم، مما اعتُبر تهديداً للمصالح الفرنسية في النيجر، من ناحية أخرى: عدم الاستجابة للضغوط الدولية والإقليمية المطالبة بتسوية سلمية للأزمة في النيجر، فمثلاً قامت الجماعة الاقتصادية لغرب إفريقيا (الإيكواس) بتعليق عضوية النيجر، بيد أنّ الرئيس «تانجا» أصر على البقاء في السلطة، فحدث الانقلاب. انظر: السيد علي أبو فرحة: مستقبل الدولة الإفريقية بين السطوة العسكرية وجدوى الديمقراطية، قراءات إفريقية، ٢٣ فبراير ٢٠١٣ م، على موقع المجلة:
http://www.qiraatafrican.com/view/?q=1785

وقد سعى هذا التجمّع إلى تحقيق مجموعة أهداف، تتلخص في: تحقيق حرية انتقال رؤوس الأموال والسلع والخدمات بين الدول الأعضاء، والتنسيق بين الدول في مجال السياسات الزراعية والمشروعات ذات العائد المشترك، وفي مجال البحوث الزراعية والمائية والنقل والمواصلات والطاقة.

وبالرغم من شمولية هذه الأهداف؛ فإنه لم يتحقق منها إلا القليل.

٢ – الاتحاد الاقتصادي لدول وسط إفريقيا ECCAS:

أنشئ عام ١٩٨٣م، ودخل حيّز التنفيذ في أوائل ١٩٨٥م، يضمّ في عضويته ١١ دولة من إقليم وسط إفريقيا، هي: (أنجولا، بوروندي، الكاميرون، جمهورية وسط إفريقيا، تشاد، الكونغو (برازافيل)، جمهورية الكونغو الديمقراطية، غينيا الاستوائية، الجابون، رواندا، ساوتومي وبرنسيب).

وقد كان هذا الاتحاد يهدف إلى:

– تكوين سوق مشتركة للمجموعة، تهدف إلى تشجيع التعاون المتكامل بين الدول الأعضاء وتقويته، في المجالات الزراعية، والصناعية، والتنقل، والتجارة، والجمارك، والثروة الطبيعية، والمسائل المالية.

– إلغاء التعريفة الجمركية، والقيود والعقبات التي تعرقل التبادل التجاري، وتبديلها بتعريفة جمركية موحّدة، وإلغاء قيود انتقال الأشخاص والأموال، وتكوين مؤسسة تعاون وتنمية خاصة بالمنظمة، ومنح الدول الأعضاء للمنظمة مدة ١٢ سنة للاتجار الفعلي لمؤسساتها.

– توحيد قوانين الاستثمارات الخاصة بالتنمية، وتوزيع

المشـروعات بشـكلٍ متوازن بيـن الدول الأعضـاء، لخلـق العوامل المؤيدة للتبادل المتكامل وتشجيعها في مختلف المجالات[١].

٣ - منظمة إيجادIGAD [٢]:

تعـد الهيئـة الحكوميـة للتنميـة (إيجـاد) إحـدى المنظمات شـبه الإقليمية فـي إفريقيا، وهي ترعى التعـاون والتكامل الإقليمي فـي منطقة شـرق إفريقيا، حلّـت منظمة الإيجاد محـلّ الهيئة عبر الحكومية للتنمية ومواجهة الجفاف (IGADD) التي تأسسـت عام ١٩٨٦م من جانب سـت دول تعاني الجفاف في شـرق إفريقيا، وهي: (جيبوتي، وإثيوبيا، وكينياً، والصومال، والسودان، وأوغندا).

واجتمع رؤسـاء الـدول في جيبوتـي في يناير ١٩٨٦م لتوقيع الاتفاقية الذي أُطلق عليها رسـميًّا (إيجاد)، ومقرها الرسـمي في جيبوتي، وأصـبحت دولة إريتريا العضـو السابع بعد استقلالها عام ١٩٩٣م، وفي مارس ١٩٩٦م قام رؤساء الدول بتعديل ميثاق الإيجاد في نيروبي، وتنشيطها مع اسم جديد (الهيئة الحكومية للتنمية)[٣].

والدول الأعضـاء فـي منظمة إيجاد هي: (جيبوتـي، وإثيوبيا، وكينيـا، والصـومال، والسـودان، وأوغنـدا)، و (إريتريا، ومصـر، وليبيا) بوصفهم مراقبين.

أهداف الإيجاد:

- تعزيز التنمية المشـتركة، وتنسـيق السياسات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية والعلمية.

- مواءمة السياسـات فيما يتعلق بالتجارة والجمارك، والنقل، والاتصـالات، والزراعة، والمـوارد الطبيعية، وتعزيـز حرية حركة السلع والخدمات.

- خلق بيئة مواتية للتجارة الخارجية.

- تحقيق الأمن الغذائي الإقليمي، ومساعدة الجهود التي تبذلها الـدول الأعضـاء لمكافحة الجفاف بصـورة جماعيـة، وغيرها من الكوارث الطبيعية والكوارث من صـنع الإنسان، وعواقبها الطبيعية.

- بـدء البرامـج والمشـاريع الإقليميـة لتحقيـق الأمـن الغذائـي وتعزيزها، والتنمية المستدامة للموارد الطبيعية، وحماية البيئة.

- تطويـر وتحسـين البنيـة التحتيـة في مجالات الاتصـالات والنقل والطاقة في المنطقة.

- تعزيز السلام والاستقرار في المنطقة.

وُضعت استراتيجية منظمة إيجاد عام ٢٠٠٣م، وتمّ اعتمادها مـن ١٠ رؤسـاء، وتهدف الاسـتراتيجية إلى توجيه برامـج التنمية، وزيـادة التعاون فـي الأمن الغذائي، وحماية البيئة، وصـون السـلم والأمن والشؤون الإنسانية، والتعاون الاقتصادي والتكامل.

٤ - السـوق المشـتركة للشـرق والجنوب الإفريقي (كوميسا) COMESA [٤]:

السـوق المشـتركة ثاني أكبر تجمّع من حيث الكثافة السكانية على مستوى القارة، حيث يضمّ ٢٠ دولة، وقد بدأت إرهاصات تكوين هذا الاتحاد منذ ١٩٦٦م، إلا أنه لم يشـهد تكوين مؤسسات تكاملية إلا منذ إنشـاء (منظمة التجارة التفضـيلية) عام ١٩٨١م، حيث تم إنشـاء ثلاث مؤسسات لتنفيذ التكامل وتسـهيل حركة التجارة بين الدول الأعضاء[٥].

---

(١) المجموعة الاقتصادية لدول وسط إفريقيا، الهيئة المصرية العامة للاستعلامات، تاريخ النشر: ٢٠٠٩/٠٩/٣٠م، على الرابط:
http://www.sis.gov.eg/Ar/Templates/Articles/tmpArticles.aspx?ArtID=467#.VO3Wanzz2Zx

(٢) Intergovernmental Authority on Development (IGAD) , In 1983 and 1984, six countries in the Horn of Africa - Djibouti, Ethiopia, Kenya, Somalia, Sudan and Uganda - took action through the United Nations to establish an intergovernmental body for development and drought control in their region. The Assembly of Heads of State and Government met in Djibouti in January 1986 to sign the Agreement which officially launched IGADD with Headquarters in Djibouti. The State of Eritrea became the seventh member after attaining independence in 1993. See more:
http://igad.int/index.php?option=com_content&view=article&id=93&Itemid=153

(٣) انـظـر: مصر ومنظمة الإيـجـاد، الهيئة المصـرية العامة للاستعلامات، تاريخ النشر: الخميس / ٩ ديسمبر ٢٠١٠م، على الرابط/
http://www.sis.gov.eg/Ar/Templates/Articles/tmpArticles.aspx?ArtID=42122#.VO3XoHzz2Zw

(٤) The Common Market for Eastern and Southern of Africa

(٥) تضمّ الكوميسا في عضويتها ٢٠ دولة: (مصر، ليبيا، بوروندي، جزر القمر، جمهورية الكونغو الديمقراطية، جيبوتي، إريتريا، إثيوبيا، كينيا، مدغشقر، سيشل، مالاوي، موريشيوس، رواندا، السودان، سوازيلاند، أوغندا، زامبيا، وزمبابوي)، (مع ملاحظة انسحاب تنزانيا من الاتفاقية في سبتمبر ٢٠٠٠م)، انظر: موقع الكوميسا:
COMESA Members States, in http://about.comesa.int/index.

أهداف الكوميسا:

- التوصل إلى النمو المتواصل والتنمية المستدامة في الدول الأعضاء، عن طريق تشجيع هيكل إنتاج وتسويق متوازن ومتناسق.

- دفع عجلة التنمية المشتركة في كلّ مجالات النشاط الاقتصادي، والتبنّي المشترك لسياسات الاقتصاد الكلّي وبرامجه، لرفع مستويات المعيشة السكانية، وتشجيع العلاقات الحميمة بين الدول الأعضاء، والتعاون في خلق مناخ مواتي للاستثمار المحلي والأجنبي والعابر للحدود[١].

- التعاون في تعزيز العلاقات بين السوق المشتركة وبقية دول العالم.

- التعاون في مجال دفع مسيرة السلام والأمن والاستقرار بين الدول الأعضاء، وذلك لتقوية أواصر التنمية الاقتصادية في المنطقة.[٢]

٥ - اتحاد المغرب العربي[٣] UMA:

ظهرت فكرة الاتحاد المغاربي قبل الاستقلال، وتبلورت في أول مؤتمر للأحزاب المغاربية الذي عقد في مدينة طنجة بتاريخ ٢٨-٣٠/٤/١٩٥٨م، وضمّ ممثلين عن حزب الاستقلال المغربي، والحزب الدستوري التونسي، وجبهة التحرير الوطني الجزائرية.

وبعد الاستقلال كانت هناك محاولات نحو تعاون دول المغرب العربي وتكاملها، مثل إنشاء (اللجنة الاستشارية للمغرب العربي) عام ١٩٦٤؛ لتنشيط الروابط الاقتصادية بين دول المغرب العربي، و (بيان جربة الوحدوي) بين ليبيا وتونس عام ١٩٧٤م، و (معاهدة مستغانم) بين ليبيا والجزائر، و (معاهدة الإخاء والوفاق) بين الجزائر وتونس وموريتانيا عام ١٩٨٣م، وأخيراً اجتماع قادة المغرب العربي بمدينة زرالده في الجزائر يوم ١٩٨٨/٦/١٠م، وإصدار (بيان زرالده) الذي أوضح رغبة القادة في إقامة الاتحاد المغاربي، وتكوين لجنة تضبط وسائل تحقيق وحدة المغرب العربي.

أعلن عن قيام (اتحاد المغرب العربي) في ١٩٨٩/٢/١٧م بمدينة مراكش من قِبَل خمس دول، هي: (المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، وموريتانيا).[٤]

نصّت معاهدة إنشاء الاتحاد المغاربي على الأهداف الآتية:

١ - توثيق أواصر الأخوّة التي تربط الأعضاء وشعوبهم.

٢ - تحقيق تقدّم مجتمعاتهم ورفاهيتها، والدفاع عن حقوقها.

---

php?option=com_content&view=article&id=123&Itemid=121

لمزيد من التفاصيل حول الكوميسا، راجع: د. سمير محمد عبدالعزيز: التكتلات الاقتصادية الإقليمية في إطار العولمة، الكوميسا- مجموعة ١٥- أوروبا الموحدة، المشاركة الإفريقية المتوسطة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، دون ذكر المدينة، ط١ - ٢٠٠١م.

(١) للتفصيل أكثر حول تجمّع الكوميسا يمكن الرجوع إلى: ولد محمد عيسى محمد محمود: معوقات التكتلات الاقتصادية الإقليمية في البلدان النامية (دراسة حالة الكوميسا، مجلة الباحث، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد ٢٠١٢/١٠م، ص (٢٣ - ٣٢).

(٢) السوق المشتركة لدول شرق وجنوب إفريقيا (الكوميسا)، قراءات إفريقية، ١٠ يونيو ٢٠١٢م.
http://www.qiraatafrican.com/view/?q=701

(٣) L›Union du Maghreb arabe

(٤) اتحاد المغرب العربي: الهيكل التنظيمي والأهداف، إعداد قسم الدراسات والبحوث، الجزيرة نت، الأحد ١٤٢٥/٨/١٨ هـ الموافق ٢٠٠٤/١٠/٣م.
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/da8782d7-a52a-446b-b55e-7e5dae19d48c

٣ - المساهمة في صيانة السلام القائم على العدل والإنصاف.

٤ - انتهاج سياسة مشتركة في مختلف الميادين.

٥ - العمل تدريجياً على تحقيق حرية تنقل الأشخاص، وانتقال الخدمات والسلع ورؤوس الأموال.

وأشارت وثيقة المعاهدة إلى أنّ السياسة المشتركة تهدف إلى تحقيق الأغراض الآتية:

في الميدان الدولي: تحقيق الوفاق بين الدول الأعضاء، وإقامة تعاون دبلوماسيٍّ وثيق بينها يقوم على أساس الحوار.

في ميدان الدفاع: صيانة استقلال كلّ دولة من الدول الأعضاء.

في الميدان الاقتصادي: تحقيق التنمية الصناعية والزراعية والتجارية والاجتماعية للدول الأعضاء، واتخاذ ما يلزم من وسائل لهذه الغاية، خصوصاً بإنشاء مشروعات مشتركة، وإعداد برامج عامّة ونوعية.

في الميدان الثقافي: إقامة تعاون يرمي إلى تنمية التعليم بجميع مستوياته، والحفاظ على القيم الروحية والخلقية المستمدة من تعاليم الإسلام السمحة، وصيانة الهوية القومية العربية، واتخاذ ما يلزم من وسائل لبلوغ هذه الأهداف، خصوصاً بتبادل الأساتذة والطلبة، وإنشاء مؤسسات جامعية وثقافية، ومؤسسات متخصصة في البحث تكون مشتركة بين الدول الأعضاء[١].

٦ - تجمّع تنمية الجنوب الإفريقي[٢] (SADC):

يُعدّ من التجمعات الأساسية التي سيرتكز عليها قيام (الجماعة الاقتصادية الإفريقية).

يوجد في سادك ١٤ دولة، هي: (أنغولا، بتسوانا، ليسوتو، مالاوي، موزمبيق سوازيلاند، تنزانيا، زامبيا، زيمبابوي، ناميبيا منذ ٣١ مارس١٩٩٠ م منذ الاستقلال، جنوب إفريقيا منذ ٣٠أغسطس ١٩٩٤م، موريشيوس منذ ٢٨ أغسطس ١٩٩٥م، الكونغو الديمقراطية منذ ٨ سبتمبر ١٩٩٧م، مدغشقر منذ ١٨ غشت (أغسطس) ٢٠٠٥م).

النشأة:

بدأت منظمة سادك SADC باسم: (مؤتمر تنسيق تطوير الجنوب الإفريقي SADCC)، أسستها، في أبريل ١٩٨٠م، حكومات البلدان الإفريقية الجنوبية التسع: (أنجولا، بتسوانا، ليسوتو، مالاوي، موزمبيق، سوازيلاند، تنزانيا، زامبيا، زيمبابوي)، وفي أغسطس ١٩٩٢م تحولت من SADCC إلى SADC عندما اجتمعت الدول الأعضاء في (ويندهوك / ناميبيا)، وتمّ توقيع ميثاق جماعة تنمية الجنوب الإفريقي[٣] SADC.

الأهداف:

- تخفيف حدة الفقر هو الهدف الأسمى للتجمّع؛ لتحرير شعوب المنطقة من آثاره.

- تحقيق التنمية والنمو الاقتصادي، وتحسين مستويات المعيشة لشعوب الجنوب الإفريقي.

- تعزيز وسائل الحماية والأمن؛ عن طريق التحالف العسكري المشترك بين دول التجمّع.

- تحقيق التكامل بين الاستراتيجيات والبرامج الإقليمية والمحلية.

- تعزيز الاستفادة من الأيدي العاملة، والانتفاع من موارد الإقليم.

- تقليص اعتماد الدول الأعضاء -بشكلٍ خاصٍّ- على دولة جنوب إفريقيا (حيث تمّ تأسيس التجمّع قبل عملية التحوّل السياسي في جنوب إفريقيا، وإعلان إنهاء النظام العنصري بها في عام ١٩٩٤م).

خلاصة القول:

على نحو ما أشار كثير من الباحثين؛ فإنّ اهتمامات الدول الإفريقية من وراء التجمعات الإقليمية تدور حول ثلاثة أهداف:

١ - الحدّ من الفقر: وتتطلب مواجهته تركيزاً كبيراً في تنمية (السلع العامّة الإقليمية)، والتي تشمل: (النقل، الطاقة، المياه، تكنولوجيا المعلومات)، لتعزيز التجارة بين مختلف الدول والتفاعلات البينية.

---

(١) اتحاد المغرب العربي، الأهداف والمهام: موقع اتحاد المغرب العربي، http://www.maghrebarabe.org/ar/obj.cfm

(٢) Southern African Development Community

(٣) انظر بتفصيل: عاصم فتح الرحمن أحمد الحاج: التكتلات الاقتصادية الإقليمية الإفريقية، جماعة التنمية لدول الجنوب الإفريقي (سادك) نموذجاً - SADC، موقع سودانايل: http://www.sudanile.com/2008-05-19-17-39-10/36-977-2011-05-24-08-47-10/38147-2012-02-09-17.html

٢ - توسعة التكتلات التجارية الإقليمية: ويُعدّ هذا الهدف أصيلاً ومحورياً للعديد من دول القارة الإفريقية المنخرطة في تجمعات إقليمية، وفي هذا الصدد؛ سيكون من المناسب للمؤسسات الإقليمية، والمستثمرين الأجانب، والهيئات التنموية إدراك الأهمية المحتملة لـ: (ممرات التنمية)، للحدّ من الفقر، علماً بأنّ هذه الممرات هي بمثابة آلية موثوق في قدرتها على نقل السلع العامّة الإقليمية وتوصيلها.

ويُعدّ الاستثمار في الطاقة (الكهربائية على وجه الخصوص) القضية الأخرى ذات الأهمية الكبرى للدول الإفريقية، لأنها أكثر مطالب البنية التحتية إلحاحاً لدى هذه الدول، ولأنّ عدم وجود مصدر دائم ومعتمد عليه من الطاقة يُعدّ أكبر عقبة أمام الإنتاج والنمو الاقتصادي[1]، وهنا تبرز أهمية التجمعات الاقتصادية الإقليمية لعلاج تلك المشكلة بتكلفة أقلّ وبحلول ناجحة.

٣ - تحقيق سلطة متجاوزة للقوميات: تبرز أهمية هذه الفائدة من التجمعات الإقليمية في حالة النزاعات القومية أو الانقلابات العسكرية.

## خامساً: تحديات التكامل الاقتصادي في إفريقيا:

تواجه التجمعات الاقتصادية الإفريقية عدة تحديات، نوردها كالاتي:

١ - تحديات داخل التكتلات الاقتصادية القائمة:

للاستقرار السياسي دور رئيس في نجاح إقامة أي تكتّل اقتصادي، ويتحقق الاستقرار السياسي من خلال إعلاء سيادة القانون، وتحقيق مبدأي الشفافية والمساءلة، بالإضافة إلى تداول السلطة بطرق ديمقراطية، ووضع استراتيجيات لها صفة الاستمرار في القطاعات كافة، خصوصاً فيما يتعلق بتطبيق الأدوات الاقتصادية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية.

وليس من المعتاد أن تفصل دول القارة بين العلاقات السياسية والعلاقات الاقتصادية، فهذا الفصل أبطأ وتيرة التعاون داخل بعض التجمّعات، فعلى سبيل المثال: تعرضت مسيرة تجمّع المغرب العربي للعراقيل نتيجة للتضارب القائم بين سياسات الدول الأعضاء، وكذلك التكامل (المصري - السوداني) في بعض الفترات.

وعلى صعيد السياسات: فإنّ دول القارة لا تضع استراتيجيات بعيدة المدى، خصوصاً فيما يتعلق بالتعاون الاقتصادي البيني، حيث تتعطل العلاقات نتيجة لتغيّر الحكومات من وقت لآخر.

كذلك هناك حاجة إلى التوفيق بين السياسات الاقتصادية، والمالية، والنقدية بصورة كاملة، بداية بضمان قابلية تحويل العملات فيما بين الدول الأعضاء، ثم توحيد أسعار الصرف، ثم الوصول إلى عملة موحدة، وقد حقّقت عديد من العملات قدراً من قابلية التحويل على المستوى الإقليمي، الأمر الذي يشجّع عملية التجانس النقدي، ويعزّز التجارة البينية الإقليمية.

العقبات الإدارية والقانونية: تُعدّ قاعدة (التوافق الجماعي) أهمّ العقبات الإدارية المؤثرة في جهود التكامل الاقتصادي بين الدول الإفريقية، فبالرغم من أنّ الهدف من هذه القاعدة يتمثّل في تفادي الانشقاقات والصراعات الصريحة عند عملية التصويت؛ فإنها أسفرت عن مشكلات عند التطبيق، ففي كثير من الأحيان تستغرق المفاوضات المتعلقة بقرارات المنظمة وقتاً وجهداً كبيرين، وتنتهي عادة بقرارات توفيقية - بهدف إرضاء جميع الأطراف - خالية من محتوى ذي قيمة[2]!

٢ - معوقات دمج التجمعات:

في ظلّ غياب ثقافة (التكامل الاقتصادي) تنظر حكومات كثير من الدول الإفريقية بعين الشكّ لكلّ ما ينتقص من سيادتها

**الطريق أمام تحقيق التكامل الاقتصادي الإفريقي طويل وشائك، وفي حاجة إلى بذل الجهود المشتركة من مختلف الأطراف، ونبذ الخلافات**

(١) انظر في هذا الموضوع: الاتحاد الإفريقي والتكامل في مجال الطاقة: تحديات ودروس، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠١٣/١٢/١٧م، رابط/
http://acpss.ahram.org.eg/projectsRep.aspx?Report_ID=53

(٢) انظر: د. مصطفى سلامة حسين: الجماعة الاقتصادية الإفريقية.. قراءة قانونية، السياسة الدولية (القاهرة - مؤسسة الأهرام، يوليو ١٩٩٣م)، ص ٤٣.

الوطنيـة، في مراحـل التكامل الاقتصـادي المختلفـة، مما يعرقل عمليـات الانتقال عبر مراحل التكامل الاقتصـادي، وإن حدث ذلك الانتقال؛ فيكون صوريًا، وسرعان ما تكتنفه المشكلات[1].

وعلى الرغم من أنّ (التكامل الإقليمي) كان مدرجاً في جدول أعمـال البلـدان الإفريقية لعقـود خلت؛ فإنّ تلـك الجهود تواجهها العديـد من التحديات التي تعرقل مسـيرة التكامل، ولم تسـهم في تحقيق الدور المتوقع من تلك الجهود.

وأهمّ هذه العقبات:

- على الرغم من الموارد التي تزخر بها إفريقيا؛ فإنّ إمكانات الوصول إلى الطاقة بالقارة تقع عند مستوى أدنى بكثير مما هو عليه في بقية أنحاء العالم.

- تصـطدم عمليـة التكامل في القارة بالعديـد من النزاعات التي تسود بعض الدول الأعضاء.

- الانتشـار الواسـع للعوائـق، والمتاريـس، ونقـاط التفتيش على امتـداد الطرق الإفريقيـة، مما يزيد من تكلفة النقل، ويسـهم في تأخّر تسليم السلع، مما يؤدي إلى عرقلة حركة التجارة داخل القارة وخارجها.

- ضـعف شـبكة الهياكل الأساسـية، والبنـى التحتية، مقارنة بالمقاييس العالمية، يعوق التجارة البينية بين البلدان الإفريقية.

- وجـود تبايـن واضـح بيـن دول التجمّـع، أو بيـن التجمعات المختلفة، ومن شأن هذه الفجوة الاقتصادية أن تعطّل مجرد إقامة حـوار فيمـا بينها وفقـاً لبرنامج مشـترك، مما يعنـي إعاقة تكامل اقتصاداتها لتصبح اقتصاداً واحداً.

- لـم تضـع التجمّعـات الاقتصـادية الإفريقية إطـاراً يعالج التزامـات الدول الإفريقية الأعضـاء فـي تجمّع اقتصـاديٍّ إقليميٍّ تجاه تجمّع آخر منضـمّة إليه، وهو ما يخلق ازدواجية في الخطوات اللازمـة لتحقيـق التكامل، كما يتعارض مع قواعـد منظمة التجارة العالمية التي تنصّ على أنّ الدولة العضـو بتجمّع اقتصـاديٍّ ينبغي ألا تنضم إلى أكثر من اتحادٍ جمركي.[2]

(١) طارق الشيخ: التجمعات الإفريقية... مقومات النجاح وعوائق الفشل، مجلة السياسة الدولية، يوليو ٢٠٠٧م.

(٢) أميرة البربري: (مؤتمر): خمسون عاماً على العمل الوحدوي الإفريقي، تحت رعاية الاتحاد الإفريقي للاحتفال بمرور خمسين عاماً على الوحدة الإفريقية، موقع السياسة الدولية، رابط/
http://www.siyassa.org.eg/News/3141/51/6/أنشطة-السياسة-الدولية/مؤتمرات-وندوات/إنجازات-واخفاقات.aspx

## سادساً: كيفية تجاوز العقبات:

مـا زالت هناك فجـوةٌ كبيـرةٌ بين الواقـع الفعلـي للتجمعات الاقتصادية الإفريقية والآمال الإفريقية المعقودة عليها، وردم هذه الفجوة يتطلب جهوداً ضخمة على كلّ المستويات.

فعلى الصـعيد السياسـي: يتطلـب الأمر مزيداً من التنسـيق المتبادل بين الحكومات الإفريقية، ومزيداً من الالتزام بالمعاهدات والاتفاقيـات والبروتوكـولات الموقّعـة فـي إطـار هـذه التجمعات، بالإضافة إلى دعم الديمقراطية والحكم الرشيد.

وعلـى المسـتوى الاقتصـادي: لا بـد مـن التـزام الحكومات الإفريقيـة بدعـم التجـارة البينيـة، بتطويـر البنيـة التحتيـة فـي مجالات النقل والطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصـالات، وزيادة التنسـيق من أجل توحيد اللوائح والقواعد المنظّمة لحركة التجارة والاستثمار، وتسهيل انتقال المستثمرين بين مختلف دول القارة.

هـذا إلـى جانب دعـم الابتـكار لزيادة القـدرات التنافسـية الإفريقية في الاقتصـاد العالمي القائم على المعرفة والتكنولوجيا، إلى جانب تقوية الشـراكات بين القطاعيـن العامّ والخاص، وتوفير التمويل اللازم.

وعلى المستوى الأمني: تبرز أهمية مواجهة التحديات الأمنية، إذ يصـعب توقّع تحقيـق نقلة نوعية في مجال التكامل الاقتصـادي والتجارة الإقليمية البينية دون بيئة أمنية مواتية.

## وأخيراً:

تجدر الإشارة إلى ضرورة دمج دور مؤسسات المجتمع المدني والقطـاع الخاص في مشـروعات التكامل الاقتصـادي وتوسـيعها، خصوصـاً فـي مجـال صـياغة برامـج تيسـير التبـادل التجـاري وتنفيذها، على نحو يضـمن تفعيل الأدوات الشـعبية جنباً إلى جنب مـع الأدوات الحكوميـة والنخبويـة، وفي هذا السـياق تأتـي أهمية توسـيع دور كيانات رجال الأعمال، والتواصل مع جماعات المصالح ذات الصلة.[3]

كما يجب تأكيد ما يأتي:

- ضـرورة أن يتـم التفاوض مع التكتـلات العالمية، كالاتحاد الأوروبـي، مـن خـلال اسـتراتيجية موحـدة للتجمعـات الإقليمية

(٣) نهاد مكرم: الاتحاد الإفريقي والتجارة البينية الإفريقية.. حالة الكوميسا، مركز الأهـرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، رابط/
http://acpss.ahram.org.eg/projectsRep.aspx?Report_ID=49

الإفريقية، وليس من قِبَل كلّ دولة بشكل منفرد.

– ضـرورة التركيز في قطاعات تنموية تربط الدول الإفريقية بعضها ببعض، مثل: الاتصالات، الطرق، الطاقة، والمياه.

– أهميـة أن تتلاءم التزامـات التجمعات الإفريقية ومسـتوى نمـوّ اقتصـاد كلّ دولـة، كما ينبغـي أن تتـوازن المزايـا والتكاليف للالتزامات بين دول التجمعات الإقليمية[1].

لم تنجح التجمعات الاقتصادية الإفريقية في تحقيق الآمال التي كانت معقودة عليها، بل إنها لم ترتقِ إلى مستوى أقلّ الرؤى المطروحة عند إنشائها طموحاً، ويعني ذلك من الناحية العملية أمرين:

الأول: أنّ علـى الحكومـات والتجمعـات الإقليميـة القيـام بالمزيد من الجهد، وإظهار المزيد من الإرادة السياسـية والجدية التنفيذية للتقدم في مسيرة تلك الترتيبات التعاونية والتكاملية على الصعيدين الإقليمي ودون الإقليمي.

والثانـي: أنّ علـى المجتمع الدولـي واجب مدّ يد العـون: أولاً بالإقـرار بمكانة هذه الترتيبات ودورها، وثانياً بالتعاون المؤسسـي والمنهجـي والمنتظـم معهـا، بما يشـمل تمكينها مـن الارتقاء إلى توقعـات النخـب والشـعوب الإفريقيـة، وتلبيـة متطلبـات التنميـة والتعـاون والتكامـل فيمـا بين الـدول الإفريقيـة على الصـعيدين الإقليمي أو دون الإقليمي.

يتصـل بذلـك: التداعيات السـلبية لغياب التمثيل المنصـف للقـارة الإفريقيـة في عضـوية التجمعـات الدوليـة المؤثـرة، مثل (مجموعـة العشـرين)، فبالرغـم من معـدلات النمو الاقتصـادي المتزايـدة لدول القارة الإفريقية في السـنوات الأخيرة؛ فإنّ القارة السـمراء بأسرها ليست ممثلة في عضـوية المجموعة إلا عبر دولة واحـدة فقط هـي (جنوب إفريقيـا)، وهو أمر لا يعكـس الواقع من حيـث الثقل والـوزن والدور الاقتصـادي والتجاري، سـواء لإفريقيا ككل، أو لدولها بشكلٍ فردي[2].

**من المناسب للمؤسسات الإقليمية، والمستثمرين الأجانب، والهيئات التنموية إدراك الأهمية المحتملة لـ: (ممرات التنمية)**

## الخلاصة:

لقد حبا الله القارة الإفريقية بالمصـادر الطبيعية الغنية، مع التميز ببعض المصـادر الاسـتراتيجية التي لا تقارن، وهذه الميزة النـادرة فـي المصـادر الطبيعيـة لا تمـدّ إفريقيا فقـط بإمكانات ضـخمة للتنمية الاقتصادية فحسب، لكن أيضـاً تشكّل جذباً كبيراً للدول الغربية، ومن ضمنها الولايات المتحدة خلال مسعاها لحفظ وتوسيع وضعها الاستراتيجي في القرن الحادي والعشرين، وفي هذا السـياق؛ فإنّ إفريقيا تسـتعيد قوتها لجذب العالم، كما أنّ مكانتها وتأثيرها يتحسنان أيضاً.

ومـن جانـب آخـر؛ فـإنّ النزعـة لاسـتمرار تهميـش إفريقيا، والصـراعات المستمرة في بعض المناطق فيها، لا تتوافق إطلاقاً مع التطور السـريع للعولمة الاقتصـادية في العالم الحالـي، وفي الوقت الـذي تتزايد فيـه أعداد الـدول التي تحشـد كلّ طاقاتهـا ومواردها المادية لكي تنال مكانة مواتية في المنافسـة للقوة الوطنية الشـاملة في العالم في المستقبل؛ نجد بعض البلاد الإفريقية ما زالت تشنّ بلا ضمير حروباً بلا معنى، وعلى حساب أعداد كبيرة من أرواح البشر!

وبذلـك يمكـن القـول: إنّ الطريـق أمـام تحقيـق التكامـل الاقتصـادي الإفريقي طويل وشـائك، وفي حاجة إلـى بذل الجهود المشتركة من مختلف الأطراف، ونبذ الخلافات ■

(١) خالد حنفي علي: الإقليمية الجديدة في إفريقيا.. ومواجهة العولمة، أون إسلام: ٢٥ مايو ٢٠٠١م.
http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/analysis-opinions/africa-latin-html.00-00-2000%25-05-2001-america/85307

(٢) د. وليد محمود عبد الناصر: إفريقيا في عصر العولمة: التحديات والفرص، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠١٥/٠١/٠١م. أنشئت (مجموعة العشرين) أصلاً إبّان الأزمة المالية الآسيوية لعامي ١٩٩٧/١٩٩٨م، إلا أنه منذ هذا التاريخ حدثت تغيرات جذرية وتحولات على المشهدين الاقتصادي والمالي العالمي، وهو ما يسوّغ الدعوة إلى ضرورة إعادة النظر في تشكيل المجموعة، ودورها، وولايتها، ووظيفتها، بما في ذلك ضمّ دول إفريقية أخرى لعضويتها، مثل: مصر ونيجيريا، رابط/
http://www.rcssmideast.org/Article/2960/إفريقيا-في-عصر-العولمة-التحديات-والفرص#.VO8Prnzz2Zw

# المرأة الإفريقية ودورها في النهوض بالقارة

والزوجية تعني: تفرّد كلٍّ من الزوجين (الجنسَين) بخصائص نفسية وبيولوجية تناسب وظيفته ودوره في تناسلهما، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء﴾ (النساء : ١)، كما تعني أنهما شريكان في حمل رسالة السماء، وعمارة الأرض بها، فالعمارة ليست وقفاً على التناسل والتكاثر، كما أنّ مسؤولية حمل الرسالة وعمارة الأرض بها ليست وقفاً على أحدهما دون الآخر، فالمساواة فيهما قائمة بين الذكر والأنثى، فالخطاب الإلهي وما يتضمّنه من تكليف ومسؤولية يشملهما معاً، ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة : ٣٥ - ٣٨).

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (طه : ١٢٣ - ١٢٧).

هذه الوضعية والوظيفية العامّة والخاصّة لكلٍّ من الذكر والأنثى، وما يترتّب عليها من التزامات وواجبات وحقوق لكلٍّ منهما، كانت موضع خلاف واختلاف،

**محمد العقيد**

**كاتب وباحث سوداني، وعضو هيئة تحرير مجلة قراءات إفريقية.**

# المرأة

**صِنْوُ الرجل منذ بدء خَلْق الإنسان؛ وإنْ تمايز جنس كلٍّ منهما ببعض الخصائص، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥]، فمبدأ الخَلْق من نَفْسٍ واحدة يحسم جدالاً عقيماً حول طبيعة المرأة، ويُبطل كلّ إنكارٍ لكونها بشراً، أو تشكيكٍ في إنسانيتها وأنها مساوية للرجل في ذلك.**

وبخاصة مكانة المرأة ودورها وحقوقها، في فكر الإنسان وفلسفاته، لاختلاف مرجعياته ومنطلقاته، تشكّلت على ضوئها الأعراف والتقاليد، وسُنّت القوانين، وترتبت عليها آثارٌ عملية في نُظُم الحياة العامّة، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، في حضارات الأمم والشعوب، بمراحل التاريخ المختلفة.

وعانت المرأة بسبب ذلك المهانة في كلّ زمانٍ ومكانٍ – إلا قليلاً – منذ فجر الحضارات، حتى جاء الإسلام، فبوّأها منزلة الكرامة الإنسانية، وكَفَلَ لها حقوقها، وجعل النساء شقائق الرجال، وجعل الجنّة عند أقدام الأمهات.

إلا أنه بعد انتهاء عصر صدر الإسلام سرعان ما تغيّر الأمر بشأن المرأة ومكانتها وحقوقها، واحتدم الجدال بشأن دورها ومشاركتها في الحياة العامّة، وتقلّصت مساهماتها في عملية التنمية والنهوض بالمجتمعات.

لا مِرَاء في أنّ المرأة تمثّل واحدة من أهم شرائح المجتمع والقوى الفاعلة والمؤثرة في جوانب الحياة المختلفة والنهوض بها، تتباين مكانتها، ويختلف دورها بحسب بيئاتها، وما يحيط بها من عوامل، وبسبب ما طرأ على المجتمعات من متغيّرات وتطوّرات سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها.

في العصر الحديث أصبحت قضية المرأة مجالاً للبحوث والدراسات من منظورات مختلفة، تتقاذفها تيارات متباينة بدعاوى شتَّى، لا تكاد تميّز بين الطيب من الخبيث منها، وما هو على الحقّ وما هو باطل، والذي يقودها إلى الغيّ والضلال من الذي يهديها إلى سُبل الرشاد.

وفي هذه الدراسة حرص الباحث على التركيز في النقاط الجوهرية في قضية المرأة ومشاركتها في التنمية والنهوض بالمجتمعات في إفريقيا، استناداً إلى ما تتسم مرجعيته بالصدق والثبات، قياساً على مرتكزات سنّة الحياة في خَلْق الإنسان وفطرته، ووظيفته في عمارة الأرض، ودور كلٍّ من زوجيه الذكر والأنثى، وما أُودعه من خصائص وقدرات وإمكانيات مميزة لكلّ جنسٍ عن الآخر، ومكملة للزوجية القائمة بينهما تحت حقيقة الإنسانية والمساواة فيها.

## أولاً: دور المرأة الإفريقية، ومحدداته في النهوض بالقارة وتنميتها:

المرأة بصورة عامّة، والإفريقية بصورة خاصّة، تتضاعف التعقيدات عند تناول قضاياها ودورها في الحياة من منظورٍ عادلٍ وموضوعيّ، وخصوصاً على مستوى الفهم والتحليل والتقييم، لخضوع الحقائق المتصلة بها للعديد من التشوّهات والتناقضات والتفسيرات القاصرة في كثيرٍ منها، وتباين المرجعيات التي يُستند إليها والمعايير التي يُقاس عليها، وعدم تجرّدها أحياناً من ناحية، واختلاف الواقع من بيئة لأخرى، ومن زمانٍ لآخر؛ من ناحية ثانية، وتعدّد العوامل المؤثرة في وضعية المرأة؛ من ناحية ثالثة.

أصبحت قضية المرأة اليوم ومكانتها ودورها في الحياة من أبرز قضايا صراع الحضارات وتجاذب الثقافات، إذ تكاد تتلاشى عندها خصوصية كلّ أمّة في بناء مجتمعاتها، وتحديد علاقاتها وفق معتقداتها

وعاداتها وتقاليدها، فهنالك أكثر من منظورٍ لتصوير حياة النساء في إفريقيا، منها ما هو محلّي الطابع؛ كالمنظور الوثني، والمنظورات القبلية والطبقية والعرقية، ومنها ما هو وافدٌ على البيئة الإفريقية؛ كالمنظور الاستعماري ومنظور الليبرالية الغربية، وأخيراً العولمة، وهنالك ما هو مشترك، شهدته معظم الحضارات وتاريخ الأمم والشعوب، وأبرز ما يمثّل ذلك هيمنة الأديان وسيادتها.

إنّ أخطر ما يواجه المرأة اليوم أن تُبدّد طاقاتها أو أن تُوجّه مشاركاتها إلى ما يجعل منها وبالاً عليها وعلى مجتمعاتها، وهذا ما يؤكد ضرورة التركيز؛ ليس في أن تشارك بصورة مطلقة؛ وإنما في المشاركة الإيجابية والتنمية الحقيقية، وما ترتكز عليه من أُسس سليمة، وضوابط تحكمها وفق تلك الأسس، وذلك ما يدعو إلى النظر في طبيعة كلّ منظورٍ، ومدى اتساقه في منطلقاته ومفهوماته مع السنن الكونية المطلقة المتصلة بخَلْق الإنسان وفطرته وسويته النفسية، وفهمه لدوره ومسؤوليته في عمارة الأرض، وخصائصه العامّة المشتركة بين جنسَيْه (الذكر والأنثى)، وما يتميّز به كلٌّ منهما من خصائص وفروقات يتكامل بها مع الآخر في النهوض بحياة الإنسان واستدامتها، والقيام بوظائفها العامّة، ووظائفها الخاصّة (التناسلية)، وما يترتب عليها من وضعية مناسبة لكلٍّ منهما؛ لا تلغي مبدأ مساواتهما أو تنقص منها في إنسانية كلٍّ منهما.

إنّ المنظورات السابقة تمثّل محدّدات لوضعية المرأة الإفريقية وفعاليتها في النهوض بالقارة الإفريقية، وهما أمران متلازمان؛ ففعالية المرأة تتوقف على وضعيتها التي تتشكّل وفق ما هو سائد في المجتمعات من معتقدات وثقافات وعادات وتقاليد، وما ينتقل إليها من مؤثرات خارجية، وما يحيط بها من ظروفٍ مادية وغيرها، وما يطرأ عليها من متغيّرات وتطوّرات.

### المرأة الإفريقية والديموغرافيا:

تجاوز التعداد السكاني لقارة إفريقيا مليار نسمة، تُمثّل المرأة أكثر من ٥٠ ٪ منه، فقد بلغ عدد النساء في إفريقيا ٥١٥,٩٢٢ مليون امرأة عام ٢٠١٠م، في شمال إفريقيا ٩٩,٥٩٩ مليون امرأة، وفي إجمالي منطقة جنوب الصحراء ٤١٦,٣٢٤ مليون امرأة؛ منها في شرق إفريقيا ١٧١,٩٧٦ مليون امرأة، وفي غرب إفريقيا ١٥١,٣٠١ مليون امرأة، وفي وسط إفريقيا ٦٢,٨١٤ مليون امرأة، وفي جنوب القارة ٣٠,٢٣٣ مليون امرأة[١].

وبحسب تقرير البنك الدولي فإنّ نسبة المرأة عام ٢٠١١م بلغت ٥١,١ ٪ من التعداد الكلّي للسكان في إفريقيا[٢]، وهي نسبة تتضمّن مخاطر وقيوداً عديدة بالنسبة لنهضة القارة الإفريقية، كما أنها تهيئ للمرأة أن يكون لها دورٌ فاعل في النهوض بالمجتمعات الإفريقية، والقارة بأسرها؛ بشرط أن يتوفر لها الاهتمام بها وبدورها في التنمية، ووضع ذلك على سلّم أولويات التخطيط والاستراتيجيات في شتّى المجالات؛ فحجم السكان يُعَدّ من أهم معايير التنمية الشاملة والمتواصلة في المجتمع، بجانب الكفاية والمشاركة والمبادرة من جانب أعضائه وأفراده.

### القبيلة والعِرْق والتنشئة الاجتماعية:

لا يمكن فهم وضع المرأة ومشاركتها في تنمية مجتمعاتها والنهوض بالقارة إلا في سياق البنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الإفريقي، وهذا يعني – ضمناً – العِرْق والقبيلة، والعادات والتقاليد التي تُمارس، بما في ذلك النُّظُم الاجتماعية السائدة، والتي تتشابه كثيراً في ثقافاتها: «ولذلك فإنّ معظم الممارسات المتعلقة بالعادات والتقاليد، والتي يمكن تحقيقها في دولة، يمكن تحقيقيها في دولة مشابهة أخرى في القارة، ولكن هذا لا يستثني، بأي حال من الأحوال، حقيقة الفوارق الثانوية التي توجد هنا أو هناك»[٣].

وبحسب ما توصل إليه بعض المستكشفين والباحثين

---

(١) http://esa.un.org/wpp/Excel-Data/EXCEL_FILES/1_Population/WPP2012_POP_F01_3_TOTAL_POPULATION_FEMALE.XLS.

(٢) http://www.tradingeconomics.com/sub-saharan-africa/population-female-percent-of-total-wb-data.html.

(٣) انظر: كي أم وزيري: حقوق المرأة التقليدية كما تحددها العادات ونمط الأسرة والنُّظم الاقتصادية والاجتماعية ومشاركة المرأة – حالة دراسية للمنطقة العربية والإفريقية –، الرابط: www.allafrica.com

والدارسين؛ وُجد في إفريقيا أكثر من ٧٤٠٠ قبيلة[١]، وتُعَدّ القبيلة من أهم مكوّنات البناء الاجتماعي في القارة، وتُعَدّ التنشئة الاجتماعية للمرأة من أهم العوامل المؤثرة في وضع المرأة، وهي في طبيعتها تنشئة قَبَلية عِرْقية، تحكمها العادات والتقاليد[٢] التي تمثّل أطراً عامّة، تحدّد وضع المرأة ودورها ووظائفها وعلاقاتها في الحياة الاجتماعية، «وتُعَدّ الأسرة وحدة مهمة في عادات وتقاليد كلّ قبيلة، وهي مؤسسة للتكافل الاجتماعي، لا يقتصر تكوينها على أساس النقود وحدها، فهناك قِيَمٌ أخرى ترتبط بها وتسود من خلالها؛ كالاتحاد، والذاتية، والصبر، والكرامة»[٣].

تبرز من خلال العلاقات الاجتماعية الإفريقية التقليدية أهمية العمل الميداني ومشاركة المرأة فيه في كثير من المجتمعات الإفريقية، سواء في الزراعة أو الرعي، والمساعدة الاجتماعية وأهمية وجود الطفل عن الرجل المسنّ، الأمر الذي يقوّي من تنامي اتجاهات زيادة المواليد، وتعدّد الزيجات وفق العادات القبلية والزواج المبكّر للمرأة، والتي تقوى مكانتها بناءً على قدرتها على الإنجاب المتعدد، كما أنها هي التي تتحمل تكاليف تربية الطفل.

ويلاحظ في منطقة الإبو في نيجيريا مثلاً «أنّ الزوج والزوجة يعملان بالزراعة، بينما تتحدد مهام أخرى على أساس الجنس، ولهذا نجد أنّ الطلاق أقلّ منه بين شعب يوروبا، حيث لا تعمل المرأة على الإطلاق بالزراعة، وإنما تشتغل ببعض الحرف أو التجارة، ويكون لها دخلها الخاص الذي تتصرف فيه باستقلال عن زوجها، وتفيد منه لصالح دعم مصالحها ووضعها الخاص هي وأطفالها الصغار»[٤].

ومن ناحية أخرى؛ يتفاوت تأثير القبيلة ودورها في التنشئة الاجتماعية للمرأة من بيئة لأخرى، فالمجتمعات الحضرية يقلّ فيها أثر العادات والتقاليد القبلية عنها في المجتمعات الريفية، ولذلك تتجه مشاركات المرأة إلى مجالات أخرى.

### البنيات التحتية والخدمات والبيئة الإفريقية:

إنّ مما يحدّ من دور المرأة الإفريقية وفعاليتها في النهوض بالقارة ضعف البنيات التحية (الطاقة، النقل، المياه، الصرف الصحي)، والمشكلات البيئية (الجفاف، والتصحّر، والأوبئة والأمراض)، يشير تقرير للبنك الدولي[٥] إلى أنّ المرأة في الريف الإفريقي تعاني المشي على الأقدام، واستهلاك وقت وجهد كبيرين في التنقل بما يساوي ٦٥ ٪ من الوقت المتاح للأسرة، وقد وُجد في الكاميرون أنّ المرأة التي تعيش في قرية على الطريق الرئيس تكسب مبالغ أكثر من الأخرى التي تعيش في قرية تبعد تسعين دقيقة عن الطريق[٦].

وتقضي المرأة والبنت ما يعادل ٧٠٠ ساعة في العام في جلب المياه في غانا، و ٥٠٠ ساعة في تنزانيا، و ٢٠٠ ساعة في زامبيا، وبحكم أنّ المياه تُعَدّ المكوّن الأساسي في معالجة الغذاء والاقتصادات المتصلة بالأسرة والسوق التي تشتغل فيها المرأة؛ فإنّ النقص في المياه المتاحة للمجتمعات لا تفاقم عبء المرأة والبنت الزمني فحسب، بل تؤثر في معيشتهنّ بشكل كبير.

### ضعف الأسواق وضعف تنظيم الأعمال التجارية:

عادةً ما تشكو المرأة الإفريقية صاحبة المشاريع الصغيرة من ضعف الطلب على منتجاتها[٧]، وعدم قدرتها على الوصول إلى الأسواق بسبب الطرق والمواصلات، إضافة إلى عدم امتلاكها المعلومات الخاصة بالسوق عن المنتجات والمدخلات، وغياب التقنيات المحسّنة للحفظ ومرافق التخزين القريبة من الأسواق، ما يشكّل عائقاً أمام زيادة الإنتاج.

ومع أنّ المرأة الإفريقية تمتلك أنواعاً مختلفة من الجمعيات، في القطاع المنظّم وغير المنظّم والقطاع

(١) متاح على الرابط: www.ezakwantu.com

(٢) فاطمة عمر العاقب: التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في القرن الإفريقي، مجلة قراءات إفريقية، العدد ٢١، يوليو ٢٠١٤م.

(٣) انظر: محمد العقيد: الشخصية الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد ١٨، ص ٢١.

(٤) إفريقيا في عصر التخلف.

(٥) كالفو، ١٩٩٦م.

(٦) لوفل، ٢٠٠٠م، اقتباس في: جرون، ٢٠٠٥م.

(٧) داي، ٢٠٠٥م.

الاجتماعي، فلا يزال إسهامها الاقتصادي ضعيفاً للغاية[1]، لأنّ هذه الجمعيات التي يتمّ فيها جمع المال والعمالة اللازمة لتعظيم الإنتاج والتشبيك الاجتماعي ضعيفة القدرات، واهتمامها الأكبر بالمصالح الاجتماعية؛ بدلاً من البحث عن حلول لدعم المشروعات الصغيرة للمرأة الإفريقية.

## ثانياً: المرأة الإفريقية في المنظور الوثني، ودونية المرأة في الأرواحية الإفريقية:

الوثنية، أو (الأرواحية الإفريقية)، أثقلتها القِيَم الإحيائية، وكبّلتها أغلال المحرمات (التابو)، وروابط العشائرية الطوطمية، وحالت دون نهضة المجتمعات وتقدّمها، ونالت المرأة من ذلك أكبر النصيب؛ فقد أضعفت وضع المرأة، وعلاقاتها الاجتماعية، ودورها في الحياة، بعض المظاهر السلوكية والعقدية للمجتمعات الأرواحية (الفتشية)، وخصوصاً في إفريقيا جنوب الصحراء، وعلى سبيل المثال (تابو العلاقات الجنسية)، حيث حرّمت الأرواحية الجماع بين الرجل وزوجته آخر أيام الحمل، لمدة قد تستمر لسنتين كاملتين أو أكثر بعد الولادة، باعتبار أنّ الجماع في هذه الفترة يؤذي الرضيع ويَضُرّ به، كما اعتبرت الأرواحية تعثّر المرأة عند الولادة دليلاً على ارتكاب خطيئة؛ مثل الزنا أو السرقة!

وقد قضت قِيَم الميراث الأرواحية بحرمان المرأة من وراثة الأموال التي تشكّل عناصر الثروة الرئيسة، فقد جرى العرف في المجتمعات الرعوية بحرمان المرأة من وراثة الماشية، وفي مجتمعات الهوتنتوت – على سبيل المثال – كان الإرث حقّاً للذكور دون الإناث، وذلك في سائر الأموال والممتلكات، وكان ينظر إليها باعتبارها مجرد مولّدة ودابة؛ كما في وصف جوزه مندیسموریرا في غينيا – بيساو[2].

## ثالثاً: المرأة الإفريقية في منظور الاستعمار الغربي وسياساته:

كانت نظرة الاستعمار للأفارقة أنهم شعب متخلّف غير قابل للشفاء، وغير قادر على التواصل الحضاري في العصر الحديث مع الفلسفات والأفكار الحديثة، وكانت سياساته عوامل تدمير لكيان المرأة الإفريقية وشخصيتها نفسياً واجتماعياً وثقافياً وحضارياً، وأقعدتها عن المشاركات الإيجابية في تنمية مجتمعاتها.

وحقيقة الأمر أنّ إفريقيا لم تكن متخلّفة عند مجيء الاحتلال الأوروبي؛ فقد كان للمرأة مكانتها ومشاركاتها الفاعلة في الحياة، وخصوصاً في المجتمعات الإسلامية، فقد كانت تسود القارة «نُظُم حياتية سياسية واجتماعية واقتصادية متطورة، وقِيَم أخلاقية سامية، وسبقت إلى كثير من الصناعات والتعدين والابتكارات في مشاريع الزراعة والريّ والعمارة وغيرها، وبلغ قمة العطاء بعد الإسلام. فهذا التخلّف الثقافي، والتخلّف العلمي، والتخلّف في مهارة أداء العمل، ومشكلة التحضّر التي تواجه عديداً من الدول الإفريقية، هي آثار الاستعمار وما تركه من تخلّف اجتماعيٍّ وثقافيٍّ وإنسانيٍّ»[3].

وبذلك يُعَدّ الاستعمار الأوروبي وسياساته سبباً رئيساً في تهميش المرأة وتخلّفها في إفريقيا ودول العالم الثالث؛ بل تدميرها بمنهجية وأساليب مدروسة، كما تعمّد الاستعمار الأوروبي تهيئة المرأة الإفريقية نفسيّاً لذلّ العبودية، من خلال عمليات البطش بالرجل – رمز القوة والحماية في حياتها – أمام ناظريها، وقتله بقسوة ووحشية لكي تغرس العبودية في أبنائها للرجل الأبيض، وتربّيهم على الذلّ والخنوع خوفاً أن يحلّ بهم ما حلّ بآبائهم وأقربائهم الكبار.

ولم تكن المرأة ضمن الاهتمام في سياسات الاستعمار التعليمية وفرص التدريب؛ لأنه كان يركز في إعداد موظفين من الرجال لمساعدته في إحكام سيطرته على البلاد وإدارتها بما يخدم مصالحه، فعطّل بذلك طاقات المرأة وقدراتها، كما أنه أفقدها دورها في الإنتاج

(١) انظر: تمكين المرأة في إفريقيا والعالم العربي.. الاستحقاقات والفرص والتحديات، كبير ماتو، الرابط: www.assecaa.org

(٢) انظر: مهدي ساتي: الإسلام والقيم الاجتماعية للجماعات الأرواحية في إفريقيا جنوب الصحراء، الرابط: http://www.islam4africa.net

(٣) انظر: محمد العقيد: الشخصية الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد ١٨، ص ٢٧.

وتسويق ما كانت تُساهم به من صناعات نسوية بسيطة وبضائع محلية؛ بإغراقه أسواق المستعمرات بالبضائع المستوردة بأسعار زهيدة، قضت على ما كان سائداً من المنتجات المحلية.

## رابعاً: المرأة الإفريقية في منظور الليبرالية:

تمثّل الأفكار الليبرالية الخاصّة بقضايا المرأة ما كان شائعاً في المجتمع الغربي من انحطاطات فكرية، ومخالفات فطرية، وانحرافات تخصّ وضعية المرأة، وطبيعة العلاقة بينها وبين الرجل، وذلك من خلال مناداته بحرية المرأة وحقوقها وتمكينها، وإقصاء دور الدين والأخلاق عن سلوكها وعلاقاتها، فكان تركيزهم في حريتها الجنسية وعلاقاتها بالآخرين، وحقّها في تقرير مصيرها دون الالتفات لأية معايير أخلاقية، ولقد تحولت من مطالبات بحقوق المرأة المشروعة في التعليم والرعاية والصحة، إلى مطالبات بالانفكاك من كلّ قيد، وإدخالها في حالة صدام مع قِيَم المجتمع الذي تعيش فيه ومبادئه وشرائعه.

فالقضية في المنظور الليبرالي ليست قضية حريات أو مساواة؛ «بقدر ما هي مسألة أيديولوجية، تستهدف القضاء على الدين والمعتقد بالدرجة الأولى، والمرأة في هذه المعادلة ما هي إلا وسيلة يتم التخلي عنها عند أول اتفاق بين خيارات تلك المرأة والثابت الديني... وهي وسيلة يتخذها الليبراليون لغاية أكبر ترتبط في الأساس بتنفيذ الأيديولوجية الليبرالية المنادية برفع سلطة الدين عن الخيارات البشرية، فالمرأة مجرد رقم في المعادلة الليبرالية، وأداة نفعية تتعامل الليبرالية معها بشكلٍ ماديٍّ شهوانيّ، لا على أنها روح وعقل وقلب، فالليبرالية لم تنصف المرأة الغربية، بل أخرجتها من قهر عانت منه طويلاً إلى قهر أشد منه، فتحولت من كائن مهمل مهضوم الحقّ، إلى كائن مستغَل نفسيّاً وماديّاً»[1].

## خامساً: المرأة الإفريقية في منظور العولمة:

العولمة أيديولوجية بديلة لاستئصال الهوية وتلاشيها؛ تقوم على طمس الثقافات المحلية وما تحمله من عادات وقِيَم وعقائد وأخلاق، والتشكيك في مصداقية ما تستند إليه من مرجعيات وثوابت، وعولمة المرأة هو الجانب الاجتماعي والثقافي في (العولمة).

والمنظور العولمي للمرأة (الإفريقية وغيرها) يهدف إلى طمس شخصيتها، وتدمير كيانها الداخلي الخاص، وتكوينها النفسيّ، ووضعها في إطارٍ نفسيّ وقيميّ يتسم بالشذوذ، وتوجيه نشاطها الخاصّ والعامّ إلى ممارسات تجعل منها عامل هدم للمجتمعات، ولما قامت عليه حياة الإنسان من سنن كونية وسوية فطرية، وتوازن وتكامل بين قطبي الزوجية (الذكر والأنثى) في وظائف الحياة العامّة والنهوض بها، وهدم ما في ضوء ذلك من قِيَم أخلاقية وعادات وتقاليد، وما قام من علاقات اجتماعية، وما تشكّل من كيانات بنائية، وبخاصة الأسرة النواة الاجتماعية.

في إفريقيا سُخرّت المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية وغير الرسمية (الاتحاد الإفريقي، والمنظمات شبه الإقليمية، ومعظم الحكومات، ومنظمات المجتمع المدني النسوية وغيرها) لفرض مفهومات العولمة؛ من خلال التزامها بتنفيذ بنود الاتفاقيات الخاصة بالمرأة (سيداو.. وغيرها).

إنها «نوع من الفعل المسرحيّ الراقي والفعّال في البنية المجتمعية؛ تمارس الغزو والفتك؛ لتشويه الهوية، ثم القضاء عليها؛ وذلك من خلال تمرير مصطلحات وتقديم النماذج؛ ولنا الآن (مثال) في (الجندر sexe)

(١) انظر: رمضان الغنام: المرأة من منظور ليبرالي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الرابط: www.lahaonline.co

(بديلاً لمصطلح (الذكر والأنثى) الذي يميّز النوع)، وذلك لشرعنة الشذوذ الجنسيّ»[1].

تسعى أمريكا والغرب لفرض العولمة ومفهوماتها على العالم الثالث، وبخاصة إفريقيا، وتُعَدّ الأمم المتحدة أخطر أدوات العولمة والهيمنة؛ فقد عملت منذ إنشائها على إيجاد نظام عقديّ وأخلاقيّ عالميّ، وتتحكم اليوم في معظم المؤسسات العالمية والإقليمية، وتفرض هيمنتها على الأنظمة الحاكمة في العالم من خلال ما سنّته من قوانين، وما أبرمته من اتفاقيات دولية، وما تقوم بتنفيذه من برامج في المجالات المختلفة.

### مقتطفات من مقررات مؤتمرات واتفاقيات العولمة:

أ – وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ١٩٩٥م، والتي يترتب على إقرارها ما يأتي:

– إعادة صياغة جميع البرامج الخاصة بهذه الدول، سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً وتعليميّاً، ليتسق ذلك كله تبعاً لما ورد في التوصيات التي وافقت عليها الدولة.

– إبعاد وتنحية الجوانب الأخلاقية والدينية من كافة برامج التنمية والإسكان... مع ربط ذلك كله بزيادة السكان، وعلاقتها بالفقر، وأنّ الحدّ من النموّ السكانيّ هو الطريق الأمثل لتحقيق التنمية، ورفع مستوى المعيشة، واحتواء الفقر.

ب – مؤتمر بكين: وقد تقرّر فيه:

– الدعوة إلى الحرية والمساواة، والقضاء التام على أي فوارق بين الرجل والمرأة، دون النظر فيما قررته الشرائع السماوية، واقتضته الفطرة، وحتّمته طبيعة المرأة وتكوينها، وكذلك الدعوة الى فتح باب العلاقات المحرمة شرعاً، ومن ذلك:

السماح بحرية الجنس، والتنفير من الزواج المبكّر، والعمل على نشر وسائل منع الحمل، والحدّ من خصوبة الرجل، وتحديد النّسل، والسماح بالإجهاض المأمون، والتركيز على التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره، وكذلك تقديم الثقافة الجنسية في سنٍّ مبكرة، وتسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف.

كما أنّ في هذا المؤتمر تمرّداً على الدين والمجتمع، وسلباً لولاية الآباء على الأبناء، وقوامة الرجال على النساء.

ج – المؤتمر الدولي في المكسيك ١٩٨٤م، ومما تقرّر فيه:

– الإقرار بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة.

– تقديم الدعم للزناة والزانيات، بتقديم الدعم الماليّ، وتوفير السكن المناسب لهم.

– الإقرار بالأشكال المختلفة والمتعددة للأسرة.

### خاتمة البحث:

### أولاً: ثوابت.. وحقائق:

– أنّ قاعدة الزوجية من أبرز السنن الكونية المتصلة بالمخلوق، قال الله عز وجل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، وهي قاعدة قام عليها نسق الوجود كله إلا ما شاء الله عز وجل استثناءه كالملائكة، والزوجية حقيقة تؤكدها الكشوفات الكونية كلّ يوم؛ حتى في غير الأحياء.

– أنّ الزوجية في المخلوق دليل على تفرّد الخالق ووحدانيته، ونقص المخلوق وافتقاره إلى الخالق.

– الزوجية لا تعني انتقاص أحد الزوجين، ولا التنافر بينهما، وإنما الانسجام والتكامل، وذلك شأن كلّ ذكر وأنثى.

– تكاثر المخلوقات من أبرز وظائف الزوجية ونتائجها في الحياة، وهي أهم شرط لاستدامة التنمية وعمارة الأرض.

– الخروج على قاعدة الزوجية أو هدمها يعني الإخلال بتوازن الحياة، وتعطيل عملية التنمية الحقيقية فيها.

– أنّ لكلّ زوج وظيفة أساسية في الحياة، تتسق مع خصائصه، وتتحقق بها عملية تنمية المجتمعات والنهوض بها، فلا يصحّ التضحية بها لحساب الوظائف العامّة إلا لضرورة.

– دور المرأة في إثراء الحياة والنهوض بالمجتمع يتحقّق أكثر من خلال وظيفتها الرئيسة، ومشاركتها في الوظائف العامّة لا تستلزم التخلي عن وظيفتها الرئيسة.

(١) انظر: نجيب كامل: المسرح الجنسوي، متاح على الرابط: http://www.tazacity.info/news2944.html

– كلٌّ ميسر لما خلق له، ومساواة المرأة مطلقاً بالرجل لا تعني العدالة، وهي بذلك تفتقد عنصري الأخلاقية والإنسانية اللذين يتحققان بالعدالة.

– نحن نقرّ بالتخصّصية بناءً على تفاوت القدرات المكتسبة، ونرى عدم المساواة بسببها في الحقوق والواجبات وغيرها عدلاً، حتى بالنسبة للجنس الواحد، فلِمَ نرفض تطبيق ذلك في حال القدرات والاستعدادات الفطرية الأصيلة التي لا انفكاك عنها!

– على النساء أن يعلمن أنّ تصورهنّ للحرمان من المميزات أكبر بصورة مبالغ فيها مما قد يوجد في الواقع، وعليهن كذلك إدراك أنّ السير وراء الانتفاضات النسوية ينذر بالخطر.

– لم يسبق للمرأة أن كانت مسجونة ومنهارة ومستعمرة وخامدة مثلما هي عليه الآن، وتُعَدّ أوضاع المرأة في عصرنا أكثر الأوضاع دناءة في تاريخ المرأة.

– النساء اللواتي يبحثن عن المساواة المطلقة بالرجل لن يجدنها أبداً، ذلك أنّ الجنسين – شئن أم أبين – موجودان دائماً؛ أحدهما بواسطة الآخر.

– العولمة من خلال (الجندر) و (التمكين) و (المساواة)... إلخ مخطط يقوّض الخصائص الفطرية للمرأة، ويحذف الأنوثة من الخريطة، وذلك بجذب العدد الأكبر من النساء إلى الأعمال التي ترغمهنّ على التخلي عن الأنوثة؛ حتى تضمر فيها صفات الأنثى الظاهرية والنفسية.

– المرأة لم يسبق لها أن كانت بمثل ما هي عليه الآن من العبودية؛ في عالم ألصقت نفسها به باسم الحرية (المزيفة) التي يبدو وميضها برّاقاً، ذلك أنّ العمل على شاكلة (الذكر) ليس مخرجاً إلى ما تظنّ أنه الحرية، وإنما هو باب جهنم.

– إنّ خطط وبرامج السكان والتنمية هدفها الحقيقي القضاء على ما يهدد الأمن القومي الأمريكي من خطر الأسلمة أو الفرقة، ومن ذلك سياسات: (تحديد النّسل)، و (منع الحمل)، و (تنظيم الأسرة)، و (تمكين المرأة)، وتهميش دور (الأمومة)، وتأخير (سنّ الزواج والإنجاب)، و (الجندر) الذي تتحقق به المتعة الجسدية دون الخوف من خطر الإنجاب، وغيرها.. حتى تتخلى المرأة عن وظيفتها الطبيعية الرئيسة في التنمية وتتفرغ للوظائف العامّة.

## ثانياً: توصيات ومقترحات:

١) التوعية الشاملة:

– استيعاب قضية المرأة بكلّ أبعادها، مكانة المرأة الإفريقية عامّة، والمسلمة خاصّة، واقعها في إفريقيا، ودورها، والمشكلات التي تواجهها.

– مفهوم التنمية الحقيقية للمرأة في تنمية شخصيتها، ووعيها بوظائفها، ومفهوم النهوض بالمجتمع، والتي لا تقتصر على الجوانب المادية.

– كشف أهداف مؤتمرات المرأة وغاياتها ومخططاتها وبرامجها، وما يراد تحقيقه بالمجتمعات الإفريقية من خلالها، وأنّ المرأة مستهدفة من خلال هذه الدعوات والشعارات، وكشف حقيقة (المساواة)، (الجندر)، (التمكين).

– توعية المرأة وكلّ الأطراف المعنية بالمخالفات والتناقضات في نظرة التيارات والأفكار الوافدة للمرأة، وخطر الأيديولوجية النسوية الجديدة المستمدة من الماركسية الحديثة، التي ترى أنّ إذابة كيانات المجتمع انتصار وقضاء على الطبقية.

– التشوهات التي أصابت الحقائق المتصلة بالمرأة وعلاقاتها ودورها في الحياة؛ جراء استغلال الأيديولوجيات العلمانية والإلحادية لها في صراعها ضد الأخلاق والشرائع الإلهية، وبخاصة الإسلام.

– الربط غير المنطقي لبعض مشكلات التنمية – كالفقر مثلاً – بوضع الأسرة، واعتبار أنّ الحدّ من النسل هو علاجها الوحيد.

٢) تحديد المرجعيات والمعايير:

– تحديد المرجعيات الموثوقة، ووضع المعايير السليمة، وأهمها الدين، وأوثق الأديان الإسلام، وتأكيد أنه يمثّل المرجعية الشاملة.

– بناء المنهجية الشاملة بشأن موضوع المرأة ومكانتها ووظيفتها ودورها التنموي؛ بناءً على ما لشخصيتها من أبعاد متعددة، وخصائص متميزة، وعلاقات خاصّة وعامّة.

– التخصّصية، ومراعاة القدرات والاستعدادات والميول، والاتجاهات المرتبطة بكلٍّ من الرجل والمرأة، هي أساس للمساواة بينهما بصورة منطقية وعادلة.

– المرأة والرجل صِنْوان لا ضدّان، يكمّل أحدهما الآخر وفق قاعدة الزوجية التي يتحقق بها التوازن في الحياة والتنمية المستدامة فيها.

– تأكيد علاقة شخصية كلٍّ من الرجل والمرأة بالفطرة النفسية السوية، وربط التنشئة الاجتماعية بذلك.

– إعداد مشروع قانون (جمعيات نسوية)؛ بعيداً عمّا هو مطروح من قِبَل المنظورات والاتفاقات التي ظهرت أجندتها الخفية، والتي تهدف إلى القضاء على الأنثوية في العالم، مع مناهضة الاتفاقيات والقوانين والمؤسسات التي قامت على ذلك.

– مراعاة الفوارق بين البيئات الحضرية والبيئات الريفية، وفوارق فئات المرأة، في تحديد وضعها وطبيعة مشاركتها المجتمعية المناسبة.

– تفعيل دور المرأة الإفريقية في النهوض بالقارة مرتبط بالإصلاح الحقيقي الشامل، ومحاربة كلّ أنواع الفساد (السياسي، والمالي.. وغيرهما).

٣) تحديد المعوقات:

– التدخلات الخارجية في قضية المرأة الإفريقية، ومعالجتها وفق اتجاهات الأمم المتحدة وسياساتها ومعاييرها، وإخضاعها لما سنّته من قوانين، وما أقامته من اتفاقيات بصورة مطلقة.

– أخطر المعوقات لإنقاذ المرأة من التغريب الأيديولوجية النسوية الجديدة والعولمة.

– العادات والتقاليد القبلية وغيرها المكبّلة لطاقات المرأة، والمبددة لقدراتها وإمكانياتها.

– تبنّي مفهومات غير سليمة بشأن التنمية، ومنها اعتبار أنّ معدلات التنمية العليا دائماً ما يصاحبها انخفاض في معدل النّمو السكاني، مع أنّ هذا ليس بالضرورة ينطبق على إفريقيا؛ فقد يصاحب عملية التنمية ارتفاع في مستوى المعيشة، ورغبة في زيادة النسل، للتمتع بالمجتمع والحضارة، خصوصاً أن هذا يتم في مجتمع نام.

– تدني مستوى وعي المرأة، وضعف الخدمات التعليمية والصحية، ومعاناتها مخاطر الظروف البيئية والنزاعات والحروب والتشرد واللجوء.

– النظرة الدونية للمرأة التي لا تزال سائدة في بعض المجتمعات في إفريقيا، واستغلالها.

– التغريب الذي يدفع بالمرأة الإفريقية المتعلمة في اتجاهات التأثّر بالحياة الغربية، والأخذ بنُظمها وعادات مجتمعاتها وتقاليدها وعلاقات المرأة المنحلة فيها، واتخاذها نموذجاً يُحتذى به في المدَنيّة والتحضّر.

– التحديات التي تواجهها المرأة في مجال الصحة، وضعف دور النساء في مواجهة الوضع الصحيّ المتدهور في إفريقيا.

– النزاعات والحروب التي تؤدي إلى تدمير البنيات التحتية وعدم الأمن والاستقرار، وخصوصاً في معيشة المرأة والأسرة.

– وضع قضية المرأة ودورها في إطار صراع مفتعل ضد الدين والأخلاق، واستغلالها في هدم كيان المجتمع والأسرة.

– عدم ترتيب الأولوية للجانب الوظيفي للمرأة، باعتبار قيام المرأة بوظائف الحياة العامّة هو الأصل، وتقديمه على وظيفتها الخاصّة الأسرية والتربية.

– إغفال القيمة العليا لأهمية التنمية الحقيقية للمجتمعات والنهوض بها من خلال أمن الأسرة واستقرارها، والتمكين للمرأة لخدمة المجتمع والنهوض به من خلالها.

– أنّ إصلاح المجتمعات ينطلق من دور المرأة الأسري والتربوي.

– تغيير جنس المرأة أو الرجل عن طريق الجراحة والعقاقير الهرمونية، من ذكر إلى أنثى، ومن أنثى إلى ذكر، بحسب الرغبات النفسية والاجتماعية للأفراد.

– تشويه صورة الأسرة بأنها تخلق العراقيل في سبيل تطوّر المرأة من الناحية الإنسانية، وأنّ الإنجاب والأمومة ورعاية الصغار تحول دون فعالية المرأة في تنمية المجتمع.

٤) وضع الخطط والبرامج:

– وضع الاستراتيجيات والدراسات، وإعداد برامج تنموية اجتماعية منبثقة عن الثوابت والقواعد، وتنظيم الهيكلية المستقبلية والتخطيط السكاني، تجنباً للجور

الاجتماعي، كما أرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء : ٣)، وكما توجّهنا السنّة النبوية إلى النظر في مستقبل الأجيال، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ)[1].

– التخطيط لزيادة النّسل من أهم العوامل التي يرتكز عليها أمن المجتمع الإسلامي وسلامته على امتداد أراضيه الشاسعة، فزيادة عدد المسلمين ضرورة؛ لأنها ستحدد بطريقة حاسمة المستقبل السياسيّ للعالم الإسلامي.

– إعداد دراسات وخطط لرفع مستوى الوعي بخطورة (تحديد النّسل).

– إعطاء أولوية للمرأة في المجالات التي تتناسب معها، كالتربية والتعليم، ومعاهد التكوين للارتقاء بالقدرات، وفتح معاهد للتكوين المهني للنساء في مجالات الصناعات التقليدية التي تجيدها المرأة؛ حتى تكون المنتجات قابلة للتصدير والمنافسة في الأسواق العالمية.

– ضرورة التمييز، بمنهجية خاصّة، بين النساء في تصنيفهنّ فئات اجتماعية، وفئات عمرية، بين المرأة الريفية والمرأة الحضرية، بين المرأة العاملة في قطاع الفلاحة والمرأة العاملة في قطاع الصناعة، المرأة العاملة في قطاع الوظيفة العمومية والمرأة العاملة في القطاع الخاص، بين صاحبة الأسرة والعزباء.

– توظيف سياسات الاستثمار وإمكانيات التمويل الأصغر لدعم مشروعات الأسر الفقيرة والمرأة المعيلة في إفريقيا، وبخاصة في مناطق النزاعات والحروب والبيئات الفقيرة.

– تأسيس منظمات هادفة للمرأة الإفريقية، وتطوير ما هو قائم، للمحافظة على استقلاليتها عن التبعية للعولمة، تعمل على حماية المرأة الإفريقية من مخاطرها، وتوجّه نشاطها وجهودها في المحافظة على بيئاتها ومجتمعاتها وأخلاقها.

– وضع الشراكات الفاعلة بين المنظمات النسوية الرشيدة؛ لتوجيه نشاط المرأة وترشيده بإيجابية، والتصدي لمخططات الأيديولوجية النّسوية ذات التوجهات المنحرفة ■

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٦٣٧٣.

# الشعر العربي اليورباوي..
## الخصائص والسمات

د. كمال الدين المبارك علي
الأستاذ المحاضر بجامعة الحكمة – إلورن / نيجيريا

### نشأة الأدب العربي اليورباوي:

إنّ أدبَ أيَّ قومٍ هو جزءٌ من تاريخهم الاجتماعي والثقافي والفكري والحضاري والاعتقادي، ودراسةُ الأدبِ العربي لدَى شعبٍ أعجمي، في أيِّ بقعةٍ من بقاع الأرض، ألصقُ بتاريخ الإسلام وثقافته، في حياتهم الاجتماعية والاعتقادية والحضارية، لأنَّ الثقافة العربية تأتي دائماً مصاحبةً للدعوة الاسلامية، وترسو سفينتها حيث رست سفينة الدعوة الإسلامية، وتزدهر بآدابها وعلومها إذا ازدهرت الدعوة واستقرت، وتذبل زهور الثقافة العربية، وتتقلص ظلالها، إذا لم تجد الدعوة الإسلامية استقراراً يتيح لها بسط نفوذها.

الشعب اليورباوي (النيجيري) الذي سيتناول هذا المقال دراسة الأدب العربي لدى علمائه؛ إنما عرف الأدب العربي - كغيره من الشُّعوب غير العربيَّة - بواسطة الثقافة الإسلامية؛ لأنّ الإسلامَ يستلزم تعلم اللغة العربية، أو ما يكفي منها لأداء بعض العبادات، ولأنّ القرآنَ الكريمَ المنزّلَ باللغة العربية الفصحى يجب التعبّد به والاحتكامُ إلى شريعته والعملُ بتعاليمه؛ لذلك راجت سوقُ الأدب والثقافةُ الإسلامية في شمال نيجيريا؛ بفضل قيام الدولة الإسلامية بقيادة الشيخ عثمان بن فودي، وازدهرت الثقافة العربية في مدينة (إلورن) ازدهاراً باهراً، ومنها امتدت إلى بقية بلاد يوربا؛ بفضل قيام الدولة الإسلامية بقيادة الشيخ عالم بن جنتا الفلاني.

## حدود بلاد يوربا، وأصل قبائلهم ولغتهم:

بلادُ (يوربا) تقعُ معظمها في جنوب غرب نيجيريا، وفي قسط يسير من شمالها، وهي تحتل الجانبَ الأكبرَ من الجنوب الغربي، وتضمُّ جميعَ بلادِ الولايات الست التي كانت تشكّل نيجيريا الغربية – سابقاً -، والتي هي: ولاية (أويو) وعاصمتها مدينة (إبادن)، وولاية (أوغن) وعاصمتها مدينة (أبيكوتا)، وولاية (أوشن) وعاصمتها مدينة (أوشوبو)، وولاية (لاغوس) وعاصمتها مدينة (إكيجا)، وولاية (أوندو) وعاصمتها (أكوري)، وولاية (إيكيتي) وعاصمتها (أدو إيكيتي)، كما تضم معظم بلاد ولاية (كوارا)، وبعض بلدان ولاية (كوغي) في الشمال الأوسط.

## أصل اليوربا:

اتفق المؤرخون على أنَّ (الجنس اليورباوي) نزحوا من شمال إفريقيا، وأنهم إحدى المجموعات العربية المهاجرة إلى شمال إفريقيا، طُردوا منها، واستفاضوا إلى غربها، واتفاقُ العاداتِ والتقاليدِ ومفرداتُ اللغة شاهدٌ على ذلك[1]، ولقد ذكر الأستاذ الدكتور عبد الصبور بيوباكو، في بعض أبحاثه، أنّ هجرتهم وقعت ما بين عام ٦٠٠م وعام ١٠٠٠م[2].

## وتتكون قبائل يوربا من أربعة عناصر جنسية:

١ - العنصرُ الزنجيُّ.
٢ - العنصرُ النوبيُّ.
٣ - العنصرُ البربريُّ.
٤ - العنصرُ العربيُّ.

والعناصرُ الثلاثةُ الأخيرة هُم الذين سكنوا مصر؛ فأخذوا من تقاليدها، وحملوها إلى مهجرهم الأول إليفي ( Ile Ife )، ومنها انتشرت إلى ربوع بلاد يوربا[3].

و (لغة يوربا) لغةُ أدبٍ راقٍ، تتضمّنُ إرثَ حضارةٍ عظيمة، وثقافة رائعة، وهي تعتمد على التنغيم والنبرة في توليد الكلمات، وعلى اللصق في تركيب الجمل، ويوقَفُ فيها على الحركة والمدّ، معظمُ مفرداتها عربيةٌ مستعارةٌ محرَّفةٌ، وقاربت نسبة الكلمات العربية وحروفها ربع ما يتكلم بها أهل يوربا، وكذلك يوجد فيها خليط من لغتي: نوبا، والبربر[4].

وكانت لغة يوربا تكتبُ بالحروف العربية منذ عرف أهلها الإسلام قبل عام ١٨١٩م، إلى أنْ اخترعَ المبشّرون لها الحروفَ اللاتينيةَ - التي تكتب بها الآنَ - بغرض ترجمة الأناجيل إليها[5]، ويبلغ عدد المتكلمين بها اليوم ما يزيد على ٤٥ مليون نسمة، معظمهم في نيجيريا، والباقون في جمهورية بنين الشعبية[6] وأمريكا الجنوبية، وفري تاون في سيراليون.

## الدعوة الإسلامية، والثقافة العربية، في بلاد يوربا:

عرفَ الشعبُ اليورباوي الإسلام، واختلطتْ اللغةُ

---

(١) آدم عبدالله الإلوري: أصل قبائل يوربا، ط١، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيفي، لاغوس / نيجيريا، ص ٣٣.

(٢) البروفيسور الدكتور عبد الصبور بيوباكو: إفريقيا تحت أضواء جديدة، ص ٢٠٦، نقلاً عن كتاب (روائع المعلومات عن أقطار إفريقيا وبعض ما نبغت فيها من المملكات) للشيخ مصطفى زغلول سنوسي، ص ١٥٠.

(٣) آدم عبدالله الإلوري: نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، ط١، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيفي، لاغوس / نيجيريا، ص ١٧.

(٤) الإلوري، المرجع السابق، ص ١٨.

(٥) الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام، مقالة في الدراسات الإفريقية بعنوان: كتابة اللغة يوربا بالحروف العربية، مجلة بحوث نصف سنوية - العدد السابع أغسطس ١٩٩٠م / محرم ١٤١١ه، ص ١٢٢.

(٦) الإلوري: نسيم الصبا، مرجع سابق، ص ٢٥.

العربيـةُ بمفرداتِ لغتـه وآدابها، ومصـطلحاتها العلمية، والدينيـة، حتـى مع بعض تقاليدهـم العرقيـة واللغوية، ونبغَ منهـم علماء في اللغة العربية وآدابها وعلومها، حتى أصـبحَ لهم قدمٌ راسـخةٌ وإنتاجاتٌ قيمةٌ فـي مجال اللغة والأدب، وعلـوم الديـن، وغيرهـا، كمـا أنّ الأدبَ العربي قد نضـج وتطور لدى هذا الشـعب، غير أنـه تأخر - لعدة أسباب - عن تطوره في شمال البلاد.

وقد قسّـم الشـيخ آدم عبدالله الإلوري تاريخ الأدب، لديار نيجيريا عامّة، إلى العصور الآتية:

أ – العصر البرناوي: من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري.

ب – العصـر الونغري: من القرن السابع حتى القرن التاسع الهجري.

ج – العصـر المغيلي: من القرن التاسـع حتى القرن الحادي عشر الهجري.

د – العصـر الفلاني: من القرن الحادي عشـر حتى آخر سـقوط الدولـة الفوديـة، أوائل القرن الثالث عشـر الهجري.

هـ - العصـر الإنجليزي: بعد سقوط إمارة عثمان بن فودي (ت ١٨١٧م) بأوائل القرن الثالث عشر الهجري[١].

ويبـدو أنّ الأدب العربي نضـج وتطور فـي بلاد يوربا بعـد قيام دولة ابـن فودي في الشـمال بالرغم من دخول الإسـلام إلـى الجنوب الغربـي قبل ذلك، غيـرَ أنَّ الأدبَ يتزامنُ مع دخول الإسلام، وأما قوته وازدهاره فيتزامنان مـع قيـام الدولـة الإسـلامية التي تهتـم بـالأدب وترعى الأدباء[٢].

وتقـارَبَ تقسـيمُ الأسـتاذ الدكتـور أحمـد سـعيد غلادنتشـي (١٩٨٢م) للعصـور الأدبيـة فـي نيجيريـا وتقسـيم الشـيخ الإلوري، حيث قسّـمها أحمد سـعيد إلى خمس فترات، حسب التاريخ الميلادي:

أ – فتـرة تأسـيس الممالـك والولايات: مـن القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي.

ب – فترة الوفود والحركات الإسـلامية في الممالك والولايـات: من القـرن الرابع عشـر حتى القـرن الثامن عشر.

ج – فترة الدولة الصُّـكُتِيَّة: من القرن الثامن عشـر حتى بداية القرن العشرين (١٩٠٣م).

د – فترة الاستعمار: من (١٩٠٣م) حتى (١٩٦٠م).

هـ – فترة ما بعد الاستقلال: من (١٩٦٠م)[٣].

وجاء بعدهما الأسـتاذ الدكتور زكرياء أوبو حسـين، وقسّـم فترات الأدب العربي في نيجيريا، حسب تطوراته، إلى ستة عصور، هي:

أ – عصـر الاسـتهلال: مـن (١٠٠٠م) حتـى (١٣٠٠م)، وهو عصر اتصال العرب بأهل غرب إفريقيا، ودخول الإسلام مملكة كانم وبرنو.

ب – عصـر الاسترشاد أو عصـر الدعاة الوافدين: مـن (١٣٠٠م) - (١٨٠٤م)، وهـو عصـر زيـارة العلماء والدعـاة إلى غرب إفريقيا من بلاد العرب، ووفود الدعاة الوَنْغريِّين، وجلّهم من علماء تمبوكتو.

ج – عصـر الاسـتقرار، أو العصـر الفـودي: مـن (١٨٠٤م) – (١٩٠٣م).

د – عصـر الاسـتعمار البريطاني، والفرنسـي: من (١٩٠٣م) - (١٩٦٠م).

هـ - عصر الاستقلال: من (١٩٦٠م) – (١٩٩٩م).

و – عصـر الازدهـار: مـن (٢٠٠٠م) إلـى ما شـاء الله[٤].

ومع تبايُنِ مسـميات التقسيم، أو اعتبارات التقسيم، فإنـه يُنبئُ عن قِـدَم نضـوج الأدب العربي، فـي نيجيريا عامّةً، وفي بلاد يوربا خاصّـة، كما أنه يوضحُ أنَّ ازدهارَه، فـي بلاد يوربا، تزامن مع قيـام الدولة الفودية؛ لأن أقدم عالم أديب - وصلنا إنتاجه الأدبي - كان من علماء مدينة

(١) آدم عبدالله الإلوري: مصباح الدراسات الأدبية في ديار نيجيرية، ط٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٢) الإلوري، المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٣) غلادنث شيخو أحمد سعيد: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤م إلى سنة ١٩٦٦م، ط١، دار المعارف ١٩٨٢م.

(٤) الأستاذ الدكتور زكريا حسين: المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م دار النور أوتش، ولاية أيدو، نيجيريا، ص (١٧٣ – ١٨١).

(إلورن)، أقدم بلاد يوربا ازدهاراً في اللغة العربية وآدابها، والثقافة الإسلامية وعلومها؛ بفضل قيام الدولة الإسلامية التي قادها الشيخ عالم بن جنتا آنذاك، وذاك الأديب هو الشيخ أبو بكر بوبى الفلان، الإلوري، المتوفى عام (١٨٥٨م / ١٢٧٥هـ)[1].

## حقائق عن الأدب العربي الإسلامي، والأدباء المسلمين، في بلاد يوربا نيجيريا:

تتلخص هذه الحقائق في:

أ - أنَّ الأدباءَ المسلمين في بلاد يوربا لم يكن لهم - بالنسبة للأدب العربي الإسلامي - عصرٌ جاهليٌّ، أو مذهبٌ غيرُ إسلامي، وإنما وصلهم الأدب العربي الإسلامي، مع العلوم الإسلامية، في نصاعته، وأصوله، فلم يعرفوا أدباً قبله بهذه اللغة.

ب - أنَّ جلَّ المنتسبين إلى الأدب العربي الإسلامي، المنتجين له، في بلاد يوربا - حسب علمي -، مسلمون ملتزمون، إنْ لم يكن كلهم، مع اختلاف مدارسهم، وتباين فتراتهم وخصائصهم وسماتهم، التي سنبينها فيما بعد.

ج - أنَّ الأدباءَ المسلمين، في بلاد يوربا، لم ينهجوا بهذا الأدب - أساساً - المنهجَ الفاسد المنحرف، من التحلل الخلقي، والتغريب الاجتماعي، والإثارة الجنسية، وتمجيد الشاذين، كما أنهم التزموا بعمود الشعر العربي، وعدم مخالفة النظام العروضيِّ العموديِّ الأصيل، بالرغم من دراستهم لكلٍّ من الأدب الأموي والعباسيِّ، بما فيهما من الهجاء والنقائض، والغزل الشاذ، والخمريات، وكذلك الإلحاديات، والمجونيَّات، والانحرافات العقدية في أدب بعض علماء الكلام قديماً، وإنتاجات بعض المنحرفين من أدباء المهجر والحداثيين في العصر الحديث.

د - أنهم، أو جلّهم، لم ينحرفوا بهذا الأدب عن العقيدة الإسلامية، بدعوة إلى كفر أو شرك، أو انحلال أخلاقي، إلا ما عُرف عن الأدباء المتصوفين من مغالاتهم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، أو مدحهم لشيوخهم.

هـ - وأخيراً: لم يكونوا جميعاً مستوفين شروط الشعر العربي، من حيث سمو المعنى وسلامة المبنى، فقد يكون المبنَى أحياناً هشّاً سوقياً، مخالفاً لقواعد العروض والتقفية، أو أقربُ إلى النثر منه إلى الشعر لكثرة الضرورات الشعرية، وخُلوِّه من قوة العاطفة وصدقها، والتكلُّف في استعمال المجازات والاستعارات، غيرَ أنهم لم يلجؤوا إلى الشعر المنثور، فقد كانوا محافظين على الأصالة بالرغم من ركاكة الأسلوب أحياناً.

فترات الأدب العربي الإسلامي في بلاد يوربا:

يلاحظ الدارس لتقسيمات العلماء لفترات الأدب العربي الإسلامي في نيجيريا، على وجه العموم، أنهم اتفقوا جميعاً في كثير من الفترات وتواريخها، وإنْ اختلفوا في التسمية، وأنهم اتفقوا في الفترة الفودية.

وبناءً على دراسة النصوص الأدبية القديمة التي حصلنا عليها، بالنسبة للأدب العربي في بلاد يوربا، يحقّ لنا أنْ نبدأ تحديدَ الفترات للأدب العربي فيها من عصر الخلافة بصُكوتو - كما سبق أن أشرنا إليه عند ذكر الفترات - للتدليل على نضج الأدب العربي الإسلامي في نيجيريا عامَّة.

من هنا؛ نرى تقسيم الفترات التي مرّ بها الأدب العربي في بلاد يوربا إلى ثلاث فترات:

أ - الفترة القديمة، أو فترة الظهور والنشأة: من أوائل القرن التاسع عشر (١٨٢٨م / ١٢٥٥ه) إلى وقت قريب من أوائل القرن العشرين (١٩١٠م / ١٣٣٠هـ).

ب - الفترة المتوسطة، أو فترة التطور والازدهار: من أوائل القرن العشرين إلى وقت قريب من أواخره (١٩١١م / ١٣٣١هـ إلى ١٩٩٥م / ١٤٢١ه).

ج - الفترة الحديثة، أو فترة النضوج والتقدم: ابتدأتْ ملامحُ هذه الفترة من فترة ما قبل منتصف القرن العشرين (١٩٤٥م / ١٣٦١هـ) إلى الوقت الحاضر.

ويُلاحظ التداخلُ بين هذه الفترات؛ ذلك لمعاصرة بعض الأدباءِ لبعضهم الآخر من فترة سابقة، وطول عمر بعض أدباء الفترتين القديمة والمتوسطة حتى (٢٠٠٢م)، وأنّ كثيراً من أدباء الفترة الأخيرة، وُلدوا في خلال إحدى الفترتين السابقتين، أو بعد المتوسطة بقليل.

(١) آدم عبدالله الإلوري: لمحات بلور في مشاهير علماء إلوري من ١٢٠٠ه - ١٤٠٠هـ / ١٨٠٠م - ١٩٨٠م، ط١، رمضان ١٤٠٢ه / ١٩٨٢م، ص ٢٦.

هـذا، ويمكنُ تقسيمَ بـلادِ يوربا إلى ثـلاث مناطق رئيسـة، بالنسـبة لتجمع العلماء، وازدهار الأدب العربي، ورواج سـوقه، ثم اختيارَ شاعرٍ من كلِّ منطقة؛ فيكون لكلّ فترة ثلاثة شـعراء، مع التَّمثيلِ بإنتاجات شـعراء آخرين من كلّ فترة إذا لزمَ.

وهذه المناطق هي:

١ - منطقـة إلـورن، ومـا جاورهـا من بلـدان يوربا، المتاخمة لشمال نيجيريا.

٢ - منطقـة إبـادن، وما حولها من بلـدان يوربا، في المنطقة الغربية القديمة.

٣ - منطقة لاغوس - عاصـمة نيجيريا سابقاً -، وما جاورها من بلـدان يوربا، التي دخلـت تحت ولاية لاغوس الآن.

فهذه المـدن هي كبريـات المراكز الإسـلامية التي تجمّعـت فيهـا المدارس العربيـة والإسـلامية، الأهلية الخاصـة، والتابعة للجمعيات الإسـلامية المشـهورة، في بلاد يوربا.

الفتـرة الأولى: القديمـة، أو فترة الظهور والنشـأة، وسماتها:

يمثّـل هـذه الفترة أوائـل أدبـاء الدعوة الإسـلامية وشـعرائها في بلاد يوربا، وهم من أقدم من وصـلت إلينا إنتاجاتهـم الأدبيـة، وتأثـروا بما درسـوا من كتـب اللغة والشـعر، والمنظومـات فـي الفقـه والتوحيـد والقواعـد اللغوية والإملائية.

ومن أمثال هؤلاء:

في مدينة إلورن: الشـيخ محمـد بن محمد الثاني بن الشيخ أبي بكر بوبى الإلوري (١٨٤٠م / ١٢٦٧ه)، والشيخ أحمـد بن أبي بكـر إكوكورو الفلاني الإلـوري (١٨٧٠م - ١٩٣٦م)، وأضـرابهما من العلماء والمعاصـرين لهما في الفترة نفسها.

وفي وسـط بلاد يوربا - مدينة إبادن والمدن التابعة لها -: الشيخ أحمد الرفاعي بن بللو (١٨٨٠م - ١٩٧١م)، والمعاصـرين له فـي المنطقة المحيطة بهـا، من المدن الكبرى في بلاد يوربا.

وفـي مدينـة لاغوس - عاصـمة نيجيريا سـابقاً -: الشـيخ أحمـد بـن محمـد مصـطفى أويلنجـي الزكـوي المشـهور بابن يوربا (١٨٩٢م - ١٩٦٨م)، ومن عاصـره، وسار على خصائص منهج هذه الفترة وسماتها.

### السمات الشعرية لهذه الفترة، وخصائصها:

ظهر في هذه الفترة الأولى الفوج الأول من أدباءِ بلاد يوربا (نيجيريا) وشـعرائها في الدعوة الإسلامية والأدب الإسـلامي، ولشعرهم إطارٌ معروفٌ في الأسلوب والسمات الخاصة، وهي:

١ - الافتتـاح بالبسـملة، والحمدلـة، والصـلاة على الرسـول، والتعوذ أحياناً، في مقدمة قصـائدهم، في أي غرض يقرضـون فيه الشـعر: وذلـك لإيمانهم بقدسـية البسـملة والحمدلة والصـلاة على الرسـول والتعوذ، وما لها من فضـائل، ولتأثرهم بالأشعار التعليمية التي نُظمت بها كثير من المتون الفقهية والأصولية واللغوية والعروض وغيرها.

مـن ذلك قصـيدة الشـيخ محمد بن محمـد الثاني، حفيـد الشـيخ بوبـى، فـي مـدح الأمير علـي بـن الأمير شـئث، عند انتصار جيوشـه على جيوش يوربا في مدينة (أوفا)، وقد دارت الحروب بينهم ١٧ عاماً، حتى انتصـر المسـلمون أخيـراً (١٨٩٠م / ١٢٠٨ه)، وسـجّل الشـيخ الحادثة فـي (القصـيدة الميمية - ٢١ بيتـاً)، وافتتحها بالحمدلة والصلاة على الرسول، فقال[١]:

**الحـمـد لله مـهـدي هـذه الـنـعـم**
**عـلـى جـمـاعـة الـشـيـخ عـالـم علم**
**ثم الصلاة على خير الورى وعلى**
**آل وصحب ومن يتبع ذوو الحكم**
**لـمـا تـحـزب أهـل الـكـفـر كـلـهـم**
**وأهـل بـادن أبـاد الله كـلـهـم**

ويقـول الشـيخ أحمـد بـن محمـد بللـو الرفاعي في قصـيدة الشـكر التي بعث بها إلى الشـيخ إندا صـلاتي؛ لمسـاعدته لهـم علـى جمـع التبرعـات لبنـاء المسـجد الجامع لمدينة إبادن، حيث بدأ بالبسـملة والصـلاة على الرسول[٢]:

---

(١) الإلوري: لمحات، مرجع سابق، ص (٢٦ - ٢٧).

(٢) عبد الرحيم حمزة: حماة الثقافة العربية الإسلامية من طغيان الثقافة الإنكليزية المسيحية، ط١، ١٩٧٤م، مطبعة الثقافة

باسم إلـه العرش رازق كلنا
فنحن نصلي مع السلام لمن هدى
وبعد فذا التعظيم من كل مسلم
إلى أكرم الأشياخ ذي العلم والنهى

- أنهم يختتمون قصائدهم بذكر أسمائهم، والصلاة على النبي، وذكر عدد أبيات القصيدة، وتاريخ تأليفها، أحياناً كثيرة: وقد شاركهم في هذه السمة كثير من الشعراء، في المدرسة الوسطية والحديثة؛ فترى الأخ أحمد رفاعي أديبايو - رحمه الله - (١٩٥٢م - ٢٠٠٢م) يختم إحدى قصائده بقوله[١]:

وفز بالنبي الذي نالنا
عطاياه سمحاً بجهد بذل
على سيدي صل يا ربنا
وسلم عليه ختام الرسل

وقد شارك غيرُه من المعتبرين من أدباءَ الفترة الثالثة في هذه السمة؛ وإنْ كانت من خصائص أدباء الفترة القديمة، يقول الشيخ محمد، حفيد الشيخ بوبى، في ختام (القصيدة الميمية) السالفة الذكر[٢]:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا
سرّاً وجهراً وبدءاً ثم في الختم
صلاة ربي على المختار سيدنا
محمد جاء بالإشفاق والرحم

والشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكورو يختتم مرثيته للشيخ هارون - شيخ علماء بلاد يوربا - بذكر اسمه، وتاريخ نظمه، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول[٣]:

يريد المجئ للتعزي بنفسه
ولكنه قد عاقه شغل ما رعى
عبيد عبيد الله يسمى بأحمد
هو ابن أبي بكر الفلاني تفرعا

ومرثية المحبوب قد تم نسجها على
سن أتراب الجنان مصنعا
بيوم خميس شهر ذي القعدة التي
مضى نصفها والعام براش قد نما
صلاة وتسليم على خير مرسل
يدومان ما يرثي المحب وما دعا

وفي مرثية الشيخ أحمد ينما بن محمود للشيخ بوصيري بن بوصيري بن بدر الدين، لم يفتتح القصيدة بالبسملة ولا الصلاة على الرسول كالعادة، لكنه ختمها بذكر اسمه، والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال[٤]:

ومن قال من في الناس للشعر ناظم
فأحمدنا ابن الواعظ في بلادنا
تلميذه بين التلاميذ كلهم
صغير قليل العلم بالجهل معلنا
صلاة وتسليم على أبطحينا
محمدنا منجي الأنام بلا عنا
على آله أصحاب مع كل تابع
وأزواجه أولاده تم نظمنا

وهذه السمة مشهورة لدى معاصريهم ممن لم نذكر أسماءهم، فاستمع - على سبيل المثال - إلى الشيخ مرتضى عبد السلام مدير المعهد العربي النيجيري - رحمه الله - في إحدى قصائده إلى علماء إبادن، ينهاهم عن بدعة قراءة كتاب السُّنة في قصر الملوك الكفار والتكهن لهم، واختتم القصيدة بذكر اسمه، والصلاة على النبي، وعدد أبيات القصيدة، فقال[٥]:

ومن مرتضى عبد السلام نجارها
فصلّ على المختار رأس الكتائب
فعدتها عشرون تعلو بصبرها
على مائتين سهمها غير صائب

٣ - ذكرُ كلمة «أما بعد»، أو «وبعد»، أو بجواب «أما بعد»، فيدخلون في عرض القصيدة بحرف «فا»:

---

الإسلامية - أغيغي / نيجيريا، ص ٣٦.

(١) الإمام أبوبكر بن الإمام صلاح الدين أبارغدوما: نفائس القلوب في مثابر المحبوب، ط١، ص (١٥ - ١٦).

(٢) سليمان أحمد أديبايو: السطور العاطرة.. ديوان الشعر، ص ٩.

(٣) أبارغدوما: نفائس القلوب، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) الإلوري: لمحات، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٢.

قال الشيخ أحمد الرفاعي بن محمد بللو[1]:

**وبعد: فذا التعظيم من كلّ مسلم**
**إلى أكرم الأشياخ ذي العلم والندى**

وقال الشيخ أحمد بن محمد مصطفى أويلنجي بعد التعوذ، والبسملة، والصلاة على الرسول، والحمدلة، والسبحلة:

**سبحان من قد أوجب الفنايا**
**بكل شيء وله البقايا**
**وبعده: يا أيها البرايا**
**فكلكم رهائن المنايا**

وقال الشيخ أحمد بن أبي بكر في تهنئته المذكورة آنفاً، بعد الحمدلة، والصلاة على الرسول:

**فمن مبلغ عني لشيخي رسالة**
**وزير ابن عبد الله بدَي ذي الحجا**

٤ – استخدامهم – كثيراً – ثلاثة أبحر من البحور العروضية، وهي: بحر الطويل – وهو الأكثر استعمالاً لديهم –، ويليه الرجز، ثم بحر البسيط: وقلما يخرجون عن هذه الأبحر الثلاثة، ويكثرون من استخدام بحر الطويل لطول النفس، وكثرة التفاعيل فيه، لتأثرهم بأشعار الشعراء الجاهليين – أصحاب المعلقات –، وتأثرهم بكتب المديح النبوي، ومنظومات المتون العلمية واللغوية وغيرها، التي نهج بها مؤلفوها المنهج العلمي في الأسلوب، والتي تتلمذ عليها أغلبهم لأنهم كانوا علماء دعاة، وفقهاء صوفيين، قبل أن يكونوا أدباء، وإنما اتخذوا الأدب وسيلة من وسائل الدعوة والتعليم والتربية والإرشاد؛ ولذلك غلبَ على أدبهم موضوعاتٌ في مجال العلوم الدينية، والسلوكية، والوعظ، والتزهد، والتصوف.

وعلى سبيل المثال جميعُ قصائد الشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكورو التي وصلت إلينا لم تخرج عن بحر الطويل، وقصائد الشيخ محمد ميماسا أوجابورو مع كثرتها وتنوع أغراضها لم تتجاوز بحورها – حسب علمنا – هذه البحور الثلاثة: (الطويل، والرجز، والبسيط)، وتمتاز قصائد الشيخ أحمد بن بللو الرفاعي والشيخ أحمد بن محمد مصطفى أويلنجي الزكوي بتلك السمة، إلا أنه توجد للثاني قصيدة في بحر الوافر، والشيخ بنيامين كانت قصائد ديوانه الوعظية جميعها على بحر الطويل، وكذلك الشيخ مرتضى عبد السلام، وأخوه الكبير الشيخ الإمام مدثر عبد السلام، والشيخ سنوسي ألاكا.

وقد أحسن أكثرُ أدباءِ هذه الفترة، ومن سار على نهجهم من أدباء الفترة المتوسطة والأخيرة، استعمال تلك البحور التي التزموها، كما أنها ناسبت موضوعاتهم العلمية ومناهجهم الأسلوبية، فأغراض قصائدهم لم تتجاوز: الموضوعات الدينية من الوعظ والإرشاد، والمسائل العقدية والفقهية، والصوفية والزهد، والوصف والمديح والرثاء والتهنئة، وهذه الأغراض لا تناسبها – كثيراً – البحور ذوات التفاعيل القليلة، كالهزج، والمضارع، والمقتضب، وغيرها من البحور التي تُستعمل للأناشيد.

٥ – كثير من قصائد هذه الفترة أقرب إلى الأسلوب العلمي منه إلى الأسلوب الأدبي: لأنها تخلو من قوة العاطفة، كما يوجد في بعضها الكلمات الغريبة، أو المخالفة للقواعد اللغوية والصرفية أحياناً كثيرةً، كما تكثر الضرورات العروضية وتتكرر عدة مرات في قصيدة واحدة.

ونأخذ قصيدة من قصائد الشيخ أحمد مصطفى أويلنجي مثالاً لهذه السمة الأخيرة؛ يقول في قصيدته (التائية) الموسومة بذكر الموت[2]:

**اذكر أمامك موتاً كان موقتاً**
**فلا يفوت به امرأ متصلتا**
**إن جاء ليلاً أو نهاراً فجأة**
**فيزينه دين الفتى متموتاً**
**إن المنون هي طعام فكلنا**
**طاعمها طوعاً وكرهاً كبتا**
**بينا طعام المرء يطبخه له**
**حتى إذا يطعم كان مموتاً**

(١) مرتضى أبوبكر المعروف بابن المعلم: مرآة الناظرين في تعريف الآصال من العلماء في بلد إبادن، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، دار الطباعة المحمدية مصر، ص (٩٦ – ٩٧).

(٢) عبدالرحيم حمزة: حماة الثقافة العربية الإسلامية...، مرجع سابق، ص ٣٦.

نلاحظ في هذه الأبيات: الأسلوب العلمي، وركاكة العبارة، وتداخل الأوزان.

### الفترة الثانية: المتوسطة، أو فترة التطور والازدهار:

وهي فترة بداية الانفتاح والاتصال المباشر والسريع بالعالم العربي والغربي، وتشمل العلماء الأدباء الذين كانوا خط الصلة بين الفترة القديمة والحديثة (فترة النضوج والتقدّم)، وتتلمذوا على أدباء الفترة القديمة، وعاصروا قسطاً غير قليل من حياتهم، ثم تَتَلمذ عليهم أدباء الفترة الأخيرة (الحديثة)، فكانوا همزة الوصل للفترتين القديمة والحديثة، من أوائل القرن العشرين إلى قريبٍ من أواخره (١٩١١م / ١٣٣١هـ)، حتى (١٩٩٥م / ١٤٢١هـ) تقريباً، فإنهم تجاوزوا الحدّ الضيق من الأسلوب، وتوسعت ثقافتهم الأدبية، وانفتح أفقهم العلمي، ونما وعيهم وإدراكهم الثقافي، وعاصروا القدماء وواكبوا المحدثين، بل هم الأساس للمدرسة الحديثة.

### نختار من أصحاب هذه المدرسة:

الشيخ كمال الدين الأدبي (١٩٠٧م - ٢٠٠٥م).

والشيخ آدم عبدالله الإلوري (١٩١٧م - ١٩٩٢م).

ونعدّ الشيخ تاج الأدب محمد جمعة (١٨٨٥م - ١٩٢٢م) أساس المدرسة الوسطية.

وغيرهم من العلماء الذين هم الوسطاء والتوطئة للعهد الجديد، من الذين جمعوا بين الثقافة القديمة والحديثة في العلوم العربية والثقافة الإسلامية، واطّلعوا على أدب العصر الحديث، وإنتاجات أدبائه، ونهجوا بالمدارس العربية في بلاد يوربا المنهج الحديث، الذي يواكب الروح الحديثة، ويناسب الجيل الجديد، وينافس الثقافة الغربية المستوردة، ووضعوا المناهج والمقررات، ونظموا الأناشيد وأشعار المناسبات الإسلامية، والاجتماعية والثقافية.

### سمات هذه الفترة:

١ - استعمالهم جميع البحور ذوات التفاعيل الكثيرة، والقليلة، على حدّ السواء، ما دامت تناسب أغراضهم، وموضوعاتهم الدينية، والثقافية، والتربوية: من أمثلة ذلك: أنشودتان مشهورتان اتخذهما (المركز الإسلامي أغيغي) شعاراً، ومفتتحاً لجميع تجمعات طلابه، وتقوم مقام الأنشودة الوطنية الرسمية للدولة، وللأناشيد المماثلة لدى المدارس الإنجليزية الابتدائية، والثانوية، والعالية.

النوع الأول منها كالآتي[1]:

مركزي أفديك روحي
مركزي أفديك روحي
مركزي أفديك روحي
في حياتي ومماتي
مركزي أنت طبيبي
منقذي من جهلاتي
مركزي جاء بعلم
كعجيب المعجزات
ليس لي في الجهل
فضل أدعيه في حياتي
إنما الجهل ضلال
وزمام المهلكات
نسأل الله تعالى
بأحب الدعوات
لرجال يخدمون ال
علم في كل الجهات
أن يديم النصر في
نا بني البركات

هذا الجزء - من النوع الأول؛ من أنشودة المركز - يُظهرُ فضلَ هذا المركز، ومكانَتَه لدى الطلاب، ويدعو لأمثال مدير المركز، الذين يعملون في حقل الدعوة، والتربية والتعليم.

وأما الجزء الثاني - من هذا النوع من الأنشودة - فهو على قافية اللام، فهو يُثير حماس الطلاب، ويَحُثُّهم على المضيِّ قدماً في سبيل التعلّم والتعليم، ويعرفهم مسؤوليتهم الدينيَّة والتربويَّة في المجتمع، ويحثهم على أن يتسلحوا بسلاح العلم[2].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٨.

(٢) الإلوري؛ آدم عبدالله: رسالتنا، ط١، مطبعة الثقافة الإسلامية - أغيغي، لاغوس / نيجيريا. وانظر كذلك: لقطات من قصائد

استعدوا للنضال
استعدوا للنضال
إيه يا أبطال علم
الدين قد حان النضال
اذهبوا في الأرض كال
أشبال وامضوا لا تبالوا
علموا الناس علوماً
ليس يدريها رجال
علموهم أنكم في العلم
أقطاب جبال

النوع الثاني من أنشودة المركز:

صاغ الشيخ آدم عبدالله الإلوري - مدير المركز - أنشودة أخرى للمركز ليناسبَ التغني بها مشي الطلاب الرتيب من الطابور والميدان إلى الفصول، كما اشتمل على المعاني المشابهة لما احتوى عليها النوع الأول، وهي كالآتي[1]:

مركزي مركزي مركزي
كنت أنت المنى مركزي
جئتنا بالهدى والسنا
فانقذن قومنا من عمى
خلصن قومنا من ردى
واحمنا تحت كل الحمى
سر بنا للرقي والعلا
خذ بأيدي الورى للسما
في العلوم والنظام والعمل
للسما للسما للسما

تأثّر أدباءَ هذه الفترة بمن تتلمذوا عليهم من العرب، عن طريق سفرهم إلى البلاد العربية للمؤتمرات، أو لرحلة علمية، وتأثروا ببعض الجاليات العربية من المغاربة واللبنانيين الساكنين في لاغوس ومدينة كانو، وغيرهما، كما تأثروا بالكتب الحديثة في العلوم والأدب.

الفترة الثالثة: الفترة الحديثة، فترة النضوج والتقدم:

هذه الفترة هي الأخيرة، وتبدأ من منتصف القرن العشرين (١٩٤٥م) تقريباً إلى الوقت الحاضر، أدرك أدباؤها أدباء الفترة الثانية - المدرسة الثانية -، وأخريات حياة كثير من المدرسة الأولى، ومع ذلك اختلفت عنهما في جوانب كثيرة.

وهناك عوامل جعلت هذه المدرسة تختلف تمام الاختلاف عن المدرستين السابقتين، نذكر منها ولا نحصيها:

١ - تنوع مصدر الثقافة: فهؤلاء درسوا جميع المواد اللغوية والأدبية والدينية والعلمية والثقافية من الكتب العصرية، ومؤلفات عصر النهضة العلمية، والمقررات التي اجتمع الخبراء التربويون على تأليفها، مما يواكب روح العصر.

٢ - تعلم العلوم بأنواعها بلغة تلك العلوم مباشرة: ما يفتح آفاقاً أخرى لفهم تلك اللغة، وأساليب استخدامها، ويمكن الطالب من النطق بها بطلاقة وفصاحة؛ لأنّ اللغة تنمو بالاحتكاك، والمداومة على استخدامها، لا بحفظ نصوصها فقط، أو الدراسة بالترجمة.

٣ - استقلال مادة الأدب - بأنواعها - للدراسة، والتخصص فيها: ودراسة مناهج الأدباء بأنواعها والأغراض الأدبية، والقدرة على فهم لغة الأدب نفسها، والنطق بها، والاطلاع على مناهج الأدب الغربي ومذاهبه، ومشاركة الشعراء العرب المعاصرين في الأنشطة الأدبية المتعددة.

٤ - مخالطة أصحاب هذه اللغة (العرب أنفسهم): ومشاركتهم في المؤتمرات والملتقيات، وعقد المؤتمرات والندوات المحلية، حيث تكون اللغة العربية هي المستخدمة فيها، وكذلك الاستماع إلى الإذاعة والتلفزة العربية، وقراءة الصحف والمجلات والجرائد العربية.

٥ - الدراسة في البيئة اللغوية: من ذلك إتاحة الفرصة للسفر إلى إحدى البلدان العربية، للدراسة في إحدى جامعاتها أو معاهدها العليا حتى مرحلة الدكتوراه.

٦ - مَلَكَةُ الثروةِ اللغويةِ العصريةِ الفصيحة، وكذلك

---

الإلوري، ص ١٤.

(١) هيئة التدريس، بالقسم التوجيهي، بمركز التعليم العربي الإسلامي - أغيغي: لقطات من قصائد الإلوري، هدية العيد الأربعين، ط١، ١٩٩١م، ص ١٣، مطبعة الثقافة الإسلامية - أغيغي، لاغوس / نيجيريا.

ملكة الروح الشاعرية الفذَّة: التي تقوي العاطفة الشعرية الجياشة، وتثير الأخيلة، وترهف الأحاسيس، مع سلامة الذوق.

كل هذه العوامل، وغيرها، جعلت هذه الفترة تختلف عن سابقتيها، مع بعض التداخل في هذه الفترات؛ حيث تجدُ شعرَ بعض هذه الفترة يسيرُ على إطار الفترة القديمة، أو الوسيطة، من حيث المنهج والأسلوب والخصائص والسمات، وذلك بسبب مصدر الثقافة التقليدي؛ لبقاء كثير من المدارس العربية الإسلامية الأهلية على المنهج القديم: (التعليم بالترجمة)، وفي المسجد، أو في بيت المعلم، والمقررُ كتبُ التراث فقط، ولذلك نجد الاختلافَ واضحاً – مثلاً – بين شاعرين شابين معاصرين في المستوى؛ لاختلاف مصدر الثقافة، وهما: الشاعر عبد الواحد محمد جمعة أربيبي المركزي، والشاعر محيي الدين صلاح الدين إرابجي، من طلاب الشيخ فايا بمدينة إكرن.

يقول عبد الواحد من مواليد (١٩٦١م)[١]:

**مع الصبح نختار صياما**
**مع الليل نختار القياما**
**نصدق والله الأجور**
**ونسعى إليها كاليتامى**
**ألذ المعاني في الصلاة**
**ولا سيما الأمن تماما**
**وأطيب أن نلفى كصف**
**وأحسن أن نلفى قياما**
**إلى الله نشكو كل ضعف**
**ونرجو من الله الأماما**

ويقول محيي الدين من مواليد (١٩٨٦م)[٢]:

**وإن شئت أن تنمو في هذه الدنا**
**فكن منفقا واحذر عن البخل والضبس**
**وكل بخيل ناقص ومعاتب**
**ومبعود إنعام الإله مع الوكس**
**بلى هو ممقوت من الناس كلهم**
**لئيم لديهم ويحه صار ذا المعس**
**إذا سائل وافاك يوماً لحاجة**
**فبشره بالإعطاء إياك والعبس**
**قال النبي المصطفى في حديثه**
**بأن عدو الله ذو البخل بالوعس**
**اللهم اعط المنفقين مثوبة بإخلاف**
**ما هم بذلوا فيك بالنعس**

نلاحظ الفرق الظاهر في الأسلوب، بين العلمي القريب في الثانية، والأدبي العميق في الأولى، وغير ذلك، وإنما يرجع ذلك الفرق إلى مصدر الثقافة والبيئة، بالرغم من كونهما شابين معاصرين.

### سمات هذه الفترة:

سمات الفترة الحديثة واضحة في: النظم، والمعنى، والمبنى، والعاطفة، والأخيلة، وأسلوبها الأدبي، وأصالتها، وروعتها، واستقامة سبكها، والبعد عن الكلمة الحوشية المهجورة، أو الكلمة السوقية المبتذلة، مما لم تكن من لغة الشعر، أو الترتيب الذي يقرب القصيدة إلى النثر.

ويمكن أن نشير إلى أمثلة لبعض هذه السمات فيما يلي:

١ – نلاحظ سلاسة الأسلوب، وعذوبة اللفظ، ووضوح المعنى، والعاطفة الإنسانية، وسهولة الفهم لدى الدكتور الشاعر عيسى ألابي: في قصيدته (إلى الشعراء)، حيث وجّه نداءه إلى الشعراء، ينبههم على عظم رسالتهم الشعرية ومسؤوليتهم في المجتمع، وخطرِ هذا السلاح الذي وهبهم الله، فقال[٣]:

**شعراء هذا الجيل إني منكم**
**امشوا حثيثاً دائماً وتقدموا**
**لا تهتفوا بالشعر إلاّ جيدا**
**إن الهتاف بمثله لا يشتم**
**يا قائلي الأشعار ألف تحية**
**أنتم لأعظم في الوجود وأسلم**

(١) عبد الواحد جمعة أربيبي: رمضان كريم، منشورة شعرية، ٢٠٠٢م، ص ٢.

(٢) محيي الدين صلاح الدين: لؤلؤ الحكمة في الوعظ والإرشاد، ص ١٩.

(٣) د. عيسى ألابي: ديوان الرياض، ط١، ٢٠٠٢م، مطبعة ألابي إلورن، ص ٦٧.

وخذوا بأيد المفسدين بشعركم
للشعر قوته العظيمة تحكم
أفلا ترون الظلم يملأ أرضكم
ذودوا عن الوطن المحبب يظلم

٢ - نلاحظ التلاحم والانسجام بين الفرع والأصل، حتى في المحاكاة لدى الشعراء المحدثين: فتراهم يحاكون فحول الشعراء العرب، فلا تكاد تلاحظ فرقاً بين الأصل والفرع، من حيث الفكرة والمعنى والأسلوب والمبنى.

هذا الإمام الشاعر مسعود أديبايو عبد الغني (١٩٤٩م) يحاكي الشاعر القائل في فضل العلم:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له
والجهل يهدم بيت العز والكرم

فقال الإمام[١]:

فإن بنى البيت بانٍ ثم جمّله
فالجهل هدم فلا يرفع إذا اقتضبا

كما حاكى الدكتور عيسى ألابي أبي بكر (١٩٥٣م) شاعرَ النيل (حافظ إبراهيم)، وأخذ معناه في التكلم على لسان اللغة العربية، فقال في وصف اللغة العربية[٢]:

إن اللغات تعددت وتباينت
ولسان أهل الشرق خير لسان
وإذا نظرت إلى قواعده تجدها
زخرت بدون إرابة ببيان
الوحي أعلن فضله هذا كفى
عزّاً فبشرى أمة الإيمان

فهذه الفكرة والمعاني مأخوذة من قصيدة شاعر النيل حافظ إبراهيم[٣]، حيث قال:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

كما أخذ كلٌّ من الإمام مسعود والدكتور عيسى معنى (فائدة العلم وضرر الجهل) من قول الشيخ برهان الدين الزرنوجي في كتابه المشهور (تعليم المتعلم طريق التعليم)، حيث قال[٤]:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأً لم يحي بالعلم ميّتُ
فليس له حتى النشور نشور

فحاكاه الإمام مسعود عبد الغني أديبايو؛ فقال[٥]:

العلم نور جميع الناس يعرفه
فليس يدركه إلا الذي طلبا
فالجهل موت يميت القلب يتركه
أعمى ففي العلم إحياء إذا اقتربا

ويقول الدكتور عيسى في المعنى نفسه[٦]:

إنما الجهل وهو قبل قدوم
الموت موت فجانبوا الآلاما
إنما العلم وهو برء من الآ
لام دوماً يطارد الأسقاما
ثم بالعلم يملأ الأرض عمرا
نا وعزّاً وسؤدداً وسلاما

٣ - وفي المعارضة من حيث الأسلوب والمعنى، كما في نهج البردة والهمزية لأمير الشعراء أحمد شوقي: فقد عارض الإمام مسعود (لامية) صلاح الدين خليل بن بك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) المشهورة في الحكمة والآداب والموعظة الحسنة.

قال الصفدي في مفتتح لاميته:

الجدّ في الجدّ، والحرمان في الكسل
فانصبْ تَصب عن قريبٍ غايةَ الأمل

فعارضه الإمام مسعود وحاكاه، حتى لا يكاد القارئ

(١) الإمام مسعود عبد الغني أديبايو، مخطوطة ديوان الأويووي.

(٢) د. ألابي، مرجع سابق.

(٣) الدكتور عبد الحليم محمود: النصوص الأدبية: تحليلها ونقدها، ط٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٤م، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض / المملكة العربية السعوية، ص ١٩٥.

(٤) برهان الدين الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، مطبعة أحمد إسطنبولي، ط١، ١٢٣٤هـ.

(٥) الإمام مسعود، مرجع سابق.

(٦) د. ألابي، مرجع سابق.

يفرّق بين الأصل والفرع؛ حيث أخذ الإمام جميع معاني لامية الصفدي، وصاغها في قالب الأسلوب الأدبي اللبق الرصين، مستقل المعنى، مستقيم المبنى، لا ترى فيها عوجاً لغوياً، ولا أمتاً أسلوبياً، ولا شططاً فكرياً، بل جاء بجديد من المعاني المفعومة بالعاطفة، الموضحة بالأخيلة، حيث يقول[1]:

**الرزق في الكدّ والإفلاس في الثقل**
**فكن حريصاً على سعي بلا ملل**
**لو آثرت نملة بالنوم ما وصلت**
**إلى مكانة ذكر الحقّ للنمل**
**لو اكتفى بصلٌ بالعزّ ما نشرت**
**له الروائح خذ الرأي من البصل**
**وإنما قدّر الله العزيز له**
**آثاره تقسم الأقدار بالعمل**
**والله علّمنا سعيا سعياً لنيل منى**
**أن ليس للناس إلا ما سعوا أجل**
**الدين للناس بالأخلاق والعمل**
**الخير بالخير مجزي بلا بدل**
**فليس يظلم عبداً ربُّه أبداً**
**ما قدمت يده يُجزى من العمل**

نكتفي بهذه النماذج، التي يمكن القياس عليها، بما لم نذكر من إنتاجات أصحاب المدرسة الحديثة.

### خلاصة البحث والخاتمة:

١ – أنَّ الأدب العربي اليورباوي له خصائص وسمات، كما أنّ له ثلاث فترات، مهدت كلّ فترة للتي بعدها.

٢ – أنّ الأصلَ في أدب هذه المدارس واحدٌ، وهو الإسلام، والهدف والمصير واحد، وهو الدعوة إلى الإسلام والذود عن حياضه، وأنّ المسار والمنهج واحد، وهو الاحتفاظ بالأصالة العربية؛ لأنها قالب العلوم الدينية، وحاوية المصادر الإسلامية، فضعف جزء منها ضعف لها جميعاً؛ لأنها جسد واحدٌ، وأنّ اختلافهم، إنما هو في السمات التي نتجت عن التنوع في مصادر الثقافة والبيئة اللغوية.

٣ – أنّ كل مدرسة مناسبة لجوها، وعهدها، ومؤدية لرسالتها، وممهدة لما يليها، ومستفيدة من التي سبقتها.

٤ – أنّ الأدباء اليورباويين مسلمون، ملتزمون التزاماً عقدياً ومنهجياً وأصولياً، وأنهم لم ينحرفوا قيد أنملة عن المنهج الإسلامي في الفنون الأدبية، من الألف إلى الياء، إذ إنهم لم يعرفوا أدباً جاهلياً بهذه اللغة في مجتمعهم من قبل، وإنما اتخذوا هذا الأدب وسيلة من وسائل الدعوة.

٥ – أنهم التزموا أصالة القواعد العروضية العمودية، واستوفوا جميع شروطها، في إنتاجاتهم الأدبية، ولو أنّ البيئة الاجتماعية والثقافية أثّرت في إنتاجاتهم الأدبية، ولكنهم لم ينحرفوا بها إلى الانحلال العقدي أو السلوكي أو المنهجي ■

(١) الإمام مسعود، مرجع سابق.

## أهم الأحداث

يناير - مارس ٢٠١٥م / ربيع الأول - جمادى الأولى ١٤٣٦هـ

■ **إحباط محاولة انقلابية في «جامبيا»:**

أكّدت معلومات من العاصمة الجامبية (بانجول) أنّ محاولة انقلابية كان مخطّطاً لها قد أُحبطت، أسفرت المحاولة عن مقتل أربعة مهاجمين، واعتقال أربعة آخرين، وقد نجا أربعة أشخاص يُشتبه فيهم أنهم تراجعوا عن الانقلاب الفاشل.

وبحسب المصادر؛ فإنّ جنوداً حاولوا اقتحام القصر الرئاسيّ في ظلّ غياب الرئيس (علي يحيى جامع) خلال زيارته لفرنسا، لكن الجنود الموالين للنظام قاموا بإحباط هذه المحاولة الفاشلة، مضيفة أنّ المسؤول عن مبادرة التمرّد ضابطٌ عسكري يُدعى: (أمين سانيه).

يذكر أنّ الرئيس (جامع) وصل إلى السلطة في انقلاب مماثل نفّذه في ١٩٩٤م، بينما نجا من عدة محاولات انقلابية؛ أدّت إلى عمليات تطهير في صفوف الأمن والقوى المعارضة، حيث يقبع عددٌ من زعمائها في المنفى حاليّاً.

وكالة أنباء عموم إفريقيا (آبا)- ٢٠١٥/١/٥م

■ **رئيس وزراء الصومال يعلن تشكيلة حكومته الجديدة:**

أعلن رئيس الوزراء الصومالي (عمر عبد الرشيد علي شارماركي) تشكيلة حكومته الجديدة، وتضمّ: ٢٥ وزيراً ونوّابهم، وتسعة وزراء دولة، بالإضافة إلى نائب رئيس الوزراء.

وقال رئيس الوزراء الصومالي في تصريح للصحافيين: إنه أنهى تشكيل حكومته بعد مشاورات مع الرئيس حسن شيخ محمود ورئيس البرلمان محمد شيخ عثمان جواري وأعضاء مجلس النواب.

وطالب رئيس الوزراء الصومالي مجلس البرلمان بالمصادقة على حكومته الجديد، معرباً عن أمله في أنّ حكومته ستؤدي المهام الملقاة على عاتقها على الشكل المطلوب. وكان عبد الرشيد تمّ تعيينه رئيساً للوزراء في ١٧ ديسمبر الماضي خلفاً لعبد الولي شيخ أحمد الذي أقاله البرلمان الصوماليّ في السادس من الشهر نفسه.

شبكة الشاهد الصومالية – ٢٠١٥/١/١٢م

## إفريقيا بالأرقام

■ **ثمانية آلاف حالة وفاة نتيجة لفيروس إيبولا أغلبها في غرب إفريقيا:**

أحصت منظمة الصحة العالمية: (٨١٥٣ حالة وفاة) من جراء الإصابة بفيروس إيبولا في منطقة غرب إفريقيا، من إجمالي: (٢٠٦٥٦ إصابة)، وذلك في الدول الثلاث الأكثر تعرضاً لإيبولا، وهي: سيراليون وليبيريا وغينيا التي انطلق الفيروس منها قبل عام. وسُجّلت: (١٥ حالة وفاة) إضافية، في الدول الأخرى: (٦ في مالي، وواحد في الولايات المتحدة، و ٨ في نيجيريا)، في حصيلة لم تتغير منذ أسابيع عدة.

وتبقى سيراليون الدولة الأكثر إصابة مع مجموع: (٩٧٧٢ إصابة) مسجلة في ٣ يناير، و (٢٩١٥ وفاة)، تليها ليبيريا التي كانت لفترة طويلة الدولة الأكثر إصابة بالفيروس، ولكنها شهدت تباطؤاً في

### ■ القمّة الـ٢٤ للاتحاد الإفريقي تختتم أعمالها:

اختتمت القمّة الـ ٢٤ للاتحاد الإفريقي أعمالها في العاصمة الإثيوبية (أديس أبابا) بتوصيات تصدّرتها: محاربة ما يُسمّى: (الإرهاب)، وبخاصة جماعة بوكوحرام النيجيرية، وسُبل مواجهة وباء إيبولا الذي أودى بحياة الآلاف في دول بغرب إفريقيا.

وأكد رئيس زيمبابوي روبرت موغابي (٩٠ عاماً)، الذي اختير رئيساً للدورة الجديدة للاتحاد، ضرورة التعامل مع حركات مثل بوكوحرام بحزم؛ من أجل إعادة الاستقرار للبلدان المتأثرة بالعنف.

وكان القادة الأفارقة قد وافقوا على نشر قوة إفريقية في غرب إفريقيا للتصدي لحركة بوكوحرام.

الجزيرة نت – ٢٠١٥/٢/١م

### ■ تأجيل انتخابات الرئاسة النيجيرية إلى ٢٨ مارس:

أعلنت لجنة الانتخابات في نيجيريا تأجيل انتخابات الرئاسة إلى ٢٨ مارس، بسبب مخاوف أمنية، وكان مقرراً إجراؤها في ١٤ فبراير، مذعنة لضغوط من حزب الشعب الديمقراطي الحاكم، في خطوة من المرجّح أن تثير غضب المعارضة.

وتُتابع القوى الخارجية عن كثب كيفية إجراء الانتخابات في أكبر اقتصاد بإفريقيا، وأبدت قلقها بشأن العنف الذي قد يعقبها؛ مثلما حدث بعد انتخابات ٢٠١١م عندما قُتل ٨٠٠ شخص.

وستشهد الانتخابات مواجهة بين الرئيس الحالي (جودلاك جوناثان) والحاكم العسكري السابق لنيجيريا (محمد بخاري) الذي ينتمي لحزب المؤتمر التقدّمي، فيما قد تكون أشدّ الانتخابات منافسة منذ انتهاء الحكم العسكريّ في ١٩٩٩م.

وكالة رويترز – ٢٠١٥/٢/٨م

### ■ دول إفريقية تتعهد بتشكيل قوّة قوامها ٨٧٠٠ فرد لمحاربة بوكوحرام النيجيرية:

تعهدت دول حوض بحيرة تشاد بالتعاون لتشكيل قوّة إقليمية لمحاربة مسلحي جماعة بوكوحرام النيجيرية، بنشر ٨٧٠٠ فرد من الجنود والشرطة والمدنيين، وهو عدد يزيد عن تقديرات سابقة للبعثة.

وكان الاتحاد الإفريقي أجاز في السابق تشكيل قوّة قوامها ٧٥٠٠ جندي من: (نيجيريا وتشاد والكاميرون والنيجر وبنين) للتصدي للجماعة التي سيطرت على قطاعات كبيرة من شمال شرق نيجيريا، ونفّذوا هجمات على الدول المجاورة.

انتشاره: (٨١١٥ إصابة، مع ٣٤٧١ وفاة، في ٣١ ديسمبر).

وأخيراً: غينيا، حيث انطلق الوباء قبل عام، موقعاً: (٢٧٦٩ إصابة، مع ١٧٦٧ وفاة) في ٣ يناير.

من جهة أخرى؛ قالت منظمة الصحّة العالمية: إنّ: (٦٧٨ عاملاً) في المجال الصحّي أُصيبوا بالفيروس في ٢٨ ديسمبر، وإنّ (٣٨٢ عاملاً) منهم تُوفّوا.

وكالة فرنس برس – ٢٠١٥/١/٦م

### ■ نيجيريا تخصّص أكثر من ٥٠ مليون دولار لتطوير مطاراتها:

قالت السلطات النيجيرية أنها ستوفّر أكثر من ٥٠ مليار دولار لتطوير المطارات ووسائل النقل التي ستُقلّ أزيد من ١١٠ ملايين مسافر في أفق عام ٢٠٤٣م، بحسب تأكيد وزير الطيران النيجيري (أوسيتا شيدوكا)، وأمام تزايد حركة المسافرين بنسبة ٧٥ ٪ من السكان النيجيريين أصبح من الضروري، حسب شيدوكا، تطوير سياسات وبرامج جديدة تحقّق أهداف التنمية والرفاه.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٣/١٤م

### ■ بوركينافاسو تحقّق نسبة تغطية بـ ٣٠٩,٥٪ من سندات الخزينة بإصدار قيمته ٣٠ مليار فرنك إفريقي:

قالت مصادر في وزارة الاقتصاد والمالية البوركينابية: إنه قد تمّ تحقيق نسبة تغطية تُقدّر بـ ٣٠٩,٥٪ لأذون سندات الخزينة، بإصدار قيمته ٣٠ مليار فرنك إفريقي، في ٥ مارس الماضي.

وقد تمّ تسجيل ٦٥ إصداراً بصفة أوليّة، بما مجموعه

ولم يتم الكشف عن ميزانية للمهمّة الإقليمية، كما لم يُعلن عن تفاصيل أو موعد لنشر القوات.

وكالة رويترز – ٢٠١٥/٢/٨م

■ **اتفاق سلام بين باماكو وجماعات مسلحة بوساطة جزائرية:**

نجحت وساطة الجزائر في التوصّل إلى اتفاق سلام بين حكومة مالي وجماعات مسلحة، في خطوة تكلل الجولة الخامسة من المفاوضات التي أقيمت بالجزائر على مدار أشهر.

وقد تمّ التوقيع على اتفاق: (السِّلم والمصالحة) في الجزائر، على أن يتم التوقيع عليه في العاصمة المالية (باماكو) في موعد لم يُحدّد بعد، وفقاً لوزارة الخارجية الجزائرية التي أشارت إلى أنّ هذا الاتفاق يُعد: «ثمرة ثمانية أشهر من المفاوضات بين الجانبين».

والمجموعات المسلحة الست هي: (الحركة الوطنية لتحرير أزواد، والمجلس الأعلى لوحدة أزواد، وحركة أزواد العربية، وحركة أزواد العربية المنشقة، وتنسيقية الشعب في أزواد، وتنسيقية حركات وجبهات المقاومة الوطنية).

الجزيرة نت – ٢٠١٥/٣/٢م

■ **(إيغاد) تلوّح بفرض اتفاق للسلام بجنوب السودان:**

هدّدت لجنة وساطة الهيئة الحكومية للتنمية في شرق إفريقيا (إيغاد) بفرض اتفاق للسلام بين طرفي النزاع في جنوب السودان؛ بعد إخفاقهما في إحداث تقدّم إيجابيّ يمهد الطريق نحو إنهاء الحرب في أحدث دولة بالعالم.

وأعلن وزير الخارجية الإثيوبي (سيوم مسفين) – الذي يقود وساطة الإيغاد – مهلة أخرى لكلٍّ من رئيس جنوب السودان سلفاكير (ميارديت) ونائبه السابق المقال زعيم المتمردين (رياك مشار).

ونبّه سيوم مسفين في تصريحات، عقب الاجتماع الثنائي بين (سلفاكير ومشار) بأديس أبابا، إلى أنه في حال فشل وساطته؛ فإنّ الإيغاد ستعمل مع الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي والصين ودول الترويكا من أجل تحقيق اتفاق للسلام في جنوب السودان، على حدّ تعبيره.

وكان مجلس الأمن قد تبنّى مشروعاً لقرار قدّمته الولايات المتحدة الأميركية، ينصّ على نظام من العقوبات سيُفرض على الطرفين (الحكومة والمتمردين)، يشمل: حظر السفر، وتجميد أموال المسؤولين من الطرفين؛ ممن يثبت تورطهم في الوقوف ضد عملية الاستقرار والسلام في البلاد.

الجزيرة نت – ٢٠١٥/٣/٤م

٩٢,٨ مليار فرنك إفريقي، كما تشمل العروض مبلغ ٣٠,٨ مليار فرنك إفريقي. تجدر الإشارة إلى أنه تمّ تنظيم هذه المبادرة الـ ٥١ ببوركينافاسو في ٢٠١٥م من طرف وكالة «واشنطن ميوتشوال» التعاونية في «بوروندي»، بناءً على طلب من المديرية العامّة للخزينة والمحاسبة العامّة في بوركينافاسو.

ومن المقرّر، خلال شهري إبريل ويونيو عام ٢٠١٥م، دخول بوركينافاسو في سوق المال في الاتحاد الاقتصادي والنقدي لدول غرب إفريقيا.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٣/١٥م

■ **موزمبيق تحقق نمواً بنسبة ٧٪ خلال الربع الأخير من ٢٠١٤م:**

نما اقتصاد موزمبيق بنسبة ٧ ٪ خلال الربع الأخير من ٢٠١٤م؛ مقارنة بالفترة نفسها من ٢٠١٣م، بحسب بيانٍ صادرٍ عن المعهد الوطني للإحصاء ووفقاً للمصدر نفسه؛ ففي الربعين الأول والثاني من ٢٠١٤م نما الاقتصاد الموزمبيقي بنسبة ٧,٦ ٪ و ٧,٣ ٪ على التوالي، حيث سجّل الاقتصاد الوطني أداءً معدّله ٨,٨ ٪ خلال القسم الأول من ٢٠١٤م، بما في ذلك صناعة التعدين التي حقّقت نمواً بنسبة ١٤,٩ ٪.

يُذكر أنّ قطاع الخدمات حقّق هو الآخر نسبة نموٍّ قدرها ٨,١ ٪، في حين نما القطاع التجاري بنسبة ٨ ٪، تلته القطاعات الثانوية بنسبة ١٢,٩ ٪.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٣/١٦م

## قالو عن إفريقيا

■ «الأفارقة لا يشتكون فقط من أنهم فقراء والبيض أغنياء، وإنما أيضاً من أنّ القوانين التي وضعها البيض مُصمَّمة للحفاظ على هذه الحالة، وهناك سبيلان للإفلات من ربقة الفقر:

السبيل الأول: عن طريق التعليم النظامي.

والسبيل الثاني: عن طريق اكتساب العامل مهارات أكبر في عمله، ومن ثمّ يحصل على أجور أعلى.

وبقدر ما يتعلق الأمر بالأفارقة؛ تقلّص التشريعات عمداً من هذين السبيلين نحو التقدّم».

**البيان الذي أدلى به الزعيم الإفريقي نيلسون مانديلا في محاكمته في بريتوريا، ١٩٦٤/٤/٢٠م**

■ «المحكمة الجنائية الدولية تمرّغ قادة إفريقيا في الوحل؛ في استهزاءٍ بالقانون الدولي؛ إذا استطاع الأفارقة رفع صوتٍ موحّد من أجل إرساء محكمتهم الجنائية الخاصّة، فسيُوقفون إملاءات الغرب.. بعض الدول تفرض علينا ثقافتها مع أننا لم نعد خاضعين للاستعمار من طرفها، نحن لدينا ثقافتنا الخاصّة، نحن لا يمكن أن نقبل أن يجرّونا بالحبال».

**رئيس جمهورية غينيا الاستوائية تيودورو أوبيانغ نغويما مباسوغو، بمؤتمر صحافي، بالعاصمة الرواندية (كيغالي)، ٢٠١٤/٧/١٧م**

## فرق وأديان

■ **قانون مقترح لتنظيم عمل المنظمات الدينية يثير حالة من الجدل بكينيا:**

دعا النائب العام في كينيا ممثلي الطوائف الدينية لعقد اجتماع لمناقشة قوانين جديدة لتنظيم المنظمات الدينية وأنشطتها في البلاد، وقد أثار هذا الإجراء جدلاً واسعاً داخل كينيا.

وقال النائب العام البروفيسور (جيتوموبغاي): إنهم سيجتمعون لمناقشتها على مدى ثلاثة أيام في نيفاشا في وقت لاحق.

وينصّ القانون المقترح على إلزام الزعماء الدينيين (كهنة، أئمة، قساوسة، حاخامات) بأن يقدّموا شهادات حُسن السيرة والسلوك وشهادات براءة من لجنة مكافحة الكسب غير المشروع، وعلى الكنائس والمساجد والمعابد، أو أي تجمعات دينية أخرى، تقديم تقارير سنوية، خلال شهر مارس من كلّ عام، للسماح لها بمتابعة أعمالها، كما يلزمها القانون بتقديم حساباتها المدققة للسنة المالية إلى سجّل الجمعيات.

وكالة فيدس – ٢٠١٥/٢/١٢م

■ **بنين تستضيف ملتقى للحوار بين الأديان في مايو القادم:**

ينظّم المركز الإفريقي للآفاق الاجتماعية في معهد ألبيرت تيفوجري، في الفترة من ٢٦ إلى ٢٨ مايو القادم، في كوتونو ببنين، ملتقى دولياً حول الحوار بين الأديان والثقافات.

وقال مسؤول الملتقى الدكتور لازاري كي-زيربو، خلال مؤتمر صحافي في وغادوغو: «إنّ المبادرة الإفريقية للتثقيف في مجال السلام والتنمية من خلال الحوار بين الأديان والثقافات، مقررة في كوتونو ببنين من ٢٦ إلى ٢٨ مايو القادم»، وأوضح أنّ هذا اللقاء يهدف إلى استنهاض الوعي من خلال التعريف بالأديان، قائلاً: «سنتبنّى وثيقة للتسامح، ستكون في السنوات القادمة قاعدةً مع أدواتٍ أخرى، مثل كُتيب إكواس حول السلام، الذي سيُعتمد كمرجع لتثقيف الشباب والمواطنين على تعزيز التسامح».

وأكد أنّ «الثقافة والتربية والحوار بين الأديان والثقافات ليست مجرد كلمات، بل هي واقع معاش في عائلاتنا وقُرانا، ونحن (الأفارقة) نعرف التنوع والتعايش السلمي بين الهويّات والأديان»، وأنّ تنامي مظاهر «عدم التسامح الديني أو العرقي» يقود إلى التفكير مليًّا في المصادر التي تتوفر عليها القارة الإفريقية؛ من أجل سلامٍ دائم وتعايش سلمي بين كلّ الطوائف الدينية واللغوية.

وكالة أنباء عموم إفريقيا (بانا برس) – ٢٠١٥/٣/٤م

■ **الاحتلال البريطاني لأوغندا:**

أدّى اعتراف ألمانيا بأوغندا جزءاً من منطقة نفوذ بريطانيا في أعقاب معاهدة (هيلجولاند) إلى توجيه الأنظار إلى هذا البلد الإفريقي، حتى أصبح هدف (الشركة البريطانية في شرق إفريقيا) هو الاستثمار والاستفادة من موارد البلاد، من نهر جوبا إلى أعالي النيل شرقاً.

ولكن انتشار الحروب الأهلية في أوغندا بين أنصار المذاهب المختلفة (الكاثوليكية والبروتستانتية)، وتورّط الزعماء المحليين في النزاع، أدى إلى تعطيل المصالح البريطانية، فكان الحلّ الأمثل لبريطانيا إرسال بعثة إلى أوغندا، بقيادة فريدريك لوجارد الذي انضم للعمل في خدمة (الشركة البريطانية في شرق إفريقيا)، وكانت تعليمات الشركة واضحة، وهي: تعزيز موقف المذهب البروتستانتي ومركزه؛ لكونه يمثل النفوذ البريطاني، مع استمالة الكاثوليك، وإشعار الملك موانجا Mwanga حاكم أوغندا بقوة الشركة ونفوذها، وتخفيف حدّة التوتر بين البعثات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانتية.

واجه لوجارد عدة تحديات في أوغندا، منها: انقسام الزعامات الوطنية إلى فريقين، وتنافس البعثات التنصيرية (الكاثوليكية والبروتستانتية)، وكان موانجا يؤيد الحزب الكاثوليكي التابع لفرنسا، ولم يعضد الحزب البروتستانتي البريطاني.

تناسا الحزبان خلافاتهما، وقاما بطرد المسلمين من (أونيورو) ١٨٨٩م، وبرغم ذلك نشبت الحرب الأهلية بين أتباعهما في ١٨٨٩م، لذلك كان على لوجارد ضرورة الإسراع بتوقيع معاهدة مع موانجا تجعل لشركة إفريقيا الشرقية البريطانية اليد العليا في شؤون أوغندا، وبالفعل وُقّعت المعاهدة في ٢٦ ديسمبر ١٨٩٠م.

رأى لوجارد ضرورة شنّ حملة ضدّ المسلمين في الغرب لتعزيز سلطته، ولتوحيد صفوف الكاثوليك والبروتستانت والتفافهم حوله، وخرج لوجارد من كمبالا في أبريل ١٨٩١م على رأس جيش كبير من جنود الشركة ومن المسيحيين، وأغار على قبائل (الباجندة) المسلمة شمال سينجو، ثم عاد إلى بوجندة.

برغم مساعي لوجارد؛ فإنّ الحرب الأهلية نشبت مرة أخرى بين البروتستانت والكاثوليك، وتمّ تصفية هذا الصراع لصالح شركة إفريقيا البريطانية، وأرغم لوجارد الحزبين على الاعتراف بنفوذ الشركة، وتمّ إبرام تسوية بين الفريقين، وعقد معاهدة جديدة في ١٨٩١م، وهي المعاهدة التي ارتبط بها موانجا ارتباطاً أبديّاً ببريطانيا، واعترف بنفوذ الشركة.

وفي ١٦ يوليو غادر لوجارد أوغندا إلى بريطانيا، ثمّ حلّت الحكومة البريطانية محلّ الشركة، وقامت بإرسال قنصلها العام في زنجبار (جيرالد بورتال) إلى أوغندا في أول يناير ١٨٩٣م لدراسة أوضاع البلاد، فوضع بورتال يده على جميع الحاميات، ورفع العلم البريطاني مكان علم الشركة، ثم اتفق مع موانجا في ٢٩ مايو ١٨٩٣م على ألا يعقد معاهدات أو اتفاقيات مع أي أوروبي دون موافقة مندوب الحكومة البريطانية.

وفي أول نوفمبر لخّص بورتال آراءه في تقرير أرسله من زنجبار إلى بريطانيا، لفت فيه النظر إلى أهمية موقع أوغندا، وقد أدى تقريره إلى التعجيل باحتلالها.

وأقامت بريطانيا المحطات الحصينة بين بحيرتي فيكتوريا وألبرت، وارتفع العلم البريطاني على ودلاي في ١٨٩٥م، وامتدت الحماية البريطانية تدريجيّاً، فضمّت أونيورو ١٨٩٦م، وأبرمت اتفاقية مع بوجندة ١٩٠٠م، ومع تورو ١٩٠١م، وعقدت اتفاقية مع انكولي، وبذلك تمكّنت السلطات البريطانية في أوغندا من ضمّ هذه الممالك تحت نفوذها.

المراجع/ بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث، إلهام محمد علي ذهني، مكتبة الأنجلو المصري، ٢٠٠٩م، ط١، القاهرة.

آراء وقضايا

■ **تدهور أوضاع حقوق الإنسان في إفريقيا على الرغم من التقدم الاقتصادي..!:**

ارتفعت نسبة النموّ في القارّة الإفريقية إلى ٥,٢ ٪، حسب تقدير البنك الدولي في تقريره الأخير حول الوضع الاقتصادي العالمي، ويُنتظر أن يرتفع الناتج المحلّي الإجمالي في ٢٠١٦م، وتقترب هذه النسبة في بعض المناطق، كإفريقيا الوسطى، من ٧ ٪، كما تعدّ غرب إفريقيا قطب نموٍّ مشجّع، وأعلنت نيجيريا عن نسبة نموٍّ بلغت ٥,٥ ٪ هذا العام؛ لتؤكّد مكانتها كرائدة للاقتصاد الإفريقي.

ولكن تضاءلت هذه الأرقام في ظلّ الواقع المحزن لحقوق الإنسان، حسبما ورد في تقرير المنظمة غير الحكومية (منظمة العفو الدولية) الذي نُشر يوم ٢٥ فبراير، والّذي أشار إلى أنّ عام ٢٠١٤م تميّز بزيادة حدّة الصراعات، وتزايد عدد اللاجئين والنازحين داخل بلدانهم.

ما الصراع الأخطر في إفريقيا؟

تسبّب تمرّد جماعة بوكوحرام النيجيرية، وقمع الجيش النيجيري لها منذ ٢٠٠٩م، في مقتل ١٣٠٠٠ شخص، ونزوح ١,٥ مليون داخل البلاد، وفي ٢٠١٤م فتحت بوكوحرام عدّة جبهات لتتكثّف الصراعات في الشمال الشرقي لنيجيريا، وظهورها في الدول المجاورة، مثل الكاميرون وتشاد والنيجر...

وتضيف منظمة العفو الدولية أنه لئن ارتكبت بوكوحرام هجمات قاتلة، وقامت بعمليات خطف جماعي، مثل خطف ٢٧٦ طالبة من مدرسة ثانوية في بلدة شيبوك في أبريل من ٢٠١٤م، «فإنّه قد أُولي اهتمام أقلّ بالجرائم المروّعة المرتكبة من جانب قوّات الأمن النيجيرية والمتعاونين معها تجاه الأشخاص الّذين يُزعم أنّهم منتمون إلى جماعة بوكوحرام أو يدعمونها»، كما أشارت المنظمة غير الحكومية في أغسطس الماضي إلى أنّها تمتلك أدلة مادية عن عمليات قتل ارتكبها الجيش النيجيري.

جنوب السودان: هل ستدوم الحرب طويلاً؟

يشير تقرير منظمة العفو الدولية إلى عشرات الآلاف من المدنيين لقوا حتفهم، ومليوني نازح، بسبب الحرب الأهلية بين حكومة سلفاكير وقوّات المعارضة بقيادة ريك ماشار نائب الرئيس السابق منذ ديسمبر ٢٠١٣م، وهو الصراع الأحدث (في إفريقيا)، ولكنّ كلا الطرفين قد ارتكب جرائم حربٍ وجرائم ضدّ الإنسانية، وفقاً لمنظمة العفو الدولية...

ولم تحقّق المفاوضات بين المعسكرين أيّة نتائج، حيث تمّ التوصّل إلى ٧ اتّفاقات لوقف إطلاق النار، ولكن لم يُحترم أيّ منها، كما تمّ تأجيل الانتخابات الرئاسية المقررة لهذا العام إلى ٢٠١٧م، وبالتالي ضمن الرئيس سلفاكير بقاءه في السلطة لسنتين إضافيتين، ممّا يزيد من مخاوف التصعيد.

هل خرجت إفريقيا الوسطى من الفوضى؟

توفّي آلاف المسلمين وفيهم أطفال ونساء، خلال المجازر التي قامت بها ميليشيات أنتي بلاكا، بين عامي ٢٠١٣م و ٢٠١٤م، وتعرضت البلاد لأبشع جريمة تطهير عرقي، فلم يبق في البلاد من المسلمين إلا أقل القليل، وتحولوا إلى قتلى أو نازحين أو لاجئين، وذلك بمساعدة فرنسا التي ساعدت على قتل المسلمين.

ولم يمنع وجود قوّات دولية، من: القتل وأعمال التعذيب والاغتصاب للمسلمين. ولم يتمّ التوصّل إلى حلٍ دائم لمئات الآلاف من النازحين؛ بسبب الحرب في إفريقيا الوسطى...

هل إفريقيا أكثر أمناً ممّا كانت عليه قبل ١٠ سنوات؟

خلقت الصراعات في: نيجيريا، إفريقيا الوسطى، شرق كونغو– كينشاسا، جنوب السودان، هجمات حركة الشباب في الصومال، أقطاباً حقيقية لعدم الاستقرار في القارّة الإفريقية... منظمة العفو الدولية أشارت في تقريرها إلى أن لهذه الصراعات جميعها خصوصية في زيادة الحدّة خلال ٢٠١٤م.

راؤول مبوج، صحيفة لومند الفرنسية، ترجمة التقرير (بتصرف) – ٢٠١٥/٢/٢٥م

■ **لجنة الأمم المتحدة لإفريقيا تدعو دول وسط إفريقيا لزيادة التوافق الاقتصادي الكلي:**

دعت لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لإفريقيا، في بيانٍ صادرٍ عنها، دول وسط إفريقيا إلى زيادة توافقها الاقتصادي الكلّي، ووجهت اللجنة هذه الدعوة خلال دورة للتفكير، شارك فيها نحو ٦٠ خبيراً، درسوا على مدى يومين، في برازافيل، التقدم المنجز من طرف الدول الأعضاء في المجموعة الاقتصادية والنقدية لوسط إفريقيا، في المعايير الأربعة للتوافق الاقتصادي الكلّي.

ويتعلق الأمر - حسب لجنة الأمم المتحدة - بتشجيع الدول الأعضاء في مجموعة وسط إفريقيا على اجتياز الخطوة الحاسمة للوصول إلى إنشاء مجموعة اقتصادية إفريقية، وإصدار عملة واحدة في القارة، بحلول ٢٠٢١م، كما تنصّ عليه معاهدة أبوجا السارية منذ ١٩٩٤م.

ولاحظ المشاركون في الدورة أنّ الدول الأعضاء حقّقت أداءات جيدة في معيار المراقبة المتعددة للتوافق، التي تحدّد معدل المديونية العامّة (داخلية وخارجية) بما يقلّ أو يساوي ٧٩ ٪ من الناتج المحلي الخام، لكن المعايير الثلاثة الأخرى لم تشهد التحسّن نفسه.

وهذه المعايير الثلاثة هي: (الإبقاء على الكتلة الميزانية القاعدية إيجابية أو محايدة، والمحافظة على معدل التضخّم السنوي دون ٣ ٪، وعدم تراكم المتأخرات الداخلية والخارجية على إدارة الفترة الجارية لكلٍ من الدول المعنية).

تضمّ المجموعة الاقتصادية والنقدية لوسط إفريقيا كلاً من: (الكاميرون، والكونغو، والغابون، وغينيا الاستوائية، وإفريقيا الوسطى، وتشاد)، فيما تضمّ المجموعة الاقتصادية لدول وسط إفريقيا، بالإضافة إلى الدول المذكورة، كلاً من: (أنغولا، وبورندي، والكونغو الديمقراطية، وساوتومي وبرينسيب).

وكالة أنباء عموم إفريقيا (بانا برس) – ٢٠١٥/٣/٤م

■ **زامبيا: معدّل التضخم ينخفض إلى ٧,٤ ٪ خلال فبراير:**

قال المكتب الوطني للإحصاء (CSO): إنّ معدلات التضخم السنوي في زامبيا انخفضت بنسبة ٧,٤ ٪ خلال شهر فبراير ٢٠١٥م.

ووفقاً للمكتب؛ فإنّ الأغذية والمشروبات غير الكحولية شكّلت ٣,٩ نقطة من هذا المعدل، تلتها المنتجات غير الغذائية بـ ٣,٩، كما سجلت البلاد أيضاً عجزاً تجاريّاً يقدّر بـ ١١٣,٧ مليون كواشا بشهر يناير، مقابل ٧٢,٧ مليون بشهر ديسمبر من العام الماضي.

يُذكر أنّ صندوق النقد الدولي كان قد أكد أنّ البلاد تملك معدل نمو يتراوح ما بين ٦ ٪ إلى ٧ ٪، وذلك نتيجة لنمو قطاع التعدين، غير أنّ هذا المعدل تباطأ فيما بعد ليصل ٥,٥ ٪ العام الماضي.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٣/١٤م

■ **دعم ميزانية «إفريقيا الوسطى» بـ٧٣ مليار فرنك إفريقي:**

حشدت مجموعة الاتصال الدولية بشأن جمهورية إفريقيا الوسطى دعماً لميزانيتها يُقدّر بـ ٧٣ مليار فرنك إفريقي، بحسب ما أعلنه رئيس الوزراء (محمد كمون) اليوم الاثنين في برازافيل.

ووفقاً لكمون؛ فإنّ الأموال ستُستخدم لدعم جهود الحكومة الانتقالية في تنفيذ خارطة الطريق الحكومية، مؤكداً أنّ التزام المجتمع الدولي تجاه بلاده يُعدّ «إيجابياً»، كما يبشّر بمساعدة البلاد على الخروج من نفقها المظلم.

يُذكر أنّ المسؤول الإفريقي قد أكد، بالنظر للظروف الحالية على الأرض، أنّ إجراء انتخابات يولية ٢٠١٥م يبدو بعيد المنال.

وكالة الأنباء الإفريقية (آبا) – ٢٠١٥/٣/١٦م

جمهورية ناميبيا تقع في جنوب غرب قارة إفريقيا، وهي دولة عضو في الأمم المتحدة، وعضو الاتحاد الإفريقي، وعضو في مجموعة التنمية لإفريقيا الجنوبية، وعضو في اتحاد الكومنولث.

**العاصمة:** وندهوك Windhoek.

### الموقع الجغرافي:

تقع جمهورية ناميبيا في جنوب قارة إفريقيا، على المحيط الأطلسي الجنوبي، بين أنجولا وجنوب إفريقيا، يحدّها من الشمال: أنجولا وزامبيا، ومن الشرق: بتسوانا وجنوب إفريقيا، ومن الجنوب: جنوب إفريقيا، ومن الغرب: المحيط الأطلسي.

### التقسيمات الإدارية:

تنقسم جمهورية ناميبيا إلى ١٣ إقليماً، هي: كابريفي Caprivi، وإيرونجو Erongo، وهارداب Hardab، وكاراس Karas، وخوماس Khomas، وكونين Kunene، وأوهانجوينا Ohangwena، وأوكافانجو Okavango، وأوماهيكي Omaheke، وأوموساتي Omusati، وأوشانا Oshana، وأوشيكوتو Oshikoto، وأوتجوزونجوبا Otjozondjupa.

### التركيب السكاني:

عدد السكّان: ٢,١٠٨,٦٦٥ نسمة؛ طبقاً لتقديرات يولية ٢٠٠٩م.

### التقسيمات العرقية:

السود: نحو ٨٧,٥ ٪ من، والبيض: نحو ٦ ٪، والملوّنون: نحو ٦,٥ ٪.

ينتمي نحو ٥٠ ٪ من إجمالي السكان إلى قبيلة أوفامبو Ovambo، بينما ينتمي نحو ٩ ٪ إلى قبيلة كافانجوس Kavangos. ومن المجموعات العرقية الأخرى في ناميبيا: الهريرو Herero، ونسبتهم ٧ ٪؛ والناما Nama، ونسبتهم ٥ ٪؛ والكابريفيان Caprivian، ونسبتهم ٤ ٪؛ والبوشمن Bushmen، ونسبتهم ٣ ٪؛ والباستر Baster، ونسبتهم ٢ ٪؛ والتسوانا Tswana، ونسبتهم ٠,٥ ٪.

الديانة: المسيحيون: (٨٠ ٪ - ٩٠ ٪)؛ منهم نحو ٥٠ ٪ - على الأقل- من اللوثريين؛ والوثنيون: (١٠ ٪ - ٢٠ ٪).

### اللغة:

الإنجليزية هي اللغة الرسمية، يستخدمها نحو ٧ ٪ من السكان، ويتحدث الألمانية نحو ٣٢ ٪، وتُعدّ الإفريقانية Afrikaans أكثر اللغات استخداماً، يتحدثها نحو ٦٠ ٪

من البيض، وهناك لغات إفريقية محلية يتحدثها ١ ٪ وتتضمن: أوشيفامبو Oshivambo، وهريرو Herero، وناما Nama.

**السِّمات الجغرافية:**

المساحة الكليّة: ٨٢٥,٤١٨ كم٢.

الحدود البرية: الكلية: ٣٩٣٦ كم، منها مع أنجولا: ١٣٧٦ كم، ومع بتسوانا: ١٣٦٠ كم، ومع جنوب إفريقيا: ٩٦٧ كم، ومع زامبيا: ٢٣٣ كم.

الشريط الساحلي: ١٥٧٢ كم.

**المناخ:** يعدّ صحراويًا، بين الحرارة والجفاف، تسقط الأمطار على أنحاء متفرقة من البلاد على فترات متقطعة، على مدار السنة.

**التضاريس:**

يمكن تقسيم ناميبيا إلى ثلاث مناطق جغرافية:

أ - صحراء ناميب Namib Desert: اشتُق منها اسم الدولة، وتُعدّ من أقدم صحاري العالم، إن لم تكنْ أقدمها على الإطلاق، وتغطي ١٥ ٪ من مساحة ناميبيا بالبحور الكثبانية والسهول الحصوية.

ب - الهضبة الوسطى: تمتد من الشمال إلى الجنوب، ويراوح متوسط ارتفاعها بين ألف وألفي كم، وتتنوع بين سلاسل جبلية وعرة وأودية رملية.

ج - صحراء كلهاري Kalahari: التي تقع في شرق البلاد، وتمتد في أراضي كلٍّ من بتسوانا وأنجولا وزامبيا وزيمبابوي.

**المصادر الطبيعية:**

الألماس، والنحاس، واليورانيوم، والذهب، والرصاص، والقصدير، والليثيوم، والكاديوم، والتنجستن، والزنك، والملح، والطاقة المائية، والأسماك، ويوجد شكٌّ في وجود ترسيب للنفط، والفحم، وخام الحديد.

**البيئة:**

تعاني ناميبيا الندرة الشديدة في موارد المياه الطبيعية العذبة، والتصحّر، وصيد الحيوانات البرية الجائر، وتجريف الأرض الذي يؤدّي إلى فقد الأراضي الصالحة للزراعة.

**النظام الاقتصادي:**

يعتمد اقتصاد جمهورية ناميبيا اعتماداً كبيراً على استخلاص المعادن، وتجهيزها للتصدير، ويسهم قطاع التعدين بنحو ٨ ٪ من إجمالي الناتج المحلي، ولكن توفّر أكثر من ٥٠ ٪ من عائدات العملة الصعبة.

وتُعدّ ناميبيا رابعة الدول المصدّرة للمعادن غير الوقودية في قارة إفريقيا، وخامسة أكبر الدول المنتجة لليورانيوم في العالم. كما تعد من المصادر الرئيسة للألماس النقي في العالم. وتنتج، كذلك، كميات كبيرة من: الرصاص، والزنك، والقصدير، والفضة، والتنجستن، ونسبة العاملين بقطاع التعدين حوالي ٣ ٪ فقط من إجمالي السكان.

يعتمد نصف السكان على الزراعة، وتستورد ناميبيا، عادةً، نحو نصف احتياجاتها من الحبوب؛ فضلاً عن أنّ حالات نقص الغذاء، بسبب مواسم الجفاف والفيضانات، تمثل مشكلة صعبة في الريف.

وعلى الرغم من أن متوسط دخل الفرد في جمهورية ناميبيا مرتفع مقارنة بباقي دول المنطقة؛ فإنّ ذلك يخفي الخلل الكبير في توزيع الدخل.

يرتبط الاقتصاد الناميبي ارتباطاً كبيراً باقتصاد جمهورية جنوب إفريقيا؛ وقد رُبط الدولار الناميبي بالراند الجنوب إفريقي، فأصبحت قيمة ١ دولار ناميبي = ١ راند جنوب إفريقي.

وأدت زيادة إنتاج الأسماك، والتعدين الخاص بالزنك، والنحاس، واليورانيوم، والفضة، إلى زيادة النمو في الفترة من ٢٠٠٣م – ٢٠٠٧م، ولكن النمو في السنوات الأخيرة انخفض نتيجة لقلة عائد صيد الأسماك، والتكلفة العالية لاستخراج المعادن.

**أهم المنتجات الزراعية:** الدّخن، والذرة الصفراء، والفول السوداني، والعنب، والماشية، والأسماك.

**أهم الصناعات:** تعليب اللحوم، والأسماك، ومنتجات الألبان، والتعدين (الألماس، والرصاص، والزنك، والقصدير، والفضة، والتنجستن، واليورانيوم، والنحاس).

**ناميبيا.. نبذة تاريخية:**

احتلت جمهورية جنوب إفريقيا تلك المستعمرة الألمانية الواقعة في غرب إفريقيا، التي كانت تُسمّى: (جنوب غرب إفريقيا)، إبّان الحرب العالمية الأولى؛ وأشرفت على إداراتها بوصفها دولةً تحت الانتداب، حتى ضمّتها إليها تماماً بعد الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٩٦٦م شنّت منظمة جنوب غرب إفريقيا الشعبية الماركسية SWAPO حرباً لاستقلال المنطقة، التي سرعان ما سُمّيت (ناميبيا)، ولكن جنوب إفريقيا لم توافق على إنهاء إدارتها لهذا الإقليم، حتى عام ١٩٨٨م وفقاً لخطة سلام وضعتها الأمم المتحدة للإقليم كله، وجاء استقلال جمهوريةً ناميبيا عن انتداب جنوب إفريقيا في ٢١ مارس عام ١٩٩٠م.

وفي نوفمبر ٢٠٠٤م، انتُخب هيفيكيبونيي بوهامبا Hifikepunye POHAMBA رئيساً؛ ليحلّ محلّ سام نجوما Sam NUJOMA، الذي حكم البلاد أربعة عشر عاماً.

### النظام السّياسي:

نظام الحكم: جمهوري.

الدستور: تمّ التصديق عليه في ٩ فبراير ١٩٩٠م، وبدأ العمل به في ١٢ مارس ١٩٩٠م.

النظام القانوني: مستمد من القانون الروماني - الألماني، ودستور ١٩٩٠م، ولم تقبل ناميبيا السلطة الإلزامية لمحكمة العدل الدولية.

السنّ القانوني للانتخاب: الثامنة عشرة؛ لكلٍّ من الذكور والإناث.

### الهيئة التنفيذية:

أ - رئيس الجمهورية: هيفيكيبونيي بوهامبا Hifikepunye POHAMBA، منذ ٢١ مارس ٢٠٠٥م، حتى الآن.

ب - رئيس الحكومة: ناهاس أنجولا Nahas ANGULA، منذ ٢١ مارس ٢٠٠٥م حتى الآن.

ج - الحكومة: مجلس للوزراء يعينه رئيس الجمهورية؛ من بين أعضاء الجمعية الوطنية.

د - انتخاب الرئيس: يُنتخب بالاقتراع الشعبي المباشر، لفترة رئاسية مدتها خمس سنوات (وله الحقّ في مدة ثانية).

### الهيئة التشريعيّة:

تتكون الهيئة التشريعية من مجلسين:

١) المجلس الوطني: ٢٦ معقداً، ويُختار عضوان عن كلّ مجلس إقليمي، ومدّة العضوية ست سنوات.

٢) الجمعية الوطنية: تتألف من ٧٢ عضواً، يُنتخبون بالاقتراع الشعبي المباشر، مدة عضويتهم خمس سنوات.

الهيئة القضائيّة: يمثل السلطة القضائية المحكمة العليا، ويعين قضاتها رئيس الجمهورية، بعد توصية لجنة خدمة القضاء.

### من الأحزاب السياسية:

حزب كل الشعب APP، تحالف ترنهالي الديمقراطي DTA، الحركة الديمقراطية الوطنية من أجل التغيير NamDMC، الجبهة الديمقراطية المتحدة UDF، المنظمة الشعبية الماركسية لجنوب غرب إفريقيا SWAPO، وهو بزعامة هيفيكيبونيي بوهامبا Hifikepunye POHAMBA رئيس الجمهورية.

### المجتمع المسلم في ناميبيا:

تأخّر الإسلام في الدخول إلى ناميبيا، وذلك لعدة أسباب تاريخية، من أبرزها أنّ ناميبيا ظلّت قروناً تحت نير الاستعمار، حيث كانت مستعمرة ألمانية حتى الحرب العالمية الأولى، ووقع بعضها تحت انتداب جنوب إفريقيا، عانت خلاله من النظام العنصري، حتى نالت استقلالها عام ١٩٩٠م، إضافة إلى قصور الدعوة الإسلامية في الوصول إليها، فضلاً عن تبعثر سكانها في مساحتها الشاسعة.

ومعظم المجتمع المسلم في ناميبيا ينتمون إلى مجموعة (ناماكوا) العرقية، ومن المعتقد أنّ هذا - في الغالب - نتيجة للجهود التي يبذلها السياسي البارز بين ناماكوا (جاكوبس سلمان ضمير) الذي اعتنق الإسلام في ١٩٨٠م.

أول مسجد في البلاد أطلق عليه اسم: (مركز سويتو الإسلامي)، تمّ بناؤه عام ١٩٨٦م، ويقع في كاتوتورا، واعتباراً من مايو ٢٠٠٩م كان هناك اثنا عشر مسجداً في البلاد، ستة منها في العاصمة (ويندهوك).

أهمّ التحديات التي يواجهها المسلمون:

١ - التفرقة العنصرية التي سادت البلاد أيام حكم جنوب إفريقيا لناميبيا، ولا تزال رواسبها.

٢ - الحاجة إلى التنقل في المساحة الشاسعة للدولة.

٣ - قلة الإمكانات المادية

٤- التحدي التنصيري.

٥ - قلة الدعاة.

المراجع: موسوعة مقاتل الصحراء، موقع ويكيبيديا، مؤسسة آفران للدراسات والبحوث.

■ **المنتدى الإسلامي يختتم الحملة الطبية العاشرة (القلوب الصغيرة - لجراحة وقسطرة قلب الأطفال) في بنغلاديش:**

اختتمت حملة المنتدى الإسلامي الطبية العاشرة (القلوب الصغيرة - لجراحة وقسطرة قلب الأطفال) أعمالها في العاصمة البنغالية (دكا)، التي أقيمت في الفترة ١-٢٠١٥/٣/٧م، في المستشفى العسكري.

شارك في الحملة فريقٌ طبيٌّ سعوديٌّ متطوّع، مكوّن من (١٧) عضواً، ما بين أطباء استشاريين وجرّاحين وأخصائيين وفنيين وممرضين وإداريين، برئاسة الدكتور/ جميل العطا استشاري أمراض قلب الأطفال بمستشفى الملك فيصل التخصّصي بجدة.

بدأت الحملة بوصول الفريق الطبي إلى المستشفى العسكري بالعاصمة (دكا) مقرّ إقامة الحملة، واجتماعهم لمناقشة الحالات مع إدارة المستشفى، والكشف عليها وعرضها قبل إجراء العمليات.

بعد ذلك بدأ الفريق الطبي بالعمل، حيث تمّ - بحمد الله وتوفيقه - إجراء عمليات قلب لـ (٧٩) طفلاً، منهم (٢٧) طفلاً خضعوا لعمليات: (جراحة قلب مفتوح كبرى)، تنوّعت ما بين: (ثقوب في القلب، وانسداد في الصمامات، وتشوهات في الشرايين)، استمر بعضها ست ساعات. بينما خضع الـ (٥٢) طفلاً الباقون لعملية: (قسطرة القلب)، وبحمد الله - تعالى- تكلّلت جميع العمليات بالنجاح.

وفي نهاية الحملة قام الجميع بتفقّد حالات الأطفال الذين أُجريت العمليات لهم وعلاجهم، بغرفهم بالمستشفى العسكري، وأبدوا سعادتهم وهم يرون النجاح الباهر لمثل هذه العمليات الخاصّة لحملة (القلوب الصغيرة).

من جانبه أثنى الشيخ خالد الفواز رئيس مجلس أمناء المنتدى الإسلامي على نجاح هذه الحملة، واعتبرها نموذجاً حيّاً على نجاح المشاريع الإنسانية التي تتضافر فيها الجهود، وتتوحّد فيها الطاقات، مقدّماً شكره الجزيل، باسمه وباسم المنتدى، وباسم أُسر الأطفال، للفريق الطبي والإداري للحملة والداعمين، والمستشفى العسكري بدكا، على ما وفّروه من دعم؛ حتى نجحت هذه الحملة وحقّقت الأهداف المرجوّة.

وأكّد الفواز أنه، بعد فضل الله تعالى، ثمّ «هذه الجهود المتضافرة، وهذا التنسيق الراسخ والقوي والمتكامل، رأينا هذا المستوى من النجاح، وهذه الوجوه الصغيرة التي كانت بالأمس تعاني، هاهي ذي اليوم تتعافى لتعود إلى حياتها الطبيعية، تلعب وتجري وتضحك، تماماً كغيرهم من الأطفال الآخرين».

# المسلمون في نيجيريا أصبحوا

اليوم في أشدّ الحاجة من أي وقتٍ مَضى إلى تذكّر تاريخ زعمائهم وقادتهم الأوائل الذين أسّسوا دولة إسلاميّة قويَّة، قامت على أساسٍ من العدل والمساواة، إلى أن جاء الاستعمار وقضى عليها.

ثمَّ نهض واحدٌ من سُلالة سَلاطينها العِظَام، يَسعى ليُعيد شيئاً من بَريقها، فاغتالته يدُ الغَدْر في عام ١٩٦٦م، فأطفأت ذلك النُّورَ الذي بَدأ يشعّ في سماء أمّته، ذلكم هو: (أحمد بِلُّو سَرْدَوْنَا).. رجلُ الدولة والدعوة في نيجيريا.

# أحمد بِلُّو سَرْدَوْنَا .. رجلُ دولةٍ ودعوة

د. محمد الثاني عمر

باحث وداعية، ومدير مركز الإمام البخاري للأبحاث والترجمة - كنو - نيجيريا

هذا الرّجل «كان يَرى ضرورةَ جعل نيجيريا دولةً إسلاميَّةً بنصّ الدّستور، حتى لو أدّى ذلك إلى انفصال شمال نيجيريا من الكتلة الفيدراليَّة، وهذا ما أغاظ النَّصارى والملاحدةَ والصَّهاينةَ والدُّولَ الغربيَّة عامَّةً، وقد شاهدوا ملامح النَّجاح وتباشيرَ الانتصار للرَّجل، وأيقنوا أنَّه لو عاش طويلاً لما وقف أمامه شيءٌ يمنعه من تحقيق أهدافه، لذلك تحيَّنوا غَفلته، واغتالوه وأنصارَه من المدنيِّين والعسكريِّين»[1].

(١) الإلوري، آدم عبد الله: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، مكتبة

في هذه السُّطور سنُحاول إلقاءَ الضّوء على جانبٍ من حياته، لكي نذكّر الأمّة وقادتها بمآثر هذا الرّجل، وحبِّه لدينه ولأمّته، وغَيرته على شَعْبه وتُراث أجداده.

## أولاً: محطّاتٌ في حياة الحاجّ أحمد بِلُّو سَرْدَوْنَا[1]:

### مولده: وُلد سنةَ ١٩٠٩م[2].

نسبه: هو: أحمد بِلُّو بن الأمير إبراهيم بن أبي بكر بن الأمير محمد بِلُّو بن الشّيخ عثمان بن فودي[3].

### مرحلة الدراسة:

مكث أحمد بِلُّو في الكُتّاب سَنتيْن بقريته (رَابَا)، ثم أخذه أخوه إلى مدينة صكُتو، ليُلحقه بمدرسة ابتدائيّة هناك، فدرس فيها القرآن الكريم، والحساب، واللّغة الإنجليزيّة، والتّاريخ، لكنّه أبدى أسَفَه حين رَأى أنّ التّاريخ الذي يَدْرسه تاريخ (إنجلترا) بدلاً من تاريخ بلاده.

كان جادّاً في دراسته، غيرَ متهاونٍ بوقته، كان يَستيقظ بالليل ليُذاكر دُروسه تحتَ ضوء الفَانوس البَاهت، ما جعَله بعد خمس سنين يتخرَّج بتفوُّق، فجاء ترتيبُه الأوّل في فصله[4].

في عام ١٩٢٦م انتقل إلى كليّة تدريب المعلّمين في كاتسينا؛ ليتخرَّج بعد ذلك معلّماً[5].

### مرحلة العمل بالتدريس:

بعد التخرّج؛ عاد إلى مدرسته الأولى في صكُتو ليدرِّس بها اللّغة الإنجليزيّة والهندسة ومبادئ اللّغة العربيّة، وقد عُيّن أيضاً مسؤولاً رياضيّاً[6].

في عام ١٩٣٤م عيّنه السّلطان رئيساً لمركز (رَابَا) مسقط رأسه بعد وفاة ابن عمّه، فكان أصغرَ رئيسٍ من بين ٤٥ رئيساً، هم رؤساء مراكز إمارة صكُتو، إذ كان عمره آنذاك أربعاً وعشرين سنة، ودخل بذلك طَوراً جديداً في حياته الوظيفيّة والإداريّة[7].

كان أول عملٍ أقدم عليه بكلِّ جديَّة هو مكافحة الجهل والأميّة المنتشرة بشكل فاحش في قريته، حتى إنه لم يكن فيها من يَعرف القراءةَ والكتابةَ سواه، فأنشأ مدرسةً، تولّى التّدريس فيها بنفسه؛ إذ لا يُوجَد مَن يُدرِّس غيره، فلمّا تعلّم عددٌ من أهل القرية القراءة والكتابة فَتح فصولاً أخرى، وجعلهم مدرّسين فيها، حتى بُنيت أوّل مدرسة نظاميّة في القرية[8].

**كان طوداً شامخَ الذُّرى، وحِصناً من حصون الإسلام في تلك البلاد... هدى الله به من الضلالة مَن هَدى، وأسلم على يديه مئاتُ الألوف**

---

وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٥هـ، ص (٨١ – ٨٢).

(١) سطّر الحاج أحمد بِلُّو سَرْدَوْنَا كثيراً من سيرة حَياته، منذ أيّامه الأولى في قريته (رَابَا)، مُروراً بحياته العلميّة، إلى تولّيه منصب رئيس وزراء الإقليم الشمالي النّيجيريّ، وذلك في كتابه: (My Life حياتي): هو كتابٌ في (٢٦٤ صحفة)، مطبوعٌ باللُّغتين: (الإنجليزيّة، والهوسا)، ونحن سنعتمد عليه في سَرد أحداث هذه المرحلة لحياة سَرْدَوْنَا اعتماداً كبيراً؛ لكونه أصحَّ وثيقة تتحدّث عن حياته، ولا مانع أن نُشير إلى غيره في بعض الأحداث.

(٢) Paden, John N., Ahmadu Bello Sardauna of Sokoto, (1986) Zaria, Nageria, p 73 .

(٣) والدُه: كان والدُه إبراهيم رئيسَ مركز قريته (رَابَا)، وكان متديّناً، وكان شعراءُ هوسا يصفونه بأنّه: أمينٌ، وأنّه: (ذو القَرن المهاجم)؛ لبسالته في الدفاع عن مملكتهم أمام المستعمر. تُوفي والدُه وعُمره ستّ سنين.

جدّه الأول: السّلطان أبو بكر الذي يلقب بـ (عَتيق)، كان سلطاناً عادلاً، يكتسب لنفسه، ولا يأكل من المال العام، وكان عالماً باللُّغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة والتّاريخ الإسلامي.

جدّه الثاني: هو: محمّد بِلُّو بنُ الشّيخ المجدِّد عثمان بن فودي، الّذي وطَّد أساسَ الخلافة الإسلاميَّة بشمال نيجيريا، صاحبُ التّآليف الكثيرة، وكان أحمد بِلُّو يحلو له الانتسابُ إليه دائماً، ويَستلهم منه معاني العزّة والمجد الإسلاميّ.

انظر: سَرْدَوْنَا، أحمدو بِلُّو: سيرته الذاتية: My Life، ص (٢، ٨، ٧٠).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٨ ، ٢١ – ٢٥).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ٣٥ .

(٦) انظر: المصدر السابق، ص ٣٦.

(٧) انظر: المصدر السابق، ص ٣٩.

(٨) انظر: المصدر السابق، ص (٤٥ – ٤٦).

### التدرّج في المناصب القيادية:

في عام ١٩٣٨م انتقل أحمد بلُّو إلى (غُسَوْ)، وقد عيّنه السّلطان أبوبكر، الّذي كان يشغل منصب (سَرْدَوْنَا)[١] لإمارة صكتو في حكم السّلطان حسن، مشرفاً على ١٤ مركزاً في سَلطنة صكتو[٢]، وبهذا اكتسب مهارات إداريّة.

وأُعلنت الحرب العالميّة الثانيّة بعد تعيينه بسنة واحدة؛ فعُيّن ضابطاً للحرب في صكتو.

في عام ١٩٤٨م سافر أحمد بلُّو إلى لُندن لدراسة نُظم الحكم المحلّي[٣].

وفي عام ١٩٤٩م ذهب إلى العاصمة آنذاك (لاجُوْس) لأوّل مرّة حين توفّي وزيرُ صكتو، وأصبح العضو الثّاني الّذي يمثّل صكتو، وقابل كبار السّياسيّين البارزين: مثل الدّكتور (إنمندي أزيكوِي)[٤].

وحين بدأت إجراءات تعديل الدّستُور النّيجيريّ اجتمع الشّماليّون في (كدونا)، واختاروا مندوبَيْن منهم للاشتراك في هذا العمل المهمّ، وكان أحدهما: أحمدو بلُّو[٥].

وكان دائماً ضمن أيّ انتخاب لممثّلي الشّمال في مجلس النّواب الاتّحادي، أو أيّ مجلس آخر.

في عام ١٩٥٣م تقلّد وزارتَي تطوير المجتمع والحكومة المحليّة[٦].

وفي أوّل أكتوبر عام ١٩٥٤م أصبح أحمد بلُّو رئيساً لوزراء الإقليم الشّمالي، وظلّ في هذا المنصب حتّى اغتياله - رحمه الله-.

### ثانياً: نشاطه في العمل السّياسي مع وضوح الهَدف:

وجد سَرْدَوْنَا نفسه في العمل السّياسيّ دون أن يتطلع إليه؛ لكنه وجده عملاً ضرورياً في تلك المرحلة؛ لإعادة شيء من أمجاد أمّته التي فقدتها بسبب الاستعمار، فدخل الحقل السياسيّ بهدف واضح ورؤية سياسيّة استراتيجيّة.

نصّ الدّستور النّيجيري على تقسيم نيجيريا إلى: ثلاث حكومات للأقاليم الثّلاثة: الشّرقيّ، والشّمالي، والغربيّ، ولكلّ حكومة إقليميّة قاعدةٌ ورئاسة، وجميعُها مرتبطةٌ بالحكومة المركزيّة في العاصمة (لاجوس).

### الأحزاب السياسيّة الرئيسة[٧]:

١- حزبُ المؤتمر القوميّ النّيجيريّ: تأسّس عام ١٩٤٥م بقيادة الدّكتور إنمندي إزيكوي، المنحدر من قبائل إيبو، نال تعليمَه في أمريكا، كان الحزبُ في بدايته قوميّاً، قائماً على محاربة الاستعمار الأوروبي، وتفضيل السّياسة الأمريكيّة على سياسة المستعمر الأوروبي، ويتبنّى التّسامُح الدّيني والتّنويه بأمجاد الأسلاف المسلمين في غرب إفريقيا عموماً، ونيجيريا خصوصاً؛ ما جعل للحزب شعبية عند كثير من شباب المسلمين في الشمال، فضلاً عن أبناء القبائل الأخرى شرقاً وغرباً، استطاع الحزب أن يصل إلى حكم الإقليم الشّرقيّ برئاسة هذا الزّعيم القومي (د. أزيكوي).

٢ - حزبُ جماعة العمل Congress Group:

تأسّس عام ١٩٥١م بقيادة رجل مسيحيّ من قبائل اليوربا يُسمّى: (أُوبَافيمِي أُولُوو)، وهو حزبٌ قائم على المذهب الرّأسمالي والمبادئ الماسونيّة، وتَغلب عليه - حَسْب وصف الشّيخ آدم الإلوري - النّزعةُ القبليّةُ والعصبيّة الدينيَّة والفكرةُ النّفعيّة.

يتكوّن أعضاؤه من: قبائل اليوربا المسيحيّين، والمسلمين المغلوب على أمرهم بالنّعرة القبليّة والدّعاية المغرضة، استطاع الحزب أن يفوز بحكم الإقليم الغربيّ برئاسة هذا الرّجل الماسوني.

٣ - حزب الشّعب الشّمالي: تأسّس ١٩٤٩م بقيادة أحمد بلُّو سَرْدَوْنَا، تنحصر شعبيّتُه في أبناء الشّمال، بالأغلبيّة المسلمة والأقليّة المسيحيّة، وهو حزب قائمٌ على المحافظة، واحترام العادات والتّقاليد، وتوطيد الصّلة بالأمراء التّقليديّين،

(١) منصب (سَرْدَوْنَا) يعني: قائدَ حرس السّلطان، أو حاملَ السّيف الشّجاع، وهو منصبٌ لا يكون إلا لأبناء السّلاطين أو الأمراء، وحاملُ هذا اللّقب في العُرف يُعتبر قائدَ قوّات الجيش أيّام الحروب، انظر: My Life، ص ٤٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٥١.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٦٣ - ٦٤).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٦٤، ٦٥).

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ٦٨.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص ٩٦ .

(٧) انظر: الإلوري، آدم عبدالله: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، (بدون مكان الطبعة)، ص (١٥٧ - ١٥٨).

**كان يُحزنه جدّاً ما يَراه من اختلاف بين بعض البلاد الإسلاميّة في الشّرق العربي، فرأى أن يقوم بعملٍ يُعيد إليها شيئاً من الوئام والمحبّة عن طريق العمل المشترك بينها**

والانحياز إلى الشرق العربي والإسلامي، وقد فاز الحزب بحكم الإقليم الشمالي برئاسة أحمد بلّو.

### ثالثاً: جهوده لتوطيد العلاقة مع الشّرق العربيّ والبلاد الإسلاميّة:

ظلّ أحمد بلّو – رحمه الله – يُنادي منذ الساعة الأولى بالانفصال عن الموكب الغربيّ إلى موكب الشرق العربي، غيرَ أنّ بعض أنصاره عارضوه، ورأوا أنّ في ذلك توريطاً للإقليم في أزمات اقتصاديّة متضاعفة؛ لانعزاله عن شواطئ المحيط الّتي يُشرف عليها الجنوب الشّرقي والغربي.

لكن أحمد بلّو ظلّ محتفظاً بهذه الفكرة، وكرّس جهودَه في تقوية إقليمه ثقافيّاً واقتصاديّاً، وتهيئة نهر النّيجر للملاحة، وإنشاء الميناء والمحطّة الكبرى للكهرباء على ضفّته؛ تفادياً لما قد يحدث من تطوّرات، لذلك كلّه ظلّ يلتزم حدود إقليمه، ويكتفي بما يَكتسبه من الأصوات الانتخابيّة فيه، ولا يَطلب شيئاً من إقليم آخر[1].

انتقلت همّتُه في العمل الإسلاميّ إلى سائر أرجاء العالم الإسلاميّ، وكان يُحزنه جدّاً ما يَراه من اختلاف بين بعض البلاد الإسلاميّة في الشّرق العربي، فرأى أن يقوم بعملٍ يُعيد إليها شيئاً من الوئام والمحبّة عن طريق العمل المشترك بينها، فقام بجولة إلى بعض البلاد العربيّة والإسلاميّة، مثل: (النّيجر وغينيا، والسّنغال – مع أنّ رئيسها آنذاك ليس مسلماً إلاّ أنّ أغلبية الشّعب مسلمة –، وغامبيا، والمغرب، والجزائر، وليبيا، وتُونس، واليمن، والعراق، والكويت، والسّعودية)، وتحدّث إلى زعمائها وقادتها حول فكرته، وكان معه الشّيخ أبوبكر محمود جومي، ونتج عن هذه الجولة فكرةُ مؤتمرٍ يُعقد في الحجّ سنة ١٩٦١م.

### مؤتمر ١٩٦١م بجدّة:

انعقد المؤتمر في القصر الملكي بجدّة في ٢٩ مايو ١٩٦١م، وترأّس الجلسة وزيرُ خارجيّة السّعوديّة فيصل بن عبدالعزيز، وكان (سَرْدَوْنَا) أوّلَ المتحدِّثين في هذا الاجتماع؛ فتطرّق إلى ضرورة تسوية النزاعات السياسية بين الدول الإسلامية، والتعاون في سبيل نشر الإسلام، والعمل على النهوض ببلدانهم اقتصاديّاً، وعُقدت جلسة أخرى برئاسة الملك سعود بن عبدالعزيز، وكان (سَرْدَوْنَا) فيها أيضاً أوّل المتحدّثين بعد الكلمة الافتتاحيّة من فخامة الملك، وكرّر في حديثه أهمّ الأفكار التي طرحها سابقاً، ثمّ في النّهاية قدّم دعوةً خاصّةً للملك لزيارة نيجيريا.

وبرغم أنّه كان المؤتمر الأوّل من نوعه، ولم يحظ بتحضير جيّد، فإنّ المؤتمرين استطاعوا أن يخرجوا ببعض القرارات المهمَّة، منها: التعاون السياسيّ بين الدول الإسلامية، ونشر الإسلام على هَدْي الكتاب والسنّة، ومساعدة الشّعوب المسلمة المناضلة ضدّ المستعمرين في الجزائر وفلسطين، وتأسيس (الجامعة الإسلاميّة) بالمدينة النبويّة.

هذا النجاح الذي حقّقه أحمد بلّو سَرْدَوْنَا مهّد السبيل لدعوته إلى وحدة العالم الإسلامي، فكلّما جاءت مناسبةٌ كان (سَرْدَوْنَا) يقوم بزيارة قادة العالم الإسلاميّ، ويقدّم النّصائح الّتي يمكن أن تؤدّي إلى توحيد العالم الإسلامي، وتحقّق الأمن

(١) انظر: الإلوري: الإسلام في نيجيريا، ص ١٦٠.

في ربوع العالم أجمع[١].

وقد ظل يحجّ كلّ عام بعد حجّته الأولى ١٩٥٥م، وتوطّدت علاقته بالمملكة العربيّة السّعوديّة، وببعثات الحجّ من بلادٍ إسلاميّة مختلفة[٢].

## رابعاً: جهوده في دعم التّعليم الإسلاميّ:

كان الهدف عند (سَرْدَوْنَا) أن تحظى المدارس القرآنيّة باهتمام خاصٍّ، وأن يتمّ تنظيمُها حتّى تؤدّي دورَها في نيجيريا الحديثة؛ لذلك قرّر أن يقدّم إليها دعماً يوازي ما تقدّمه حكومة الاستعمار إلى المدارس التنصيرية، وما تجده المدارس الخاصّة من دعم؛ لذلك رأى أن يعمل بمساعدة العلماء لإيجاد حلٍّ مناسبٍ لهذه المسألة.

وقد قدّم (سَرْدَوْنَا) هذه الخطّة في أثناء دعايته الانتخابيّة، وأعلن على الملأ أنّه سوف يقوم بدعم المدارس القرآنيّة في حال فوزه بانتخابات ١٩٥٩م.

علاوةً على ذلك؛ فإنّه كان يرى أن يسمو التعليم العربيّ والإسلاميّ في المدارس الحكوميّة، وقد أصدر (سَرْدَوْنَا) أوامرَه لوزارة التعليم أن تقوم بإنشاء لجنة تنظيم الدّراسات الإسلاميّة[٣].

قامت الحركاتُ السِّياسيّة بدورٍ مُهمٍّ في إدخال إصلاحات كثيرة في ميدان التعليم عامّة، وفي ميدان التعليم العربيّ والدّينيّ خاصّة، وقد ظهرت نتائجُ ذلك عندما تمّ الاستقلال؛ فقد أُنشئت مدارس كثيرة، وأقبل النّاس يستزيدون منها، وظهر اعتناءُ الحكومة بتدريب مدرّسي اللّغة العربيّة والدّين، وتوجهت طائفةٌ منهم للدراسات العُليا، واشترك بعضهم في سياسة التعليم بالوزارة، وبدأ مدرّسو العربية يتمتّعون بقسطٍ من المساواة بينهم وبين مدرسي الموادّ الأخرى في الرواتب وفُرص التّرقية وغيرها، وأقبلت الحكومة على إرسال البعثات التعليميّة إلى البلاد العربيّة وغيرها للتخصّص في العلوم العربيّة[٤].

## خامساً: جهودُه في خدمة الإسلام:

دخل على أحمد بلّو يوماً الشّيخُ أبو بكر محمود جومي رحمه الله، فاشتكى أحمد بلّو إليه أنّه أنفق أموالاً طائلةً في سبيل النُّهوض بحزبه السِّياسيّ؛ حزب شعب الشمال Northern Peoples Congress، NPC ، كما أنّ الحزب أيضاً ينفق مثل هذه الأموال إلى أن وصل إلى حَدِّ الإفلاس، لكنه يرى أنّ أعضاء الحزب بالرغم من ذلك لا يعملون بإخلاص.

أدرك الشّيخ أنّ الأمر لم يكن يتعلّق بالأموال الّتي يُنفقها أحمد بلّو، أو ينفقها الحزب، وأنّ قصد أحمد بلّو اختلاف الهدف بينه وبين باقي أعضاء حزبه، فعندها قال: «بدلاً من إنفاق هذه الأموال على الحزب السّياسيّ بدون طائل، فلماذا لا تَقوم بإنفاقها في عَملٍ يُرضي عنك النّاس، ويُرضي عنك خالقُك؟».

فسأله أحمد بلّو: «ماذا تعني بذلك؟».

فأجابه الشّيخ قائلاً: «بدلاً من أن تحشر هذه الأموالَ في أمور السّياسة، فلو أنّك أنفقت عُشُرها لنشر الدّين لأكسبك ذلك أتباعاً، وفي الوقت نفسه قدّمت خدمةً مباشرةً لدين ربِّك».

فسكت أحمد بلّو ولم يَقل شيئاً، وأدرك الشّيخ أنّ هذه الكلمات قد وجدت سبيلَها إلى قلب الرّجل، وصارت مفتاحاً له للدّخول في ميدان خدمة الدّين ونشر الإسلام.

وكان ما توقّعه، إذ بدأ أحمد بلّو يُقدّم للعلماء والدّعاة دعماً ماديّاً كلّما خرج لجولة سياسيّة، ثمّ توجّه إلى بناء المساجد في الأرياف ليتسنّى للنّاس أن يُصلّوا جماعةً، وكان النّاس يشكرونه عليها ويدعون له، ويزيده ذلك عزيمةً واستمراراً، ثمّ زادت عزيمتُه حتى بدأ يخرج لا لجولة سياسيّة أو دعائيّة كما اعتاد أن يفعل سابقاً، وإنما لجولة دعويّة كلّما وجد فرصةً لذلك، وكان يقوم بكفالة الدّعاة لتعليم النّاس الدّين، ويدفع إليهم المكافآت من راتبه الخاصّ[٥].

ويمكن أن نشير إلى معالم بارزة تظهر فيها خدمته للإسلام، وهي:

### أ - تأسيس (جماعة نصر الإسلام):

لاحظ الشّيخ أبو بكر جومي - رحمه الله - أنّ عدد الدّعاة

---

(١) انظر: جومي أبو بكر محمود: Manufata (سيرة ذاتية)، جمعها ونسقها د. إسماعيل أبو بكر سيغا، (٢٠٠٢م)، ص (١٢٢ - ١٢٣).

(٢) انظر: Paden, John N. Ibid, p. 281

(٣) انظر: Paden. Ibid, pp.299, 300

(٤) غلادنشي، شيخو أحمد سعيد: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، (بدون مكان الطبعة)، ص ٨٩.

(٥) انظر: جومي: المصدر السابق، ص ١٢٤.

لديهم غيرُ كاف للقيام بالدّعوة والتعليم، فاقترح على رئيس الوزراء تأسيس منظّمة تقوم بهذه المهمَّة، فَقَبل الاقتراح.

عُقد أوّل اجتماع لهذا الشّأن في منزل أبي بكر إمام، وحضره (سَرْدَوْنَا) مع مجموعة من العلماء ومسؤولي الحكومة، وأسّسوا هذه المنظّمة باسم: (جماعة نصر الإسلام)، كان أوّل أمين عام لها هو: (أبو بكر إمام)، وعَيّنوا لها موظّفاً يقوم بتسيير أعمالها، وهو: (مالم لَبّيك بلُّو) من إلورن، وتبرّع الشّيخ جومي بمنزله ليكون مكتباً خاصّاً للمنظّمة[1].

### ب - دعوة غير المسلمين إلى الإسلام:

كانت سنة ١٩٥٥م أوّل سنة يحجّ فيها أحمد بلُّو سَرْدَوْنَا، وتأثّر كثيراً بمشاهد الحجّ والحجيج، وازداد توجُّهه الدّينيّ، وشعر بضرورة دعوة غير المسلمين في نيجيريا إلى الإسلام، لا سيّما الوثنيّون منهم[2].

ويصف هو بنفسه ثمرات الجهود التي قام بها في نشر الإسلام بين أوساط الوثنيِّين في نيجيريا فيقول: «وفي نيجيريا: أعمل وبعض الإخوة المسلمين بنشاط وجدٍّ في حقل الدّعوة والهداية بين هؤلاء الوثنيِّين، وصادفنا - والحمد لله - نجاحاً كبيراً، أقبل الكثيرون منهم على الإسلام، يدخلون في دين الله أفواجاً كلَّ يوم، وفي كلِّ جزء من أجزاء بلادنا، ونحن نشكر الله كثيراً، فبعونه وتوفيقه، ورغم المشاغل الأخرى التي أرادها لنا - سبحانه-، فقد آتت مجهوداتُنا ثمارَها، واعتنق الإسلام من هؤلاء الوثنيِّين ١٧٦٩٣٠ في الفترة من ديسمبر ١٩٦٣م إلى مارس ١٩٦٥م.

وليس هذا كلّ شيء؛ فقد اعتنق الإسلام أيضاً بعض المسيحيين، ومن بينهم شخصياتٌ لها أهميتها في المجتمع»[3].

وكان الشّيخ عطية محمّد سالم - رحمه الله- شاهدَ عَيان لتلك الجهود، يومَ أن كان عضواً في بعثة للجامعة الإسلاميّة إلى غرب نيجيريا، يتقدّمهم العلامة الشّهير والمفسِّر النِّحرير الشّيخ محمّد الأمين الشّنقيطيّ رحمه الله، فقد سجّل الشّيخ عطيَّة شهادتَه عن تلك الجهود، فقال رحمه الله: «وقد شهدنا

(١) انظر: جومي: المصدر السابق، ص (١٢٥ - ١٢٦).

(٢) انظر: John N. Paden: Ahmadu Bello Sardauna of Sokoto, pp. 281, 281

(٣) الشهيد أحمدو بلُّو سَرْدَوْنَا، كتيب فيه مجموعة مقالات عنه، أصدرته رابطة العالم الإسلامي عقيب اغتياله- رحمه الله-، ص ٢٠.

**كان (سَرْدَوْنَا) يُنفق كلّ ما في يديه للدّعوة إلى الله مع حبّه الجمّ للمتديّنين**

مهرجاناً شعبيّاً طارت له القلوب فرحاً، واهتزّت له المشاعر إعجاباً، وكدنا نكذّب أنفسنا فيما نرى حين تقدّم ممثّلو سبعة آلاف شخص قد دخلوا في الإسلام من جديد، وكدنا نخال أنفسنا في القرون الأولى»[4].

ويقول الشّيخ أبو بكر جُومي: «أعتقد أنّه في المرحلة الأخيرة من حياته أصبح لا يهتمّ بشيء من هذه الحياة الدّنيا، وإنما توجّهت همّته للآخرة، وهذا قد أعطاه دفعاً قويّاً ونشاطاً زائداً عند خروجه للدّعوة إلى الله، وفي يوم من الأيام في إحدى جَولاته الدعويّة في قرية (قارَيي) في كَنَو، تحدَّث طويلاً أمامَ مجموعة من الوثنيِّين فلم يُنه حديثه حتى أسلم أكثرُ من ألف شخص.

كان (سَرْدَوْنَا) يُنفق كلّ ما في يديه للدّعوة إلى الله مع حبّه الجمّ للمتديّنين»[5].

### ج - مشاركتُه في تأسيس منظّمة (رابطة العالم الإسلاميّ):

كانت لقاءاتُ أحمدو بلُّو سَرْدَوْنَا بزعماء وقادة العالم العربي والإسلامي قد أسفرت عن تأسيس (رابطة العالم الإسلاميّ)، فقد تجمّعوا في مكّة في موسم عام ١٩٦٢م، وتأسّست هذه الرّابطة التي كان (سَرْدَوْنَا) أصلَ فكرتها، وقد اختُير نائباً لرئيسها، ثمّ عضواً في المجلس التنفيذي، وعيّن الشّيخَ أبابكر جومي ليَنوب عنه[6].

(٤) المصدر السابق، ص (١٠٢ - ١٠٣).

(٥) جومي: Manufata,، ص ١٣٢.

(٦) انظر: جومي: المصدر السابق، ص ١٢٣.

وقد قَبل أحمد بلُّو سَرْدَوْنَا هذا الشَّرف شاكراً، وتعهّد بالتجاوب والتعاون مع الرّابطة على نشر الإسلام، وإن لم يكن قد أسهم بالإنفاق على مسيرة أعمال الرّابطة؛ فقد تعاهد ببذل نفسه حسبما جاء في رسالته: (إلى سيادة الأخ الأمين العام... ولستُ أملك إلاّ أن أؤكّد لكم تأييدي الكامل الذي لا حَدَّ له، وعهدي على التعاون الوثيق في سبيل نشر رسالة الإسلام العظيم، ولن أكونَ في ذلك إلاّ مؤدِّياً أمانةَ الله في عُنق كلِّ مسلم، وماضياً على أثر آبائي وأجدادي، أعتزّ بأنّ تاريخهم في بلادي اقترن دائماً بتاريخ الدّعوة الإسلاميّة...)، الرّسالة بتاريخ ١٢ ذي الحجّة ١٣٧١هـ (١٦ مايو ١٩٦٢م)[١].

كان - رحمه الله - قد أدّى قبل اغتياله بأشهر قليلة عام ١٩٦٥م خطاباً تاريخيّاً في مؤتمر الرّابطة، يظهر فيه حماسُه لهذا الدِّين، ولقضايا الأمّة، وما يحمله بين جوانحه من همّ نشر الإسلام، والعمل على إبلاغه للبشريَّة، تحدَّث فيه عن نيجيريا، والمسلمين بها، ومشكلاتهم، وما يصبو إليه من رفع مُستواهم علمياً وثقافياً، وما تواجهه أمَّتُه من خطر التنصير، وما يقوم به هو وإخوانه من مواجهة التحدّيات، ونشر الإسلام بين الوثنيِّين، وأشار في خطابه أيضاً إلى أنّ الإسلام في ذاته دائماً وأبداً قوي، وإنما الضعف فينا نحن المسلمين، ويأتي الضّعف أحياناً من عدم التعاون بيننا على البرّ والتّقوى كما دعانا إليه الإسلام، وعدم التنظيم لأعمالنا، وطَرَح بعضَ المقترحات أمام الرَّابطة؛ من ذلك مشروع جمع تبرّعات، وإقامة صندوقٍ خاصٍّ للإنفاق على تعليم المسلمين، ونشر الإسلام الحنيف، وحمل رسالته الكريمة إلى قلوب لم تعرف نورَه بعد، واقترح أن يُسمّى المشروع: (شُعلة الإسلام)[٢].

## سادساً: صلته برائد الدّعوة السّلفيّة في نيجيريا: الشّيخ أبوبكر محمود جومي (ت ١٤١٢هـ):

في عام ١٩٥٧م عَيَّن أحمد بلُّو الشّيخَ أبا بكر جومي مسؤولاً عن شؤون الحجّاج، وهمَّ قبل ذلك أن يجعله سفيراً له فيها، إلاّ أنّ الشّيخ رفض قبولَ المنصب[٣].

كان الشّيخ أبو بكر محمود جومي يرى أنّ (سَرْدَوْنَا) إنسانٌ يبحث دائماً عن الحقّ والصّواب، ما جعل الشيخ يصارحه بالحقيقة، ويبادله رأيَه دون خوف أو وجل، فقد يَقبل منه، وربما يختلفان في الموقف، بل قد يُغضبه الشّيخ أحياناً بصراحته المتناهية، يقول الشّيخ: «فإذا رأيت الغضبَ منه في مثل هذه الحالة أتركه، لكنّه في الغالب يبحث عنّي مجدَّداً، فقد يعتذر إليّ، أو يتناسى الموضوع، ويفتح موضوعاً آخر للنِّقاش، ثم لا يعود إلى الأول نهائيّاً»[٤].

وقد أصبح الشّيخ أبو بكر جومي بهذا مستشاراً خاصّاً لرئيس الوزراء، بالإضافة إلى عمله رئيساً للقضاة، وهذا ما قَوَّى العلاقةَ بينهما، وخَبر الشّيخ جومي هذه الشّخصية الكبيرة عن كَثَب، وصار ممّن يحقّ له أن يُدلي بشهادته حولها، يقول: «كنتُ دائماً معجَباً بالطّريقة التي يسيِّر بها شؤونه اليوميَّة، كان إنساناً سهلاً مع علوِّ مكانته الاجتماعيَّة، كان ناصحاً لكلّ مَن استنصحه، وكان مهدِّئاً للنّاس كلّما شَعر أنَّ خوفاً ما ينتابهم»[٥].

ويكشف الشّيخ جومي كيف كان أحمدُ بلُّو فخوراً بأمّته وتاريخها، وعاملاً من أجل نهضتها وَرُقيِّها، فيقول رحمه الله: «من الصّعب جداً بيانُ مدى حبِّ (سَرْدَوْنا) للإقليم الشّمالي، ورغبته في قيادة أمّته إلى الرُّقي، لا سيما بالمقارنة إلى باقي أقاليم البلاد، كان دائماً فخوراً بتاريخ أمّته في هذه البلاد، وأنّ في تاريخ أمّته علماءَ ألَّفوا كتباً مُهمَّة في مجالات مختلفة من العلوم، في وقت كان الناسُ في بعض بلاد العالم يعيشون جاهليّةً لا يعرفون شيئاً. ومن دواعي الفخر عنده أنّ الكشّافة الغربيِّين لم يكونوا هم الذين اكتشفوا وجود أمَّته، كما يفخر بأنّ أجداده هم الذين أسّسوا هذه البلاد من سنين طويلة. فغَيْرتُه ورغبتُه في نهضة بلاده وأمّته ليست لأغراض سياسيَّة، بل كان يشعر بأنّ النّهوض بأمّته في الشّمال مسؤوليّةٌ على كاهله... وهذا الّذي جعله يعمل بجدٍّ، دون توقُّف، الأمرُ الذي بزّ به سائر النّاس، ومن أجل ذلك لا ينام في اللّيل إلاّ ما لا يجاوز أربعَ ساعات أو أقلّ»[٦].

## سابعاً: بوادرُ التّوتّر بين سياسة الشّمال والجنوب:

لقد صوّر الكاتبُ النّيجيريّ الشّيخ آدم عبد الله الإلوري - رحمه الله - ما وقع آنذاك بين الشّمال والجنوب من توتُّر

(١) الإلوري: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، ص (٨٢ - ٨٣).

(٢) انظر: الشهيد أحمدو بلُّو، ص (١٥ - ٢٦).

(٣) انظر: جومي: المصدر السابق، ص ١١٦.

(٤) انظر: جومي: المصدر السابق، ص ١١٨.

(٥) جومي: المصدر السابق، ص (١١٦ - ١١٧).

(٦) جومي: المصدر السابق، ص ١٢٠.

سياسيّ عميق؛ كان سببُه النّعرة القبليّة والدينيّة، واختلاف الاتّجاهيْن في السّياسة الدّاخليّة والخارجيّة، فقال رحمه الله:

«لكنّ السّاسة الجنوبيِّين لم يتركوا الشّمال لأهله، كما تركوا لهم الجنوب، ومع ذلك ظلّ أحمد بلّو هادئاً ضابطَ النّفس لم يحرّك ساكناً، ولم يغيِّر سياستَه.

وفي هذه الأثناء؛ كان التّوتّر شديداً بين الشّرق والغرب، يعني: الزّعيم إزيكوي والزّعيم أولوو[1]...

وقد كان التّوتّر شديداً بين الغرب والشّمال لما كان عليه الزّعيم الغربي من التعصّب القَبَليّ والدّينيّ معاً، وإيقاظ النّعرة النائمة بين اليَرباويِّين والفُلاَّنيِّين... وقد حمله هذا التعصّب على بُغض العرب والمسلمين جميعاً، وكان أوّلَ مَن استدعى اليهود إلى إقليمه وأشركهم في مؤسّساته، ليوازنَ بذلك كفّةَ أحمد بلّو الذي كان يَستميل العربَ ويواليهم، ويحضر مؤتمرهم كلَّ سنة في مكّة.

وعبثاً بَذل هذا الزّعيم اليَرَباويّ أقصى جُهده للوصول إلى رئاسة الحكومة المركزيّة، ولمّا خاب سعيُه، ويئس من رصيد التصويت والاقتراع، صار يبيِّت السُّوء ويَحيك المؤامرة لقَلْب الحكومة المركزيّة على الحاج أبي بكر تَفَاوَا بَليوَا، وأظهر الله شرّه، وقُبض عليه، وحُوكم، وأُدين بالجريمة، وقُضي عليه بالسّجن عشر سنين، ومن هنا انقسم حزبُه (جماعة العمل) على قسمين:

قسم: يتحمّس لهذا الرّئيس المعتقل في السّجن.

وقسم: يتحمّس لنائبه صمُويل أَكَنْتُولا، الّذي انحاز مع القسم الأكبر من قَبائل يُوربا إلى مُوالاة الإقليم الشّمالي، فاعتبره القَبَليُّون خائناً لقبيلته؛ لأنّه خضع لقبائل هوسا، كما اعتبره الصَّيلبيُّون خائناً لدينه؛ لأنّه خضع للمسلمين، فصاروا يبيّتون له السُّوء.

فغيّر الشَّرقيُّون سياستَهم فجأةً، وجعلوا يتظاهرون بالتعاطف مع قضيّة الزّعيم اليرباويّ المعتقَل، لكسب موالاة أتباعه من اليَرباويِّين، حتى يستطيعوا أن يُشكّلوا جبهةً واحدةً لتنفيذ قَلْب الحكومة حسب إرادة الزّعيم اليرباويّ المعتقَل...

وفي هذه الأثناء جاء دورُ الانتخاب الإقليمي، واكتسح الحزب الموالي للشّعب الشّمالي تحت رئاسة أَكَنْتولا أغلبَ الكراسي، فعاد إلى رئاسة الحكومة، فأوعَزت قبائلُ إيبُو إلى أنصارهم في الأقاليم أن يُعلنوا اعتراضَهم على نتيجة الانتخابات بأعمال العُنف، وإثارة القلق والاضطراب، كنَسْف المباني والسّيارات الخاصّة، والتمثيل بمؤيّدي خصومهم على مرأى القوى البُوليسيَّة التي تشكِّل الأغلبيّة من قبائل إيبو، توهيناً لقوّة الحكومة، وتمهيداً لتنفيذ الانقلاب، وتوسُّلاً لكسب تأييد الشّعب، وتبريراً لإقامة الحكم العسكريّ بعد إسقاط الحكومة الإسلاميّة كما يسمُّونها»[2].

## ثامناً: الجريمة النَّكراء:

كان أحمد بلّو سَرْدَوْنَا يستعدّ للذّهاب إلى العمرة فيما بين ٣-١١ من شهر يناير ١٩٦٦م، لكنّه بدأ بزيارة مَسقط رأسه (رابَا) في صكتو لتوديعهم، وذلك في شهر ديسمبر عام ١٩٦٥م، وقد حذّرته الاستخبارات من هذه الرّحلة، وطالبوه بإلغائها، وإلغاء رحلته إلى (وُرْنو)؛ لما لديهم من معلومات استخباريّة بأنّ هناك تهديداً باغتياله واغتيال عديد من وزرائه، لكنّه أصرّ على الرّحلة[3]، ولما زار ضريح جَدِّه السّلطان أبي بكر عَتيق، قال لمن معه: «ادفنوني هنا...»؛ مشيراً إلى بُقعة بجوار قَبر السُّلطان[4].

ثمّ قبل أن يُسافر إلى المملكة وصلته رسالةٌ مكتوبةٌ بإنجليزيّة ركيكة تُستعمل عادةً من قبيلة إيبو، ما أعطى المطّلعين عليها انطباعاً بأنّ كاتبها من قَبيلة (إيبو)، وكانت الرّسالة تحمل تهديداً بقتله وقتل رئيس الوزراء النّيجيري الحاجّ أبي بكر تفاوا بليوا... لكن بعض المرافقين لسَرْدَوْنَا قَلَّل من مصداقيّة الرّسالة، إلا أنّ (سَرْدَوْنَا) قال: «لا، ربّما يكون هناك أحدٌ يريد أن نبقى أحياء...»، فسلّم الرّسالة إلى رجال الأمن ولكنّهم لم يفعلوا شيئاً تجاه هذا التّهديد[5].

## عملية اغتياله:

بعد رحلة العمرة؛ كان قائد اللّواء الأوّل لكتائب الشّمال النيجيريّ صمويل إديمولغون على علم ومعرفة تامّة بخطّة الانقلابيّين، وحاول مع (سَرْدَوْنَا) بأن يتحرّك ضدّهم، ويطلب من رئيس الوزراء النّيجيري أن يُصدر أمراً بالقبض عليهم

(١) وكلاهما مسيحيّان.

(٢) الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ص (١٦٠ - ١٦٢).

(٣) Paden, ibid, p. 653.

(٤) Paden, ibid, 654.

(٥) انظر: paden, ibid 654.، وجومي، ص ١٣٢.

لكـن دُون جـدوى، لـم يفعـل (سَـرْدَوْنَا) شـيئاً، وحاول اللّـواء مع طبيبه الخاصّ حتى يكلّمه ويُفهمه خطورةَ الوضـع، لكن مع ذلك لم ينجح[1].

في أواخر شـهر رمضـان عام ١٣٨٥هـ الموافـق ١٥ يناير من عام ١٩٦٦م في منتصـف اللّيل هاجم الانقلابيّون المجرمون منزلَ أحمد بلّو سَـرْدَوْنَا، وقتلوا عدداً من حُرّاسـه من الشّرطة وغيرهم، وقتلـوا كلّ من صـادفوه من المدنيّين في مسـرح الحـدث في ذلك الوقت، حتّى نفَذُوا إلى غرفة نوم (سَرْدَوْنَا)، ووجدوه جالساً وبإزائه إحدى زوجاته (حفصـة)، فأفرغوا عليه سيلاً من الرّصاص وعلى زوجته، فأَرْدوهما قَتيلَيْن، ثم أشعلوا النّيران في المنزل.

وفي العمليّة نفسـها اغتالوا عدداً من أنصـاره، وعلى رأسـهم رئيـس الـوزراء النيجيري أبو بكر تَفاوا بَليـوا، ورئيس وزراء الإقليم الغربي صموئيل أَكْنتولا، واللّواء زكريا مَيْمَلاري، واللّواء إديموليغون، والعقيـد محمد قَـرُو، ويعقوب فام، وغيرهم من الموالين لسَـرْدَوْنَا من المدنيين والعسكريّين في مختلف الأقاليم.

وقد هـرب رئيسُ الجمهوريـة (د. إزيكوي) إلـى لندن، ومن هنـاك أملى على نائبـه أن يسـلّم الحكومة إلى الجيش رَيثما يعود الاسـتقرار إلى البلاد، وكان القائدُ الأعلى لقوّات نيجيريا رجلاً من قبيلة إيبو يُسمّى: (إرونسي)[2]، وهكذا تمّ لهم ما أرادوا في انقلاب دام، راح ضحيّتَه رجالٌ شرفاء مخلصون لدينهم وأمّتهم.

### الدّافع الرئيس لهذه الجريمة:

يذكر الشّيخ أبو بكر محمود جومي أنّ الجنرال (إنْزيغُو) قائد تنفيذ عمليّة اغتيال (سَرْدَوْنَا) ذكر له مسوّغات جريمته كالآتي:

١ - أنّ (سَـرْدَوْنا) يخطّط للقيام بالجهاد المسـلّح ضـدّ غير المسلمين في نيجيريا؛ لإكراههم على الإسلام، وأنّه استورد أسلحةً من الدّول العربيّة لهذا الغرض.

٢ - أنّه وأنصـارَه كانوا ظَلَمةً وسُرّاقاً، ينهبون الأموال العامّة، وأنّهم خَوَنة للبلاد.

٣ - أنّـه يُعطي الامتيازات في الوظائف الحكوميّة في الشّـمال لأبناء الشّمال دون غيرهم.

٤ - أنّ الشّـماليين قـد سـيطروا على الوظائف فـي الحكومة الفيدراليّة.

مـع أنّ الإحصـائيّات الّتـي أُجريـت عام ١٩٦٥م قبـل اغتيال (سَـرْدَوْنَا) بسـنة واحدة تؤكّد أنّ مجموع الموظّفين الشّماليين في وظائف الحكومة الفيدراليّة لا يجاوز عددُهم ٣,٦ ٪؛ مع أنّ الشّمال يشكّل نصفَ سكّان نيجيريا[3].

هكذا سوّغ هذا المجرم الأثيم إجرامَه!

لكن من المعلوم للجميع أنّ الدّافع الرئيس لهذه الجريمة ليس سوى:

١ - تمسّك (سَرْدَوْنَا) بدينه.

٢ - سعيه أن يَرى أمّته رافعةً رأسَها، متمكّنةً في أرضها، تحكّم شـرعَها، وهو الذي قال في خطاب ألقاه في ٢٣ أغسطس/ ١٩٦٣م، أمـامَ جمع من العلماء، في افتتاح (لجنة الشّـورى الإسـلاميّة) في كادونـا: «أُريد أن أقول لكـم: إنّ الحكومة التي أنا أرأسُـها ليس من نيّتها أن تقوم بفعل أيّ شـيء مخالف للإسـلام، وأنا نفسي بصفتي رئيسـاً لا أملك صـلاحيةً فوق دينناً، وكونوا على يقين بأني لن أكون

(١) انظر: Paden, Ibid, pp 657, 658

(٢) انظر: Paden, Ibid, pp 658, ٦٦٢ والإلوري: الإسلام في نيجيريا، ص ١٦٢.

(٣) انظر: جومي: المصدر السابق، ص (١٤٤، ١٤٥، ١٤٦).

أبداً شريكاً في أيّ عمل يُناقض الإسلام أو يخالفه...»[١].

٣ - سعيه في نشر الإسلام في بلاده، وفي ربوع إفريقيا جميعاً.

٤ - موقفه الواضح من دولة إسرائيل الّذي لا يُخفيه في أيّ مناسبة، فقد سأله أحدُ الصّحافيين عن العلاقات بين بلاده وإسرائيل، فأجاب بغضب: «ما هي إسرائيل؟!»، واستطرد بقوله: «بالنّسبة لتفكيري إنّ إسرائيل غيرُ موجودة، وهي لن توجد أبداً، ولا أعرف ما هي»[٢].

وقد أصدر الملكُ فيصل بن عبدالعزيز أمره بصلاة الغائب في جميع مساجد المملكة، من بينها المسجد الحرام بمكّة المكرمة والمسجد النّبويّ بالمدينة المنورة، كما صُلّي عليه أيضاً في المسجد الأقصى بالقدس، وذلك في يوم الجمعة غُرّة شوال سنة ١٣٨٥هـ[٣]، كما صُلّي عليه صلاة الغائب أيضاً في بعض العواصم العربيّة والإسلاميّة.

**تاسعاً: من أقوال قادة العمل الإسلاميّ، والصحافة، في: (أحمد بلو سَرْدَوْنَا):**

« سعادة الشّيخ صالح قزاز وكيل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي:

«... رحم اللّه أحمدو بيلو، لقد كان طَوْداً شامخَ الذُّرى، وحصناً من حصون الإسلام في تلك البلاد... عاش ومات وهو ثابتٌ على دعوة الحقّ، هدى اللّه به من الضلالة مَن هَدى، وأسلم على يديه مئاتُ الألوف، كان مخلصاً في دعوته إلى أقصى حدود الإخلاص، ولذلك كانت دعوته تَسري في القلوب سَرَيان الكهرباء، كان رجلَ جدٍّ وصرامة في الحقّ... إنّه لا يُرسل الكلام جُزافاً؛ لأنّه يعني ما يقول، ولا ينطق بالكلمة حتى يعرف موقعَها من نفوس سامعيه»[٤].

« فضيلة الشّيخ عطيّة محمّد سالم - رحمه اللّه-:

«... وكان هذا الزّعيم الرّاحل في طليعة أولئك الزّعماء الذين نهضوا ببلادهم، وسلك منهجَ الدّعوة الإسلاميّة بربط حاضرها بماضيها، في ظلّ الدّعوة بالحسنى والحكمة والموعظة الحسنة، فأخذ النّاس يدخلون في دين اللّه أفواجاً...»[٥].

«الشّيخ علاّل الفاسي - رحمه اللّه-:

«... أحمد بلّو الذي يقف أمام النّاس ليعرض برامجه لخدمة الإسلام، ومقاومة التّبشير المسيحيّ في بلاده، الرّجل الذي يصرخ ضدّ الصّهيونية والمتعاونين معها في إفريقيا، لقد سمعت أحمد بلّو يتكلّم في المؤتمر الإسلاميّ بمكّة المكرّمة في العام الماضي، ولم أتمالك أن حمدتُ اللّه على أن جعل في المسلمين من يَصدع بالحقّ مثل ذلك الرّجل...»[٦].

« الأستاذ فؤاد شاكر - رحمه اللّه-:

«... المجاهدُ المسلم الكبير.. والبطل الشّهيد الذي وقف وحده بين ملايين المسلمين والمبشّرين ينضح عن دين العزّة والكرامة، ويذود عن شريعة محمّد رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه...»[٧].

< مجلّاتٌ وجرائد عربيّة وإسلاميّة:

كتبت عنه مجلّاتٌ وجرائد عربيّة وإسلاميّة، منها: مجلّة المجتمع اللبنانيّة بعنوان: (شهيدٌ في موكب الخالدين)، وجريدة المنار الأردنيّة بعنوان: (دمعةٌ على العرب والمسلمين)، وجريدة العلم المغربيّة بعنوان: (الحاج أحمد بيلو كان داعية للإسلام وعدوّاً للصّهيونية)، وجريدة عُكاظ السّعوديّة بعنوان: (رحمك اللّه يا أحمدو بيللو)، وجرية الميثاق السّودانيّة، وجريدة الشّمس السّيلانية (السّريلانكية)، وغيرها[٨] ■

---

(١) Amune, Stephen A., Work and Worship, Selected Speeches Of Ahmadu Bello, Sardauna of Sokoto, (1986) Zaria, Nigeri, p.178.

(٢) الشهيد الحاج أحمدو بلّو، ص ٨٩.

(٣) انظر: الشهيد أحمدو بلو، ص ٦.

(٤) المصدر السابق، ص (٣٧ - ٣٨).

(٥) المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٦) المصدر السابق، ص ٤٦.

(٧) المصدر السابق، ص ٧١.

(٨) انظر: المصدر السابق، ص (٨٤ - ١٠٥).

# العلاقات (العربية الإفريقية) في كتابات الدكتور علي مزروعي*

**أ.د. محمد عاشور**

**أستاذ العلوم السياسية – جامعة زايد، الإمارات**

* هذا المقال: هو جزء منقّح ومزيد من مقال د. محمد عاشور: (العلاقات العربية الإفريقية في كتابات الرواد: دراسة تحليلية لبعض كتابات الأستاذين عبد الملك عودة وعلي مزروعي)، نُشر في العدد ٢٩ من مجلة البحوث والدراسات العربية، يوليو ١٩٩٨م

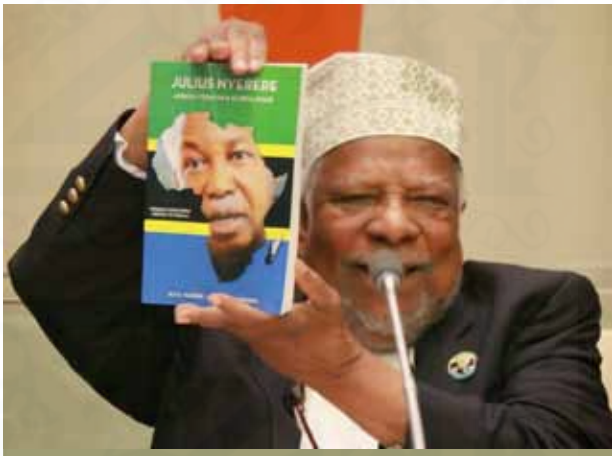


**يصعب القول بتخصّص العلامة الموسوعي (علي مزروعي) في العلاقات العربية الإفريقية، في ضوء محدودية كتاباته في هذا المجال مقارنة بكتاباته في الشؤون الإفريقية والقضايا الإسلامية والحضارية والدولية الأخرى، ومع ذلك؛ فإنّ رؤيته للعلاقات (العربية الإفريقية) التي تضمّنتها ثنايا بعض كتاباته، وأشهرها مقال بعنوان: (أفرَابيا: العلاقات الإفريقية العربية في ظلّ النظام العالمي الجديد)[١]، اتسمت بقدرٍ كبيرٍ من التشخيص الدقيق لركائز العلاقات العربية الإفريقية، وأسباب ضعفها برغم ضرورات تفعيل تلك العلاقات لصالح الطرفين (العربي والإفريقي).**

(١) Ali A. Mazrui, Afrabia: Africa and the Arabs in the new world order, Fahamu, vol. xx., no. 111, 1992, pp 51:61.
وقد تمّت ترجمة هذا المقال في كتاب حمل عنوان: (إفريقيا والإسلام والغرب)، القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقي، ١٩٩٩م.

ففي نظرته للعلاقات (العربية الإفريقية)؛ ذهب علي مزروعي إلى أنّ هناك العديد من الركائز لهذه العلاقات، دينية ولغوية، اقتصادية واجتماعية، سياسية وتاريخية... إلخ، لكنها برغم وجاهتها وقوتها لم تسفر عن تعاونٍ فعّال بين الجانبين بفعل مجموعة من القيود الجغرافية والتاريخية المفروضة على الجانبين من الخارج؛ على نحوٍ حَالَ دون التفعيل الإيجابي للركائز.

## أولاً: رؤية علي مزروعي لأسس العلاقات (العربية الإفريقية) وركائزها[٢]:

يرى علي مزروعي أنّ الروابط المشتركة بين العرب والأفارقة تمثّل أساساً متيناً للعلاقات؛ إذا أُحسن توظيف تلك الركائز.

وتأتي الروابط العقدية الدينية في مقدمة تلك الروابط، فالإسلام في إفريقيا قديمٌ قِدَم وجوده في الجزيرة العربية؛ استناداً إلى حقيقة هجرة المسلمين الأولى من مكة إلى الحبشة فراراً بدينهم وطلباً للملجأ والملاذ[٣]، كما أنّ الحفريات الأثرية في شرق إفريقيا تشير إلى وجود آثار لمساجد في تلك الأنحاء، يعود تاريخها إلى العقود الأولى للإسلام.

علاوة على هذا وذاك؛ فإنّ نسبة كبيرة من المسلمين تقطن قارة إفريقيا، حتى إنّ عدد المسلمين في نيجيريا يفوق عدد المسلمين في أي بلد عربي بما في ذلك مصر[٤]، كما أنّ إفريقيا القارة الوحيدة في العالم التي يشكّل

(٢) تم الاعتماد بصفة أساسية على المصادر الآتية:
Ali A. Mazrui, Afrabia: Africa and the Arabs in the new world order", Fahamu, vol. xx., no. 111, 1992, pp 51:61.
Ali Mazrui, Afro-Arab crossfire: between the flames of terrorism and the force of Pax-Amricana,Occasional Paper no.6, Development Policy Mangement Forum (DPMF): Addis Ababa, 2002.

(٣) Ibid, p. 16.

(٤) علي مزروعي - ترجمة صبحي قنصوه -: الأفروعربية: إفريقيا والإسلام والغرب، في: علي مزروعي - ترجمة صبحي قنصوه وآخرين -: قضايا فكرية: إفريقيا والإسلام والغرب، القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقي، ١٩٩٩م، ص (١٤٣ – ١٤٥).

المسلمون فيها الغالبية المطلقة من السكان، وينتشر فيها الإسلام بمعدلات كبيرة، بما يجعل من الإسلام عنصرَ توحيدٍ بين إفريقيا والعالم العربي[١].

ولا تقلّ الروابط اللغوية في العلاقات العربية الإفريقية أهميةً عن الروابط الدينية، بل يرى مزروعي أنّ الروابط اللغوية أقدم زمنياً من الروابط العقدية الدينية، فاسم القارة (إفريقيا)، الذي توجد أصوله في لغة البربر، استُخدم للإشارة إلى ما يُعرف الآن بدولة (تونس)، فكأنّ القارة قد أخذت مُسمّاها من الشمال الإفريقي أو ما يُطلق عليه حالياً (إفريقيا العربية)[٢].

كما أنّ اللغة العربية واللغة الأمهرية، على سبيل المثال، كلتيهما من اللغات الساميّة، حتى إنّ المؤرخين منقسمون حول ما إذا كانت اللغات الساميّة ظهرت أولاً في إفريقيا ثم انتقلت إلى الجزيرة العربية، أو نشأت في الأخيرة واتخذت سبيلها إلى إفريقيا عبر البحر الأحمر في مرحلة لاحقة، وأيّاً ما كان الأمر فإنّ الواقع يشير إلى أنّ اللغة العربية ما زالت هي اللغة التي يتحدث بها أكبر عدد من سكان القارة الإفريقية، علاوة على تأثيرها الجلي في العديد من اللغات المحلية في إفريقيا، وفي مقدمتها اللغة السواحلية في شرق إفريقيا، ولغة الهوسا في غربها[٣].

(١) لمزيد حول تلك الفكرة، انظر:
Ahmed Ali Salem, The Islamic Heritage of Mazruiana, (in) Parviz Morewedge (ed.), The Thought and Experience: A Bibliographical Festschrift in Honor of Ali Mazrui (Binghmton, NY: Institute of Global cultural Studies, 2001), pp 63:101.

(٢) ناقش علي مزروعي في كتابه (الأفارقة: الميراث الثلاثي) أصل كلمة (إفريقيا) متتبعاً الآراء الخاصة بأصولها في اللغات المختلفة، لا سيما اللغة البربرية واليونانية واللاتينية القديمة، ويخلص إلى أنّ الراجح – من وجهة نظره – أنّ أصل الكلمة قد يكون لاتينياً من اللفظة Aprica بمعنى (مشمس)، وربما كان يونانياً من لفظة Aprike بمعنى (لا برد)، ويعتقد مزروعي أنّ العرب قد قاموا بتعريب اللفظ بعد ذلك إلى (إفريقيا) بدلاً من (أفريكا)، وأنّ – أيّاً كان مصدر الاسم – الأصليين ارتبطا بالشمال الإفريقي، وأسهما في تعيين هوية القارة ككل. انظر:
Ali A. Mazrui, The Africans:a triple heritage , London: BBC publications, 1986, p 25.

(٣) Ibid., p23 Mazrui, Afrabia..., op.cit, p. 54.

وعلى الصعيد الديموجرافي (السكاني)؛ أكّد مزروعي في كتاباته أنّ المنطقة شهدت العديد من الهجرات والتحركات السكانية المتبادلة بين إفريقيا وشبه الجزيرة العربية خلال القرون الماضية، ويستشهد في ذلك بما كشفته البعثات العلمية من وجود شواهد على قيام مستوطنات عربية على الساحل الإفريقي الشرقي؛ قبل ظهور الإسلام وبعده – على نحو ما سلفت الإشارة –.

ويرى مزروعي أنّ وجود شخص مثل سيدنا (بلال الحبشي) – رضي الله عنه – في مكة المكرمة قبل بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم؛ هو نفسه دليل آخر على الوجود الإفريقي في مكة والمدينة قبل ظهور الإسلام[٤].

وقد أسفر التواصل (العربي الإفريقي) عبر تلك الهجرات – وما صاحبها من تفاعل وتصاهر – عن وجود مجتمعات إثنية وعرقية جديدة، كالجماعات (الكوشية)، ومثالها الشعب الصومالي، كما أنّ الإمارات التي قامت باليمن وعُمان أدّت دوراً جوهريّاً على صعيد تلك التفاعلات وما ترتب عليها من آثار، وفي هذا الشأن يرى مزروعي أنّ سلطنة عُمان بلد ذو أهمية مركزية في التاريخ الحديث؛ فيما يتصل بصنع التراث السواحلي وفهمه[٥].

## ثانياً: قيود العلاقات (العربية الإفريقية) من وجهة نظر علي مزروعي:

يقصد بقيود العلاقات: مجموعة العوامل والاعتبارات التي يرى علي مزروعي أنها تحدّ وتعرقل إمكانيات التعاون (العربي الإفريقي)، وهي في مجملها – من وجهة نظره – تتعلق باعتبارات خارجية جيولوجية، وعوامل مشتركة تاريخية، وأخرى داخلية متعلقة بكلّ طرف من أطراف العلاقة، ألقت بظلالها سلباً على علاقات الطرفين.

(التعريف الجغرافي) لقارة إفريقيا يمثّل أول قيود العلاقة بين العرب وإفريقيا وأقدمها – من وجهة نظر مزروعي –، فالقول بأنّ إفريقيا هي تلك الكتلة الأرضية الممتدة من المحيط الأطلنطي غرباً حتى البحر الأحمر

(٤) علي مزروعي، مرجع سابق، ص (١٤٤ – ١٤٥).

(٥) السابق، ص ١٤٤.

شـرقاً، ومن المحيط الأطلنطي جنوباً حتى البحر المتوسط شـمالاً، إضـافة إلـى الجـزر الواقعة فـي الميـاه المحيطة بالقـارة شـرقاً وغرباً، يتضـمن من ناحية فصـلاً تعسـفياً لشـبه الجزيرة العربية عن قارة إفريقيا، ويقود إلى مفارقة مؤداهـا أنـه فـي حين يحـدث ذلك الفصـل التعسـفي بين إفريقيا وشـبه الجزيـرة العربية؛ فإنـه - أي التعريف - في المقابـل يضـمّ إلى إفريقيا جزراً تبعد عنهـا بنحو ألف ميل (جزيرة موريشيوس)، وخمسمائة ميل (جزيرة مدغشقر/ المالاجاش)، فـي حيـن أنّ اليمـن لا يفصـلها عـن بعض سـواحل شرق إفريقيا سـوى مرمى حجر، ومع ذلك لا تُعتبر جزءاً من إفريقيا[١]!

ويلفت مزروعي النظر إلى ظاهرة قلّما يلتفت إليها أحدٌ من الباحثين، وهي زيف حدود القارات، وفي مقدمتها حدود القارتيـن الإفريقية والآسـيوية، فعلى كثرة ما كُتب عن زيف حدود الدول الإفريقية المعاصرة؛ فإنّ أحداً لم يول اهتماماً بمدى زيف حدود القارة نفسـها، ويعجب مزروعي من قبول الجميع ذلك القيـد الجيولوجي المُمثل في (البحر الأحمر) كحدٍّ طبيعي مناسب لنهاية الحدود الشمالية الشرقية للقارة الإفريقية؛ على الرغم من تضـافر العديد من الأدلة البيئية والثقافية والاجتماعية الاقتصادية لإثبات العكس[٢].

ولبيـان خطـورة القيـد الجيولوجـي سـالف الذكـر؛ كشـف مزروعـي ببراعة كيف أثّـر ذلك القيد فـي مدركات البشـر الثقافية علـى جانبي حـدود القارة، وبـروز مزاعم تجسّـد الانفصـال بين الجانبين؛ خصوصاً مع اكتمال ذلك الانفصـال الجغرافي بعـد حفر قناة السـويس؛ حيث ذهب البعض إلى أنّ شـمال إفريقيا ليس جزءاً من القارة؛ بدعوى أنه أقرب لشبه الجزيرة العربية وأكثر شبهاً بها[٣].

ويمثّـل التاريـخ، لا سـيما (التاريخ كما سـطّرته القوى الاسـتعمارية)، قيـداً إضـافياً، وعائقـاً أمام جهـود تطوير العلاقـات (العربيـة الإفريقيـة)، بفعل المبالغـة في الدور العربـي في تجارة الرقيق في القـارة، وعمليات التمييز بين إفريقيا شـمال الصـحراء وجنوبها على أسس لونية وعرقية ودينيـة؛ ومحاولـة انتـزاع المناطـق الشـمالية مـن القارة (المطلّـة علـى البحـر المتوسـط) مـن هويتهـا الإفريقية وضـمّها إلى أوروبا؛ على نحو ما تشير التجربة الفرنسية في الجزائر[٤].

وعلى الصـعيد الثقافي؛ فإنّ أحد القيود الرئيسـة التي تحـول دون تفعيـل التعاون (العربي الإفريقـي) - من وجهة نظـر علـي مزروعي - هي مـدى تقبّل العرب بصـفة عامّة، وعرب شـبه الجزيرة بصـفة خاصّـة، الانتماء إلى إفريقيا والتعاون معها في ظلّ واقع إفريقيا والصور الذهنية عنها[٥].

ومـن الناحيـة السياسـية؛ فـإنّ الخلافـات (العربيـة العربيـة)، والانقسـامات الإقليميـة المترتبـة علـى تلـك الاختلافـات، تمثّل بدورها قيداً آخـر على إمكانيات التعاون (العربـي الإفريقـي)، لتبايـن الموقـف العربي وانقسـامه بشـأن الأولويات، وتزداد خطورة ذلك القيد وتعقيداته بفعل التوتـرات الداخليـة الدينية والسياسـية... فـي العديد من الدول الإفريقية والعربية؛ من جرّاء الممارسـات التعسـفية لأنظمـة الحكـم، والنزاعات الانفصـالية لبعض الجماعات بها، والتي أدّت في مجملها إلى التركيز في القضايا المحلية في كلّ بلد على حدة؛ أكثر من التركيز في القضايا المشتركة التي تصبّ في صالح الطرفين[٦].

وقيام تعـاون (عربي إفريقـي) جادٍّ يحتـاج إلى تكافؤ اقتصـادي بيـن الطرفيـن، فتدهـور الوضـع الاقتصـادي لإفريقيا خلال حقبة التسـعينيات من القرن العشرين مثّل - من وجهة نظر مزروعي - قيداً إضافيّاً على صعيد إمكانيات التعاون بين القارة الإفريقية والعرب؛ لما رسّـخه من صورة نمطيـة لعلاقـات الجانبين، بوصـفها علاقة بيـن مانحين (العـرب) ومتلقي المنح (إفريقيا)، وهو ما يؤدي بدوره إلى

(١) المرجع السابق، ص (١٤٧ - ١٤٨)، وأيضاً انظر: Mazrui, op.cit, pp ٢٨:٣٢

(٢) Idem.

(٣) Ibid, p 32.

(٤) مزروعي، ص ١٥٣.

(٥) Mazrui, Afrabia..., op.cit, p.61.

(٦) جدير بالبيان: أنّ مـزروعي قد تنـاول هـذا القيد خـلال فترة التسعينيات من القرن الماضي متأثراً في ذلك بالصدع العربي الذي نجم عن الغزو العراقي للكويت وما ترتب عليه من تداعيات داخلية وإقليمية ودولية، وبرغم مرور أكثر من عشرين عاماً على ذلك الحدث؛ فإنّ التحليل ما زال له بريقه وصداه الواقعي في ضوء ما يشير واقع العالم العربي الراهن (٢٠١٤م).

مزيد من الحساسية في العلاقة بين الجانبين[١].

## ثالثاً: ضرورات التعاون (العربي الإفريقي):

مع إدراكه صعوبة تفعيل التعاون (العربي الإفريقي) في ظلّ القيود سالفة البيان؛ آمن علي مزروعي بضرورة التعاون بين الجانبين في ظلّ ما أسماه: (الأبارتهايد العالمي)؛ حيث عايش مزروعي مرحلة تشكّل النظام العالمي الجديد، في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي وما تلاه من تداعيات، جرّاء ما أسماه علي مزروعي: التناسخ الإمبراطوري Imperial Reincarnation، والذي فيه تنتقل روح الإمبراطورية من مركز إلى آخر، وهو الأمر الذي رآه ينطبق على واقع السعي الأمريكي لبلورة (إمبراطورية أمريكية) لا تغيب عنها الشمس؛ تستبطن داخلها روح (الإمبراطورية البريطانية) في القرن الثامن عشر، في وقت قبلت فيه بريطانيا القيام بدور المعاون في تلك الإمبراطورية غير الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية[٢].

فعولمة الإمبراطورية التي حاول البريطانيون في - العصر الفيكتوري - تحقيقها بصورة رسمية؛ سعى الأمريكان في القرن الحادي والعشرين إلى تحقيقها بصورة غير رسمية، وهي تسعى، - ليس فقط للسيطرة على أراضي الدول والشعوب الأخرى وثرواتها، بل تسعى إلى السيطرة – أيضاً - على أفكارهم وثقافاتهم ونُظمهم؛ وذلك بفرض عقوبات على الخارجين عليها والمخالفين لها؛ الأمر الذي يشير من جانب خفي إلى استبدال ثنائية (التابعين – المخالفين) بثنائية (الغرب - الشرق) التي سقطت مع سقوط سور برلين وتفكّك الاتحاد السوفييتي، وقد عبّر الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن عن ذلك صراحة في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؛ حينما دعا دول العالم إلى مساندة الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد ما أسمته (الإرهاب)، مؤكداً أنّ مَن لن يقف مع الولايات المتحدة يكون ضدها؛ هكذا حدث استنساخ للروح الإمبراطورية الاستعمارية[٣].

وإذا كانت كثيرٌ من دول العالم الثالث تشارك كلّاً من المنطقتين (العربية والإفريقية) المعاناة، من جرّاء ذلك النمط الجديد من الهيمنة الإمبراطورية العالمية، فإنّ الشواهد تشير إلى أنّ المنطقتين عانتا بقدر أكبر من تلك الظاهرة، وقد تمثّلت الممارسات التمييزية ضد العرب في[٤]:

- السماح للكيان (الإسرائيلي) بامتلاك أسلحة نووية، والحيلولة دون ذلك - وما هو أقلّ منه - بالنسبة للدول العربية بكلّ السبل؛ بما في ذلك الاحتلال العسكري.
- تقديم الدعم المالي والفني لدعم قدرات (إسرائيل) العسكرية، والرقابة الصارمة على كلّ الأنشطة العسكرية للدول العربية، وعلى مساعيها للتعاون مع دول العالم المختلفة في هذا المجال.
- قرار رونالد ريجان بضرب طرابلس، في الثمانينيات من القرن الماضي، ردّاً على مزاعم ضلوع ليبيا في تفجير ملهى ليلي في ألمانيا؛ أسفر عن مقتل جنود أمريكان.
- قرار كلينتون بقصف مصنع للأدوية في السودان؛ بزعم أنه مصنع أسلحة كيماوية.
- قرار بوش الأب بتوفير الوقت - لا الأرواح العربية - في حرب الخليج الثانية (١٩٩٠م - ١٩٩١م)؛ مفضلاً الإسراع بالحرب على منح مساعي الحلول السلمية مزيداً من الجهد والوقت.
- الممارسات الأمريكية الانتقامية في الصومال، وتسخير المنظمة الدولية لتسويغ تلك الممارسات، وما ترتّب عليها من إزهاق آلاف أرواح المسلمين والعرب الأفارقة.
- قرار بوش الابن باحتلال العراق وتدمير قدراته العسكرية، وما صاحب ذلك من أعمال سلب ونهب طالت الأرواح البشرية والتراث الإنساني، ثم حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية - على نحو ما سلفت الإشارة إليه -، وهي الممارسات التي تصاعدت في أعقاب أحداث ١١

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) انظر: محمد عاشور: التناسخ الإمبراطوري وضرورات التعاون العربي الإفريقي، بحث مقدم لندوة العلاقات العربية الإفريقية، سبها: جامعة سبها، ٢٠٠٥م.

(٣) نفسه.

(٤) راجع: Ali A. Mazrui, Afrabia....,op.cit, pp 61-62
Ali Mazrui, Afro-Arab crossfire.... op.cit, pp 4:5.

سبتمبر ٢٠٠١م بدعوى (محاربة الإرهاب)، فامتدت إلى التضييق على العرب والمسلمين المقيمين في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، ومزيد من التجاوزات والممارسات الإسرائيلية ضد مقاومة الشعب الفلسطيني، وهي الممارسات التي بلغت في تمييزها وعنصريتها أنها لم توفر لضحاياها ما توفره لعتاة المجرمين الدوليين من ضمانات شخصية وقانونية[١]!

أما الممارسات غير المشروعة في مواجهة السود بصفة عامّة، والأفارقة بصفة خاصّة، فإنه علاوة على ما سلف بيانه بالنسبة للصومال؛ يمكن الإشارة إلى ما يأتي[٢]:

- دعم الأنظمة الإفريقية القائمة برغم عدم كفاءتها؛ على الرغم من كلّ الشعارات المعلنة عن الديمقراطية والحكم الجيد، وهذا ما يعني إعلاء الغرب للمصالح السياسية على منظومة القيم المعلنة.
- مثالب التكيف الهيكلي تحت إشراف البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.
- عدم عدالة أسعار السوق العالمية التي يشرف عليها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي؛ فيما يتصل بمنتجات الدول الإفريقية من المواد الأولية.
- عدم الجدية في معاونة الدول الإفريقية في مواجهة انتشار الفقر والأمراض، وفي مقدمتها الإيدز الذي غلّبت فيه الولايات المتحدة مصالح شركاتها الدوائية وأرباحها على قدرات الأفارقة وأرواحهم؛ حينما أصرت على تطبيق قواعد الملكية الفكرية بشأن الأدوية، وساندت مطالب شركاتها للحفاظ على الأسعار المرتفعة للدواء؛ بما يعني عدم قدرة دول العالم الثالث، وفي مقدمتها إفريقيا، على توفيره (قارن ذلك بالوضع الراهن فيما يتصل بموقف العالم من انتشار مرض الإيبولا في بعض دول غرب إفريقيا)[٣].

---

(١) Mazrui, Afro-Arab crossfire..., op.cit, pp 5:6.

(٢) راجع: علي مزروعي، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٣) من المفارقات أنه من بين ١٥٠٠ دواء تمّ التوصل إليه ما بين عامي (١٩٧٤م حتى ٢٠٠٤م) لم يزد عدد الأدوية الخاصة بأمراض المناطق الاستوائية عن عشرة أدوية، انظر:
James Surowiecki, Ebolanomics,New York :at 2014/8/magazine, 25
http://www.newyorker.com/ebolanomics/25/08/magazine/2014
ولمزيد حول الموضوع وما يكتنفه من صفقات وحسابات راجع مختصر الكتاب الآتي:
Leonard G.Horowitz, Emerging Viruses: Aids :& Ebola Nature, Accident or Intentional? At
http://www.ethosworld.com/library/Leonard-G.-Horowitz-Emerging-Viruses-AIDS-&-Ebola-Nature,-Accident-or-Intentional-(1996).pdf
وانظر كذلك: Don't be scared, be angry: the politics andethics of Ebola. At :
file:///D:/Users/z8567/Downloads/20%hoo01191(1).pdf.

• انتشار العنصرية في الدول الأوروبية تجاه السود، مع تزايد حدة التيارات اليمينية في الغرب بصفة عامّة، والولايات المتحدة الأمريكية خاصّة، وتصاعد الحديث عن إبعاد المهاجرين وذوي الأصول غير الغربية إلى بلدانهم[١].

وبطبيعة الحال؛ يمكن إضافة: تجاهل الحروب الأهلية الدامية التي شهدتها العديد من الدول الإفريقية، وكان أخطرها أثراً الحرب الأهلية في رواندا، والتي أدى التراخي الدولي في التعامل معها إلى إزهاق أرواح مئات الألاف من أبناء الدولة.

حاصل ما تقدّم – من وجهة نظر علي مزروعي–: أنّ ثمة حاجة للتضامن (العربي الإفريقي) لمواجهة محاولات الهيمنة والتهميش من جانب العالم الغربي، والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصّة، مؤكداً أنّ خبرات مجتمعات ودول أخرى، تشير إلى إمكانية ذلك التقارب بين الجانبين برغم المعوقات سالفة البيان؛ حيث يستشهد بالعلاقات (البريطانية الأمريكية) و (الأمريكية اليابانية) كنماذج لمصالحات تاريخية بين أطراف شهدت صراعات ومواجهات أكثر شراسة وضراوة بكثير مما عرفته العلاقات (العربية الإفريقية)، وأمكنها برغم ذلك تجاوز ذلك الميراث الصراعي إلى تعاون مشترك لصالح الطرفين[٢]، وهو ما يراه مزروعي نافذة أمل لمصالحة تاريخية في العلاقات (العربية الإفريقية)، مدخلها – من وجهة نظره – العمل على تغيير مدركات الجانبين (العربي والإفريقي) فيما يتصل بتاريخ العلاقات ومضامينها[٣].

## رابعاً: سبل تفعيل العلاقات (العربية الإفريقية):

اتساقاً مع رؤيته الخاصة لأثر العامل الثقافي، وأولويته على الكثير من العوامل والمتغيرات، ذهب علي مزروعي إلى أنّ أولى خطوات تفعيل العلاقات (العربية الإفريقية) هي رأب الصدع الذي أحدثه التعسف الأوروبي عند رسم حدود القارة بجعلها تنتهي عند البحر الأحمر؛ الأمر الذي أدى إلى انتزاع شبه الجزيرة العربية واستبعادها من قارة إفريقيا، وحال دون التحام شعوب شبه الجزيرة العربية بأقرانهم على الجانب الأخر من البحر الأحمر، وجعلهم جزءاً من غرب آسيا، على الرغم من أن ما يربط العرب بإفريقيا أكبر بكثير مما يربطهم بآسيا من ناحية.

وبرغم أنّ تلك التوصيفات الجغرافية التي قادت إلى ذلك كله هي نتاج توصيفات جغرافية تعسفية، ناجمة عن نزعة أوروبية متمركزة حول الذات، مثلها في ذلك – من وجهة نظر علي مزروعي – مثل اعتبار أوروبا تقع فوق إفريقيا على الخريطة وليس تحتها، وكذلك الحال في مسميات (الشرق الأوسط) و (الشرق الأقصى) التي بدورها تقوم في جوهرها على اعتبار أوروبا هي مركز الكون ومحوره، وما عداها يقاس عليها[٤].

وللتحرر من القيود سالفة البيان؛ يؤكد الدكتور علي مزروعي ضرورة التخلص من التعريفات والمسميات التي خلفتها السياسات الأوروبية بأبعادها ومستوياتها المختلفة، والبحث عن تعريف جديد لقارة إفريقيا، يجعل من شبه الجزيرة العربية جزءاً من القارة؛ الأمر الذي سوف يساعد بدرجة كبيرة على تجاوز مشكلة الهوية في دول الشمال الإفريقي، والتي تتعلق بسؤال الانتماء: إلى إفريقيا أم إلى عرب آسيا؟ فمثل هذا التساؤل لن يكون له محلٌ في حالة انضمام شبه الجزيرة العربية إلى إفريقيا، علاوة على ما سيمثّله ذلك الانضمام المكاني والسكاني من ثقل ودعم لقدرات الجانبين في ظلّ عالم يتأثر فيه الأفراد وإدراكهم لأنفسهم بطبيعة القارة والإقليم الذي ينتمون إليه ويرتبطون به، ومن هنا جاءت دعوة علي مزروعي إلى قيام وحدة جغرافية بين المنطقتين تحت ما يُعرف باسم (أفرابيا)[٥]،

(١) Mazrui, Afro-Arab...., op.cit, pp 4-6.

(٢) مزروعي، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٣) نفسه.

(٤) عالج مزروعي تلك الفكرة باستفاضة في كتابه (إفريقيا الميراث الثلاثي)، فتحت عنوان: (أين إفريقيا؟ العالم من منظور أوروبي) ناقش علي مزروعي دور أوروبا الفاعل في تحديد تعريف القارة الإفريقية بحدودها وعناصرها وأجناسها، وأثر التحيز الأوروبي في هذا المجال. للمزيد انظر: Mazrui, The Africans.... op.cit, pp23:28.

(٥) ترجمها البعض إلى (الأفروعربية)، إلا أنّ تلك الترجمة لا تعبّر عن مراد علي مزروعي؛ لأنها – أي الأفروعربية – تشير إلى كيانين منفصلين، في حين أنّ غاية (أفرَابيا) عند مزروعي هي انصهار النطاقين معاً؛ ليشكلا معاً نطاقاً جديداً متميزاً. راجع: صبحي

والتـي تتطلـب – مـن وجهة نظـره – إعـادة تعريـف القارة وحدودهـا؛ لعـلاج ذلـك التشـوّه الحضـاري الـذي أحدثه التعريف الأوروبي لها[1].

وللدلالة على أثر التصـور الثقافي في الانتماء والتوجّه المكاني، وتأكيداً لمقترحه بشأن تجاوز الفجوة المكانية بين العرب والأفارقة بجسـر ثقافي، يستشـهد مزروعي بمثالين دالين في هذا الصدد:

أولهما: إثيوبيا هيلاسيلاسـي: التي ظلت طويلاً – حتى الخمسـينيات من القرن العشرين – تطرح نفسها دولة شرق أوسطية أكثر منها دولة إفريقية، إلا أنه مع تبنّي الإمبراطور الإثيوبي نفسه سياسـة إعادة أفرقة إثيوبيا؛ فإنه سرعان ما تصـاعد الإدراك الذاتي للشعب الإثيوبي بالانتماء لإفريقيا، وصـارت مقـرّاً لمنظمـة الوحـدة الإفريقيـة (ومـن بعدها الاتحاد الإفريقي)، وفاعلاً إقليميّاً رئيساً في قضايا القارة.

والمثـال الثانـي: هـو المثال المصـري: حينمـا جعلت مصـر الدائرة الإفريقية واحدة من الدوائر الرئيسة لحركة السياسـة الخارجية، وأعادت اكتشـاف ذاتها الإفريقية في الخمسينيات أيضاً من القرن العشرين.

فـإذا كانـت إثيوبيا ومصـر قد اسـتطاعتا – بدرجة أو بأخـرى من النجاح – إعادة اكتشـاف ذاتيهما الإفريقيتين، فإنـه تبقى الآمال قائمةً بشـأن إعادة النظر في هوية شـبه الجزيـرة العربيـة؛ خصوصـاً أنّ جوانـب التشـابه الثقافي بين إثيوبيـا وبقية القارة الإفريقية ليسـت أكثر – بحال من الأحـوال – من التشـابه الثقافي بين شـمال إفريقيا وشـبه الجزيرة العربية[2].

وتجـدر الإشـارة إلـى أنّ علـي مزروعي قد علّـق آمالاً كبيرة على استكمال تحرّر جمهورية جنوب إفريقيا؛ باعتبار أنـه سـيدعم إمكانيـات التفاعـل بيـن الجانبيـن (العربي والإفريقي)، وسـيُحدث قـدراً من التوازن فـي العلاقة بين الجانبيـن (العربـي والإفريقـي)؛ وتغير الصـورة النمطية للعلاقة ما بين مانع ومتلق، في ظلّ الإمكانيات الاقتصـادية والتكنولوجية لجمهورية جنوب إفريقيا[3].

## خاتمة:

لا شـك أنّ مزروعي كان سـبّاقاً في العديـد من الرؤى والخلاصـات التـي توصّـل إليهـا فـي علاقـات (الشـمال والجنوب) وعلاقـات (الجنوب والجنوب)، والتي تندرج في إطارها العلاقات (العربية الإفريقية).

وكان محقـاً فـي البحث عن مدخـل ثقافـي يتجاوز به الفالـق الجيولوجـي الفاصـل بين إقليـم القـارة الإفريقية وامتداده الطبيعي في شبه الجزيرة العربية، إلا أنّ مجريات الأحداث على السـاحة الإفريقية خلال العقدين الماضيين، وعلـى السـاحة العربيـة خلال السـنوات الماضـية، تشـير بدورهـا إلى حقيقة مقابلة، وهـي أنّ ما يُعدّ في نظر البعض من الركائز والفرص وضرورات للعلاقات؛ قد يوظفه آخرون في الاتجاه المضاد؛ بالتوقف عند الجوانب المظلمة في تلك الركائز وتضـخيمها، ولا أدلّ على ذلـك من العبث بالفوارق الدينيـة والاقتصـادية والعرقيـة والحضـارية... داخـل المنطقتين وبينهما لإثارة النزاعات الداخلية والبينية.

وعليـه؛ فإنـه لا يكفي توفر تلـك الركائز والضـرورات لقيـام علاقـات إيجابيـة فاعلـة بيـن الجانبين؛ بـل يتعين العمل – قبل ذلك ومعه – على بلورة وعي مشـترك بالجوانب الإيجابية للتعاون، وما لم يتم ذلك؛ فسيظلّ كلّ طرف ينظر للطـرف الآخر بمـا توفر له من عدسـات خارجيـة (غربية بالأسـاس) أو تاريخية (جامدة غالباً)؛ لن تتفق بالضرورة ومصالح الطرفين.. وهنا نتساءل مع العلامة علي مزروعي: هـل يَرْتـقُ الوعيُ الثقافـيُّ ما مزّقتـه الجيولوجيـا والأهواء الضيقة؟! ■

---

قنصوه: قضية الهوية وأثرها على الإدراك الإفريقي للعالم العربي، بحث مقدّم إلى ندوة العلاقات العربية الإفريقية، القاهرة: المركز العربي الإفريقي للدراسات والبحوث، ١٩٩٨م، ص ٣١.

(١) Mazrui, Afrabia..., op.cit, p 61, Mazrui, The Africans..., op.cit, p 29.

(٢) Ibid, p 38.

(٣) علي مزروعي، مرجع سابق، ص (١٥٤، ١٥٦).

# ملتقى (الداعية المتميّز) للنهضة بالعمل الدعوي في إفريقيا

**نظّم** (المنتدى الإسلامي) بالتعاون مع (مؤسسة عيد الخيرية) الملتقى الدعويّ الأول بالسودان: (الداعية المتميّز)، شهِدَه ٥٠ من العلماء والدعاة من ٢٧ دولة إفريقية، بحضور نائب رئيس الجمهورية حسبو عبد الرحمن، وسفير خادم الحرمين الشريفين بالسودان فيصل بن حامد معلا، وسفير دولة قطر راشد بن عبد الرحمن النعيمي.

**ورشة حول التحديات في جنوب السودان:**

شكّل الملتقى في البداية ورشة للكشف عن العقبات التي تواجه الدعاة في الجنوب، وكيفية التصدي لها؛ حيث تضع الحكومة المسيحية العقبات أمام أبناء المسلمين، كتغيير لغة التعليم من العربية إلى الإنجليزية، وفتح المجال للكنائس لبثّ سموم التنصير فيهم، ولهذا عقد الملتقى بجامعة إفريقيا العالمية ندوة: (تحديات الواقع وآفاق المستقبل)،

تحدّث فيها د. سعيد برهان عن تكثيف جهود الدعاة في مواجهة التنصير الذي يستغل المعونات الإنسانية.

وحول أساليب نشر الإسلام؛ قدَّم د. حقار محمد أحمد التشادي محاضرة: (دعوة غير المسلمين)، وأظهر أنّ نسبة المسلمين متزايدة بإفريقيا برغم محاولات الفاتيكان لنشر النصرانية وصدِّ الناس عن الإسلام.

### محاور الورشة:

المحور الأول: الدعاة والمساجد.. عبادة وقربة وانطلاقة مشاريع.

المحور الثاني: الدعاة والتعليم.. أرض خصبة ومنجم قيادات.

المحور الثالث: الدعاة والإعلام.. توضيح للمنهج ودحض للشبهات.

المحور الرابع: الدعاة والعلماء.. دعامة رصينة ومسدّدة للأعمال.

المحور الخامس: الدعاة والقضايا والأحداث.. رؤية مستبصرة وتوزان في الطرح.

المحور السادس: الدعاة والجماعية.. نبذ للتحزب والتفرّق، وتغليب للجماعة والأمّة.

المحور السابع: الدعاة والبرامج الدعوية.. موارد قليلة وتسويق ممكن.

### مواجهة الزحف الشيعي:

وفي مواجهة الزحف الشيعي الذي يستغل أوضاع القارة السياسية؛ ألقى د. محمد الثاني عمر محاضرة: (الصحب والآل)، كشف فيها أدوات الشيعة الخادعة

في نشر مذهبهم تحت هذا المسمّى.

وعن دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النهضة بتعاليم الإسلام، ودحض ما دونه من عقائد منحرفة، عقَدَ د. سعد الغنام و د. محمد إبراهيم البلة ندوةً عن فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته في مواجهة القضايا والنوازل.

وعلى إثرها قدَّم الغنام محاضرة: (وإنّه لَكتابٌ عزيز)، عن معاني القرآن الكريم السامية، وأثرها في تهذيب النفوس، وعن الحملات الغربية لتحريف القرآن وتشويهه، ودور الدعاة في صدّها.

### دورات تدريبية:

قدّم الملتقى مجموعة من دورات التطوير الإداريّ للنهوض بالمؤسسات الدعوية، منها: (الإشراف الفعَّال)، و (الإنتاجية الشخصية)، لتزويد المتدربين بالمهارات الإشرافية، وحلّ المشكلات الإدارية، وإدارة الوقت، وترتيب الأولويات، وتعزيز الصورة الذاتية للداعية.

وفي ورشة: (البرنامج المستمر للداعية) تلقى الدعاة خبرات من قصص العمل الخيري الناجحة؛ في مسيرة مؤسستي (المنتدى الإسلامي) و (عيد الخيرية).

وخاطبت مجموعة ورش أخرى هموم الدعاة، منها: (أهمّ التحديات الدعوية في إفريقيا)، (البناء العلمي للداعية)، (الداعية والوعي بالواقع).

ونظّم الملتقى للدعاة زيارة إلى المجمع الفقهي الإسلامي، وشرح القائمون عليه طبيعة عمله وأهميته في المحافظة على ثوابت الأمّة الإسلامية.

### من توصيات الملتقى:

العناية ببناء الدعاة وتأهيلِهم، دعم مراكز التأهيل الدعويّ، تنسيق الجهود الدعوية، زيادة الأعمال المشتركة بين المؤسسات (الدعوية والعلمية والإعلامية والجهات المانحة والجمعيات...) العاملة بإفريقيا، توسيع الاستفادة من نتائج الملتقى؛ بنقل الخبرات والمهارات للدعاة الميدانيين، ودعاة الصف الثاني ■

## تقرير حلقة نقاش

# (مستقبل الإسلام في شرق إفريقيا)

**البرنامج** حلقة نقاش بعنوان (مستقبل الإسلام في شرق إفريقيا)، نظّمتها مجلة (قراءات إفريقية) بالتعاون مع (لجنة إفريقيا – بالندوة العالمية للشباب الإسلامي).

**المكان: قاعة الاجتماعات بدار قراءات.**

التاريخ: الأربعاء ١٤٣٦/٤/٢٢هـ الموافق ٢٠١٥/٢/١١م.

**الحضور من المجلة:**

الشيخ/ خالد بن عبد الله الفواز (أمين عام المنتدى الإسلامي).

الشيخ/ عبد العزيز القرعاوي (مدير القطاع الدعوي والتربوي).

الأستاذ/ رأفت صلاح الدين (مدير تحرير مجلة قراءات إفريقية).

**الحضور من الضيوف:**

١ – الأستاذ/ يوسف محمد بونا (وزير الشؤون الإسلامية بجزر القمر – سابقاً).

٢ – الدكتور/ حامد عبدي سلطان (وزير الشؤون الإسلامية بجيبوتي – سابقاً).

٣ – الدكتور/ آدم يونس (عضو الهيئة الرقابية الشرعية للبنك الوطني الكيني).

٤ – الدكتور/ جلال الدين محمد صالح (باحث وأكاديمي – جامعة نايف للعلوم الأمنية – وعضو هيئة التحرير بمجلة قراءات إفريقية).

٥ – الدكتور/ ربيع الحاج (عضو لجنة إفريقيا بالندوة العالمية للشباب الإسلامي – وعضو هيئة التحرير بمجلة قراءات إفريقية).

٦ – الدكتور/ الخضر عبد الباقي (أستاذ الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود – نيجيريا).

٧ – الدكتور/ ندا موزاني (المشرف على مكتب الدعوة الإسلامية في بورندي).

٨ – الدكتور/ بيان صالح حسن – من إريتريا –

(مساعد مدير برنامج الشيخ عبد الرحمن الموسى لخدمة المجتمع).

٩ – الأستاذ/ ياسر بن سعيد (باحث في شؤون غرب إفريقيا – السعودية).

١٠ – الأستاذ/ إلياس سليمان بولا (طالب دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود – غينيا كوناكري).

١١ – الأستاذ/ عبد القادر ديرو إبراهيم (طالب ماجستير في أصول التربية – كينيا).

١٢ – الأستاذ/ بندر بن بدر الغيداني (باحث شرعي – السعودية).

١٣ – الأستاذ/ عبد الرحمن أحمد عمر (باحث متخصص في الشأن الإفريقي).

### مراسم اللقاء:

### أولاً: الافتتاح:

– بدأ اللقاء عند الساعة السادسة مساءً.

– أدار الحوار الشيخ/ عبد العزيز القرعاوي (مدير القطاع الدعوي والتربوي).

– بدأ الشيخ/ عبد العزيز القرعاوي حديثه بالترحيب بالحضور، ثم طلب منهم التعريف بأنفسهم قبل أن يبدأ النقاش في موضوع الحلقة، ثم بيّن طريقة سير حلقة النقاش، وتوزيع المحاور على الوقت المتاح، ثم بيّن محاور الحلقة؛ على النحو الآتي:

| م | المحاور |
|---|---|
| ١ | واقع العمل الدعوي في شرق إفريقيا. |
| ٢ | أهم الفرص والمبشرات المتوفرة في الواقع الدعوي. |
| ٣ | أهم التحديات التي تواجه الدعوة في شرق إفريقيا، وهي: ظاهرة (التشيع)، وظاهرة (الغلوّ)؛ مدى وجودهما – والتفاعل معهما – والجهود المبذولة لمواجهتهما. |
| ٤ | مستقبل الدعوة إلى الإسلام في شرق إفريقيا. |
| ٥ | مداخلات وتعليقات. |

### ثانياً: لقطات من مناقشات الحلقة:

### العمل الدعوي في شرق إفريقيا (جزر القمر نموذجاً):

بدأت مشاركات الضيوف بحديث الأستاذ/ يوسف محمد بونا (وزير الشؤون الإسلامية بجزر القمر – سابقاً)، حيث قدّم صورة للعمل الدعوي في شرق إفريقيا، من خلال واقعه في جزر القمر، وأشار إلى النشاطات التي تُمارس من قبل الوزارة، ودور العلماء وطلاب العلم هناك، وتأثر الشعب بالعلماء وحبّه لهم.

وأوضح أنّ الدولة خالية من جماعات الغلوّ، إلا أنه تطرق إلى نشاط (الشيعة)، وكيف تمكّنوا من قطاعات في الدولة لنشر مذهبهم، وذلك بعد التسهيلات التي قدّمها لهم الرئيس السابق أحمد عبدالله محمد سامبي باعلوي، وتحدث عن

مـدى تأثيرهم فـي قطاعٍ من الدولة بمـا يقدّمونه من خدمات طبية وتعليمية.

### واقع الدعوة في جيبوتي:

ثم تحدث د. حامد عبدي سـلطان (وزير الشؤون الإسـلامية بجيبوتـي – سـابقاً) عـن واقـع الدعـوة بجيبوتـي، ومتطلبات الدعـوة هناك، وأهـمّ العقبات التي تواجهها، كما تحدّث عن مشـكلة الفقر والبطالة، وفيما يتعلق بظاهرتي الغلوّ والتشـيع بيّن خلوّ بلده من جماعات الغلوّ ومن ظاهرة التشـيع، إلا أنه نبّه على أنّ وجـود هذه الجماعات فـي دول الجوار يؤثّر سـلباً في الوضع بجيبوتي.

### الإسلام والمسلمون في كينيا:

وتحـدث د. آدم يونـس (عضـو الهيئـة الرقابيـة الشـرعية للبنك الوطني الكيني) عن وضـع الإسـلام والمسلمين في كينيا، وعن حريتهم في إدارة شؤونهم، وانتشـار الدعـوة فـي كينيـا، ودخـول عـدد كبير في الإسلام.

ثـم تحدث عـن الأثر السـلبي لبعض الجماعات والحركات الذي طال البلاد، والوضع السيئ للمسلمين هناك جراء عمليات العنف التي تمارسها.

### واقع المسلمين في إريتريا:

ثم تحدث د. جلال الدين صالح عن الواقع السيئ للمسـلمين في إريتريا، وسـيطرة النصـراني أسياس أفورقـي علـى مقاليـد الحكـم، وكيف يتعمّـد تهميش

المسـلمين، وعـن محاربـة المؤسسـات والكيانـات الإسـلامية، والأوضاع السياسـية الصعبة التي جعلت معظم الشـعب الإريتري يعيش خـارج البلاد مطارداً. ثـم تحدث عن النشـاط الدعوي في الخـارج لمحاولة مساعدة المسلمين في الداخل.

### ثالثاً: المداخلات والتعليقات:

قُدّمـت في جلسـة النقاش عدد مـن المداخلات والتعليقات، وقد تمّ الاسـتماع إليها، ومناقشة أهمّ ما ورد فيها والردّ عليه.

### ملخص الحلقة:

١ – الاطلاع على واقع المسلمين في عدد من دول شـرق إفريقيا، وأهم المشاريع الدعوية التي يقوم بها أبناؤها للنهضة بدولهم.

٢ – أهم النجاحات التـي حققها العلماء والدعاة في تلك الدول.

٣ – أهـم العقبـات التي تواجه الإسـلام والدعوة إليه في دول شرق إفريقيا.

٤ – استشراف مسـتقبل العمل الدعوي والتربوي في شرق إفريقيا، ودور العلماء فيه ■

# مَن الذين يُسَمَّوْن «محمود كَعْتِ»؟ ومَن مِنهم مُؤلِّف (تاريخ الفتَّاش)؟

أ. د. هارون المهدي ميغا

قسم اللغة العربيَّة، جامعة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، بماكو / مالي

إنَّ المصادرَ العربيَّة القديمة التي كتبها المسلمون العرب، من المؤرِّخين والرَّحالة والجغرافيين، وكذلك كثيراً ممَّا كتبه – باللغة العربيَّة – المسلمون الأفارقة، تُعَدُّ من أهمِّ المصادر وأكثرها دقَّة، وبخاصة تلك التي تناولت تاريخ إفريقيا.

ويُعَدُّ (تاريخ الفتَّاش في أخبار البلدان والجيوش) أحدَ أهمِّ المصادر والكتابات التاريخيَّة السودانيَّة، التي تناولتْ تاريخ السودان الغربي (غرب إفريقيا) بإمبراطوريَّاته وممالكه الثلاث: (سنغاي Sonay، غانا، مالي)، وإنْ كان التفصيل في تاريخ إمبراطوريَّة سنغاي الإسلاميَّة أكثر.

ومن أهميَّة هذا المصدر أنَّ مؤلِّفه من أبناء هذه المنطقة، وعايَش هو وكثير من أفراد أسرته قبله تاريخ المنطقة، كما أنَّه من أسرة دينيَّة وعلميَّة وفقهيَّة وقضائيَّة، كان أفرادها مصاحبين لبعض ملوك إمبراطوريَّة سنغاي، وبينهم وبين بعض أولئك الملوك نَسَب ومصاهَرة.

ولقد اختلفت الأقوال وتعدَّدت الآراء في مؤلِّف هذا الكتاب المهمِّ، وكان من أهمّ أسباب هذا الاختلاف: اختلافُ تواريخ بعض الأحداث والوقائع، واختلافُ عصور المتحدِّثين عنها، ووجودُ أكثر من شخص يُسمَّى «محمود كَعْت» تجمعهم قرابةُ أُبوَّة وبُنوَّة وحَفادة، وكلُّهم علماء وفقهاء وقضاة ومؤرِّخون!

ولم تتوصَّل كلُّ التحقيقات والدراسات العلميَّة للكتاب - حسبما وقفتُ عليه - إلى اسم المؤلِّف الحقيقي للكتاب؛ بسبب الأمور المتشابكة السابق ذكرُها، ما عدا التحقيق العلميُّ المقدَّم له بدراسة مفصَّلة وعلميَّة - ستصدر قريباً جدّاً إن شاء الله - عن معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلاميَّة، في تنبكتو، قام بتحقيقه جماعةٌ من الباحثين[1]، وكتاب (Wadu Dofo) للمؤرِّخ الغيني سليمان كانتي (ت ١٩٧٧م) الذي ذكرَ الاسمَ كاملاً، مع خطأ في تحديد تاريخ الوفاة، ومن غير إشارة إلى أنَّ الكتابَ له - وسيأتي البيان -، حدثَ كلُّ ذلك برغم الشكوك الكثيرة، وبأدلَّة قويَّة، في أنَّ الاسمَ الواردَ على غلاف النسخ المطبوعة لا يمكنُ أن يكون المؤلِّفَ الحقيقي، والاتفاقُ كذلك على أن يكون شخصاً يُنسَب بـ (ابن المختار القنبلي).

لكلِّ ما تقدَّمَ تُحاول هذه الدِّراسة تَلَمُّس قول فَصل، في ضوء ما تَمَّ التوصُّل إليه من أدلَّة؛ ولتحقيق ذلك نَبدأ بالإجابة عن السؤال الأول: مَن الذين يُسَمَّوْن «محمود كَعْت»؟

## مَن الذين يُسَمَّوْن «محمود كَعْت»:

هناك ثلاثة أشخاص من علماء إمبراطوريَّة سنغاي Sonay الإسلامية يُسَمَّوْن بهذا الاسم، كلٌّ واحد منهم عالم وقاضٍ وفقيه ومؤرِّخ، وبينهم نَسَب، وهم بالترتيب:

### ١- محمود كَعْت الأوَّل:

هو: الحاج المتوكِّل محمود كَعْت، بن زياد الوَعْكُرَيُّ، وقد كان عُمُره - كما ذكر - خمسةً وعشرين عاماً في عام (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)، عام التقاتل بين أسكيا محمد الكبير، وسونِّي أبي بكر بارُ بن سونِّي عَلي بير، وكان عمرُ أسكيا محمد خمسين عاماً[2]، هو كاتب أسكيا محمد الكبير، ورسوله في المهمَّات الرسميَّة؛ فقد ذكر أنَّه ثالثُ ثلاثة أرسلهم أسكيا محمد - منفردين - إلى سونِّي بارُ للاستسلام «فأرسلني إليه؛ أي أنا الفقير المحتاج أَلْفَع (محمود) كَعْت»[3]، وهو مُرافقُ أسكيا محمد في حجّه عام (٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، يصف نفسه بـ «المبتلى بالتأليف أنا محمود كَعْت» في حديثه عن العلماء الذين رافقوا أسكيا محمد إلى الحجّ[4].

يبدو أنَّه كان مُعَمَّراً؛ إذ وُلد عام (٨٧١ هـ / ١٤٦٦م)، وتوفي عام (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م) وعُمرُه قرابة ١٢٥ سنة، ودُفن في تُنبُكتُ، وعندئذ يكون قد أدركه سَميُّه وحفيدُه «محمود كَعْت الثاني»، وسَميُّهما سبطُ حفيده السابق «محمود كَعْت الثالث».

بدأ بتحرير وثائقَ ومذكِّرات تاريخيَّة عام (٩٢٥هـ / ١٥١٩م) وعمرُه خمسون سنة، كما صرَّح به، ولا شكَّ في أنَّ وصفه نفسه بـ (المبتلى بالتأليف) يدلُّ على كثرة ما سجَّله من معلومات، وعلى تَعدُّد الوثائق والمذكِّرات التي كتب فيها تلك المعلومات.

وبرغم أنَّ هذه الوثائق لم تُجمَع في مؤلَّف واحد، ولم يكن لها عنوانٌ خاصٌّ - حسبما وقفتُ عليه -، فإنَّها صارتْ زاداً دسماً، ورافداً علميّاً قويّاً، لحفيده وسَميِّه «محمود كَعْت الثاني»، ولسبط حفيده وسَميِّهما «محمود كَعْت الثالث» المؤلِّف الحقيقي لتاريخ الفتَّاش - كما سيأتي البيان -.

### ٢ - محمود كَعْت الثاني:

هو: محمود كعت، بن علي، بن الحاج المتوكِّل محمود كَعْت، بن زياد؛ فهو حفيد للأول من ناحية أبيه، يكثر في كتب التاريخ إسقاطُ اسم والده (علي)، ونسبُه إلى جدّه وسَميِّه «الحاج المتوكِّل محمود كعت»، فلم تذكره تلك الكتب إلاَّ مرَّة واحدة، بمناسبة نَعْي سبطه «محمود كَعْت الثالث»، وقد فعل سبطُه الشيء نفسه في الإحالة على كتاب له، حيث يقول: «ونقلتُ هذا

(١) كاتب هذه السطور من المراجعين والمصححين له، وسيرد فيه جزء كبير من هذه الدراسة.

(٢) تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش، محمود كعت، ص ٥٨، هوداس ودلافوس، عام ١٩٦٤م، باريس، مطبعة Librairie D, Amerique et d, Orient Adrien maisneuve

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ١٦.

كلّه، من كتاب الجدّ ألفع محمود بن الحاج المتوكّل، بخطّ بعض طلبته...»[1].

لكنَّ الباحث إسماعيل جاجي ذكر اسمَ والده نقلاً عن مخطوطات لمحمود كَعْت الثاني، وعن أفراد من الكَعْتيِّين، يبدو أنَّه التقى بهم في قرية (كَرْ شَمْبَا)[2]، وقد ثبَت عن محمود كعت – نفسه – عدَّةُ طرقٍ في كتابته لاسمه، أغلبُها على أنَّ:

١ – اسم والده هو: عليّ، واسم والد جدِّه هو: زياد.

٢ – التوقُّف عند زياد، في ذكر نسبه، وزاد آخرون: زياد بن أبي بكر[3].

وُلد محمود كَعْت الثاني في أيَّام أسكيا محمد الكبير[4]، وعاصر أسكيا داود بن أسكيا محمد، وكان من المقرَّبين إليه، ومستشارَه، وصهرَه زوجَ ابنته عائشة كيمَر Tchémari[5]، تكرَّر ذكرُه في الحديث عن الأحداث في عصر أسكيا داود[6]، وكان حَيّاً عام (٩٩٦هـ / ١٥٨٧م) في تِنْدِرْمَ، وشَهد بدايات سقوط مملكة سنغاي.

تُوفِّي ليلة الاثنين (١٠٠٢/١/١هـ / ١٥٩٣م) – كما يقول السعدي – في أَزْكيا[7]، بـ (جِمْبيلاَّ Djimbella قرب بحيرة ديبُو، في إقليم موبتي (الإقليم الخامس من أقاليم جمهوريَّة مالي)، ونُقل جثمانُه لدفنه في تُنبكتُ.

وهو سَمِيُّ جدِّه من أبيه محمود كعت الأوّل، ويَنقُل إسماعيل جاجي عن: (عَلي غاو، بن محمود، بن محمود كعت الثالث) أنَّ اسم أمِّه: خديجة بنت أبي بكر (أكبر إخوة وأخوات أسكيا محمد)[8].

لمحمود كعت الثاني مُصَنَّفاتٌ تنقسم إلى نوعين:

أ – الصنف الأول: كتابٌ: عنوانه: (تذكرة الإخوان عمَّا تركوا من الأعوان) (مخطوط)، وهو مُؤَلَّفه الوحيد، وهو كتاب تاريخيٌّ يتكوَّن من مجلَّدين:

في المجلد الأوّل: موضوعاتٌ يمكن تصنيفها – كما يقول إسماعيل جاجي – على النحو الآتي: حديثُه عن أسرته، ومشاكلها، وهجرتها إلى السودان الغربي بعد مغادرتها الأندلس، والعلاقة بين بني كَعْت والسِّيلاَّنْكي[9] Syllantche، وعلاقة أسرته بالأسرة المَلَكيَّة في سنغاي Soŋay، إلى وفاة أَسْكيا محمد، وأسفاره برفقة أسكيا، والمساجد والقصور التي بناها أسكيا، بأسمائها وأماكنها، ثمَّ الخاتمة، وهي عبارة عن رسائل وفتاوى.

أمَّا المجلَّد الثاني: فقد تحدَّث فيه عن الأندلس، وقد سبق: – عن سبطه وسميِّه – أنَّه نقل من كتاب جدِّه، بخطّ بعض طلبته، ولم يُسَمِّ الكتاب؛ فقد يكون هذا، أو بعض التعليقات الآتية.

ب – الصنف الثاني: ملاحظاتٌ، وتعليقات: وهي متنوِّعة، ومكتوبة على حواشي المخطوطات – وصل عددُها إلى مائتين وثماني عشرة (٢١٨) – أو في بعض الوثائق، أو في المذكِّرات.

وقد قام سبطُه وسَمِيُّه محمود كَعْت الثالث[10] بنقل أجزاء من الكتاب السابق، والملاحظات، والوثائق، على النحو الآتي:

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢) انظر: حيدره: إسماعيل جاجي: ألفا قاتي (كعت) محمود حياته وأعماله، ص (٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢١٦)، ضمن مجموعة بحوث بعنوان: (تمبكتو ثقافة متعدِّدة) Editions Yeredon,(Hmidou MAGASSA) Tombouctou son savoir-être multiple, Études Eurafricaines, L'Harmattan

قرية (كَرْ شَمْبَا): تقع – الآن – في منطقة تنبكتو.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (٢٢١، ٢٢٢).

(٤) انظر: تاريخ الفتاش، ص ٨٢.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ١١٨.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٨).

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص ٢١١.

(٨) انظر: ألفا قاتي (مرجع سابق)، ص ٢١٣.

(٩) انظر تفاصيل عن هذا الاسم، ونسبة بعض ملوك سنغاي إلى (سيلاَّ) في بحثنا: (تحريف دلالات الألقاب، والوقوع في أخطاء تاريخيَّة، ألقاب الملوك في إمبراطوريَّة سنغاي نموذجاً)، مجلَّة دراسات إفريقيَّة، إصدار مركز البحوث والدراسات الإفريقيَّة، جامعة إفريقيا العالميَّة، الخرطوم، عدد ٤٥، سنة ٢٧، يونيو ٢٠١١م / رجب ١٤٣٢ه. ويُعَدُّ الكاتب المذكور أعلاه (إسماعيل جاجي) أكبر دعاة يهوديَّة هذه الأسرة، والباحثين عن تاريخ السلالات اليهوديَّة والإسبانيَّة في تنبكتو، وإمبراطوريَّة سنغاي، تدعمها جهات يهوديَّة وأوروبيَّة، وقد نشر كُتُباً بالإسبانيَّة في هذا، ومُكِّن له لتكوين مكتبة مخطوطات في تنبكتو باسم (مكتبة ألفا القوتي). انظر تفاصيل عن جهوده في: بحثنا السابق، وفي بحثنا: (التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا تحت مطارق الباحثين)، مجلّة قراءات إفريقية، مجلّة ثقافية، فصليّة، محكّمة، متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، يصدرها المنتدى الإسلامي، العدد ١ رمضان ١٤٢٥ه / أكتوبر ٢٠٠٤م.

(١٠) انظر: ألفا قاتي (مرجع السابق)، ص (٢٠٦، ٢٠٧).

١ - النقل المباشر منهما - مع الإحالة، أو بدونها.

٢ - النقـل، والرواية، عـن أخواله الذين نقلوا - أيضـاً - من المرجعين السـابقين دون إحالة، كما نقلوا شفوياً عن أبيهم محمـود كَعْـت الثاني، وعـن جدِّ والدهـم الحاج المتـوكل بالله محمود كعت الأوّل.

نحو: «هكذا روينا القصة عن خالنا الفقيه القاضي محمد الأمين، بن القاضـي محمود كَعْـت، رحمهم الله»[١]، «كذا ذكره الفقيـه يوسـف (بن محمـود كَعْت) بـن ألفا محمـود كَعْت»[٢]، «رأيتُ بخطِّ خالنا يوسـف (بن محمـود) كَعْت بن ألفع محمود، رحمهما الله»[٣].

يَقِـفُ أخواله - أحياناً - على بعض ما لديهم، يقول عن وثيقة كتبها أسـكيا محمد لبعض حَفَدة مُورْ هَوْكار: «ووَقَفتُ أنا علـى ذلك الكتـاب، أوقفني عليه خالي القاضـي إسـماعيل بن الفقيه القاضي محمود كَعْت»[٤].

٣ - الرواية عن والده، هو المختار القنبلي، نحو: «سـمعتُه عـن والدي المختار قُنْبُل، رحمه الله، يتحدَّث به»[٥]، «كذا نقلتُ من شيخي والدي، رحمه الله»[٦].

٤ - النقـل عن بعض العلماء والمؤرِّخين، كصـاحب (درر الحسـان فـي أخبار بعض ملوك السـودان) بابَا كـور بن الحاج محمد[٧].

أمَّـا (تاريـخ الفتَّاش)؛ فلم يذكـره إسـماعيل جاجي في مؤلَّفاته، يقول: «يُلاحظُ القارئُ أنَّنا لم نذكر تاريخ الفتَّاش؛ لأنَّ ألفا قاتي (كَعْت) محمود ليس مؤلِّفاً لهذا الكتاب»[٨].

### ٣ - محمود كَعْت الثالث:

هو: محمود كَعْت بن المختار القُنْبَلِّي (القُنْبَلِّي، والقُومْبَلِّي، ورد بالصـيغتين، نسـبة إلى قبيلـة لا تزال أفرادهـا في مدينة تنبكتو)، وهو سِـبْطُ محمود كعت الثاني وسَمِيُّه، ومؤلِّفُ (تاريخ الفتَّاش)، عاشَ فـي القرن الحادي عشـر الهجري / السـابع عشر الميلادي، وعاصر آثارَ الغزو المغربي، وحُكمَ الباشاوات، واصَـلَ الكتابةَ التاريخيَّة كما فعل سَمِيَّاه وسَلَفاهُ: (محمود كَعْت الأوَّل، والثاني)؛ فقام بتسـجيل أحداث التاريخ في كتاب؛ بطلب من أسكيا داود بن أسكيا هارون الذي تولَّى أسكاويَّة تنبكتُ عام (١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م)، وعُـزل عام (١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م)، وهو من أساكي الباشاوات المغربية[٩].

تُوفِّـي محمـود كعت الثالث بـن المختار القنبلِّـي بعد عام (١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م)؛ فقـد ذكـر حادثـة وقعـت في هذه السـنة فقال: «وقد رأيتُ بعينـي كثيراً... وذلك في أوَّل عام (١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م)»[١٠]، وكان ذلك في عهد الباشا عمَّار بن أحمد عجرود الشـرقي الراشدي (١٠٧٣ - ١٠٧٧هـ / ١٦٦٢ - ١٦٦٦م)، الذي دام ثلاث سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيَّام[١١].

وقد تزامَنَ تأليفُ كَعْـت لكتابه (تاريخ الفتاش) مع تأليف السـعدي (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م) لكتابه (تاريخ السودان) الذي أكمـل أغلبـه فـي الثلاثـاء (١٠٦٣/١٢/٥هـ / ١٦٥٣م)، ثمَّ زاد الباب الأخير الخاصّ بالحوادث التي وقعتْ بين عامي (١٠٦٣ - ١٠٦٥هـ)، أمَّا كَعْت؛ فيبدو أنَّه أكمل كتابه بعد عشـر سنوات من انتهاء السعدي من كتابه، وذلك قُبَيْل عام (١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م)؛ فهو سابقٌ للسعدي في البدء بالكتابة، ولاحقٌ له في الانتهاء.

الأدلـة على نسـبة (تاريـخ الفتَّاش) إلى (محمـود كعت الثالث):

بِنـاءً على كلِّ ما تقـدَّم؛ يُمكِـن الجزم بـأنَّ مؤلِّف (تاريخ

(١) تاريخ الفتاش، ص ٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٢، وانظر: ص ١٧٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٨) ألفا قاتي (مرجع السابق)، ص ٢٠٦.

(٩) تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، مجهول، ص ٢٣٣.

(١٠) انظر: تاريخ الفتاش، ص ٧٥.

(١١) تَولَّى في جمادى الأولى ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م، وعُزِل يوم السبت ١٠٧٧/٢/٢٦هـ / ١٦٦٦م، انظر: تذكرة النسيان، ص ٢٣٦.

الفتَّاش) هو: (محمود كعت الثالث بـن المختار القنبلي)، وهو الذي سَـمَّى الكتاب بهذا الاسـم، الذي يبدو أنَّه لم يُسـبَق إليه؛ فالتسمية منه، ولَه، ومن الأدلَّة:

١ - ذكـر كثيـر مـن الباحثيـن - بالإنجليزيَّـة وغيرهـا - أنَّ المؤلِّـف هـو ابـن المختـار، مـن غيـر تحديد اسـمه، مثل: الأب جُوزيـف بـرن سـنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م)، وجُـونْ هُونويك J.Hunwick، و ن. لفتزيـون N.Levtzion، وآخرون[١].

٢ - أشار إسماعيل جاجي إلى الثلاثة (محمود كعت الأوَّل، والثاني، والثالث)[٢]، ويبدو أنَّـه التقى بأحفاد الثاني، والثالث؛ حيث نجده يشـير إلى أفراد الأسـرة في قرية (كَرْ شَمْبَا)، وإلى طريقـة كتابتهم لـ: (كَعْت) : (كُوتا)، ونقل عـن أفراد من بني كَعْـت، مثل: علي غاو بن محمود بن محمـود كَعْت الثالث، وعلي هُـولاً بن علي بن محمـود كَعْت الثانـي، ومحمود كَعْـت بن عبد الرحمن أبانا بن إبراهيم بن محمود كَعْت الثالث[٣].

٣ - الأخـوال الثلاثـة للمؤلِّـف الذيـن يُكثر النقـل عنهم: إسـماعيل، ومحمد الأمين (توفي ليلة الأحد ١٠/١٢/١٠٥٥هـ / ١٦٤٦م؛ في بَيْنا)[٤]، ويوسـف، فهم أبنـاء محمود كَعْت الثاني،

ويلقَّب كلٌّ واحد منهم بـ (ألفا)[٥]، فقد اسـتفاد من مذكِّراتهم، ومـا كان لديهم من مخطوطات ووثائـق، وممَّا كانوا يُحدِّثونه به شفاهةً.

٤ - ورد الاسـم الكامـل (ألفـا محمـود كعْتـي بـن مختار غومبيلـي) فـي (Wadu Dofo) للمؤرِّخ الغيني سـليمان كانتي (ت ١٩٧٧م)، الذي تحدَّث عن الإمبراطوريَّات الإفريقيَّة، وترجمـهُ إلـى العربيَّـة الأخ عبد القـادر كَجيرى، مـع خطأ في التاريـخ لوفاته بعـام (١٥٩٣م) الذي هوفـي الواقع تاريخ وفاة (محمـود كعـت الثانـي) – كمـا تقـدَّم[٦] -، ومن غير إشـارة إلـى أنَّ الكتاب له؛ حيث ورد هذا الاسـم ضـمن قائمة بأسـماء

(١) انظر: (حركة التجارة، والإسلام، والتعليم الإسلامي، في غربي إفريقيا، قبل الاستعمار، وآثارها الحضاريَّة)، د. مهدي رزق الله أحمد، ص (٢٩ – ٣٢)، ط١ عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، وانظر مراجعه الإنجليزية في: ص ٢٩ / حواشي (١ – ٤).

(٢) انظر: ألفا قاتي، ص (٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١).

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص (٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١).

(٤) انظر: تاريخ السودان، للسعدي، ص ٢٧٦، وذَكَرَهُ بـ «أخونا محمد الأمين كعت»، وهـو الشخص نفسه الـذي ذكره – أيضاً - في ص٣٠٠ بزيادات كلمة «بن» بين محمد، والأمين؛ إذ يتفق النصَّان في كلّ شيء ما عدا هذه الكلمة، وأنَّـه (أي السعدي) هو الذي تولَّى غسله؛ والنصُّ هو: «وفي ليلة الأحد، العاشر من ذي الحجَّة، الحرام، المكمِّلة للخامس والخمسين والألف، توفِّي أخونا محمد، بن الأمين، بن أبي بكر كعت، في بلد بَيْنَا، فغسلتُه، وَصُلِّيَ عليه، في المُصلَّى، ضحوة العيد، ودُفن هنالك، ساعتئذ».
وأُرَجِّحُ أن يكون هو المقصود بقول السعدي: «تُوفِّي الأخ العزيز، والصاحب المُحبُّ، الحنين من عهد الطفوليَّة، الفاضل، الدَّيِّن، الفقيه، محمود كعت، بن علي، بن زياد، في بلد بَيْنَا، ودفن هنالك، غفر الله له، ورحمه، وعفا عنه، وجمع شملنا، وشمله في ظلِّ العرض، وفي الفردوس الأعلى، بمنِّه وكرمه، آمين».
أمَّا تسميته في النصِّ نفسه بـ : «محمود كعت، بن علي، بن زياد، والتأريخ للوفاة، بليلة الثلاثاء، السابع عشر، من شـوَّال، عام ١٠٥٨هـ»؛ فلا أكاد أشكُّ في أنَّهما خطأ من النُّسَّاخ، خَلَطُوا به بين شخصيَّتين مختلفتين، بدليل:
أ - محمود كعت (الثاني) بن علي: هو الذي وُلِد أيَّام أسكيا الحاجّ محمد الكبير، وعاصَر ابنه أسكيا داود، وصاهَرَه، وقد مات – كما تقدَّم، وعند السعدي نفسه- ليلة (١٠٠٢/١/١هـ / ١٥٩٤م) في بلدة (أَزْكيا)، وليس في بلدة (بَيْنا).
ب - يكون السَّعدي قد وُلِد، بعد وفاته، بسنتين عام (١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م)؛ فلا يمكن أن تنطبق عليه الأوصاف المذكورة؛ إذ لا معاصَرَةَ بينهما.
ج - يبقى أن يكون محمود كعت الثالث هو الذي عاصر السعدي.

(٥) انظر: ألفا قاتي، (مرجع سابق)، ص ٢٠٨.

(٦) انظر: نحو موسوعة تاريخيَّة لمالي: إمبراطوريَّة غانة، مترجم عن (Wadu Dofo)، بتصرُّف وزيادة، إعداد عبد القادر بن تيجان كجيرى، ص ١١٣، مؤسسة كجيرى للتربية والبحوث التاريخيَّة، ٢٠١٤م، مالي.

علماء – قدامى ومعاصرين – نسبهم الكاتب، أو المترجم، إلى السونينكي.

### مصادر كتاب (تاريخ الفتّاش):

تنوعت مصادر كتاب (تاريخ الفتّاش)، حيث شملت ما يأتي:

١ – ما حصل عليه من وثائق ومذكّرات سَميِّه الأوَّل.

٢ – كتاب سَميِّه الثاني وجدِّه من أمِّه (تذكرة الإخوان)، ووثائقه، ومذكّراته، وملاحظاته، وتعليقاته، على حواشي المخطوطات.

٣ – ما نقَله – كتابةً أو شفاهةً – عن أخواله الثلاثة.

٤ – ما نقَله – كتابةً أو شفاهةً – عن والده (المختار القنبلّي)، ويبدو أنَّه غير (محمد بن المختار) الذي يذكره بقوله: «وقد كنتُ أنا يوماً عند شيخنا الفقيه محمد بن المختار، الملقَّب محمد بن كرتم... قال محمد ولد كرتم رحمه الله: جاء بهذا الكتاب والدي الحاج المختار، من حجَّته، قال: ناوَلَنيه زين العابدين في مصر، وأمرني بإيصاله لأسكيا نوح»[١]، ويذكره – أحياناً كثيرة – باسم «محمد كرتم» فقط.

ولا شكَّ في أنَّه لم يكتف بمُجرَّد النقل من هذه المصادر الأربعة، فلديه زياداتٌ، وتفاصيلُ وتوسُّعٌ، وتنسيق.

٥ – ما نقَله عن غيرهم من العلماء والمؤرِّخين.

٦ – ما سَجَّله من عند نفسه من أحداث عايَشها.

ويؤكِّد مصدريه الأخيرين (٥، ٦) المعلوماتُ التي أوردها عن أحداث مُتأخِّرة لم تقع في أيَّام أصحاب المصادر الأربعة.

لا دليلَ على تحريف (قَاتي) إلى (كَعْت):

يبقى بَعدُ: أنَّ إسماعيل جاجي ذهب إلى أنَّ (كَعْت) و (كُوتا) – الذي نقله عن بعضهم – تحريفٌ لـ: (قَاتي)، الذي التزم به في بحثه كلِّه، كما سَمَّى مكتبته للمخطوطات في تُنبُكْتُ باسم (مكتبة القُوتي).

ولا يوجد لديه دليل قَويٌّ على تحريف (قَاتي) إلى (كَعْت)؛ لما يأتي:

١ – قد تعاقبت على استعمال (كَعْت) ثلاثةُ أجيال علماءُ: كلُّهم فقهاء وقضاة ومؤرِّخون؛ ممَّن يحملون اسم (كَعْت)، ولم يشيروا إلى هذا التحريف المزعوم، ولم يُغيِّروه، بل كَتبوه بأقلامهم، وفي مؤلَّفاتهم! ولم يغيِّرْه – أيضاً – أو يُشِرْ إلى التحريف أحفادُهم العلماء، والفقهاء، والقضاةُ، والمؤرِّخون.

٢ – يُستَبعَد في أمثالهم ألا يشيروا إلى شيء من ذلك؛ لو كان صحيحاً: وقد كانوا ذَوِي علمٍ، وتأليف، ونفوذ، يعيشون في كَنَف السلاطين.

٣ – وفي (قَاتي) حرف القاف (ق العربية)، وهو لا يوجد في اللغة اللاتينية وفروعها الأوروبية: وقد بذل إسماعيل جاجي جهوداً مُضْنية للرجوع بأجدادهم إلى (إسبانيا).

أمَّا وجود حرف العين الساكنة في (كَعْت)، وهو من الحروف الخاصّة باللغة العربية؛ فإمَّا لأنَّه من (الكَعْت) بمعنى الذهاب مُنتَفخاً من الغضب، ومنه: أكْعَتَ فلانٌ.

وإمَّا لأنَّ العين الساكنة، في الأصل، ألفٌ ساكنة (كَات)، والمؤلِّف قد أكثر من استعمالها في ذكر أسماء وأوصاف لأعلام من الناس، مثل: (أَلْفَغْ = ألفا)، أي الفقيه والأستاذ. و (وَعْكُرَيْ = وَاكُرَيْ) و (مَعْمَغْ = مَامَا) إحدى طرق النطق بـ (محمّد) في لغة (سنغاي Soŋay)، وقد تُشدَّدُ الميم الثانية. و (مَعْ كَيْنَا = مَا كَيْنَا) بمعنى محمد الصغير. و (بَلْمَغْ = بَلْمَا) منصب إداري قديم في إمبراطوريَّة سنغاي Soŋay، قبل حكم السنِّيِّين، واستمرَّ إلى سقوطها[٢].

ومن معاني (كَات) في لهجات لغة (سنغاي Soŋay): الدعوة، والصُّراخ، فَيَعْني مِهْنة الدعوة إلى الله؛ إحدى صفات العلماء والفقهاء والقضاة، وهم كُثُرٌ في هذه الأسرة، لأجيال متعاقبة.

٤ – ورد في نسبه: (الوعْكُرَيُّ) أصلاً؛ نسبة إلى (وَاكُرَيْ)[٣]: ويكاد الإجماعُ يَنعَقد على أنَّ: (وَاكُرَي، و سنغاي Soŋay، ووَنغَرا) هم ثلاثة إخوة أشقَّاء، أبوهم براس، أو تراس[٤]، وهم الذين أسَّسوا ثلاث ممالك سودانيَّة، في السودان الغربي: (سنغاي Soŋay، وغانا، ومالي) ■

---

(١) تاريخ الفتاش، ص ١٦٧.

(٢) كما أكثر من استعمال العين بدل الغين: (كَيَمَعْ = كَيَمَغْ)، (يَنْتَعْ = يَنْتَغْ)، (كَمْزَاعُ = كَمْزَاغُ)، و (كَاعَ = كَاغَ) أي الجدّ. وقد يستعملها بدل الواو الساكنة: (تُعْبَ = تُوبَى)، و (طُعْيَةَ/ تُعْيَةَ = تُويَا)، والمضمومة: (كَاعُ / غاعُ = غاوُ).. إلخ. وانظر: تاريخ الفتّاش، تحقيق، وطبع معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلاميَّة، بتنبكتو، سيصدر قريباً.

(٣) انظر: تاريخ الفتاش، ص ١.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٥ – ٢٦).

# Who are called "Mahmoud Ka'at?" and who wrote "Fattash's History"?

***Dr. Haroun Al-Mahdi Megha***
*Professor at the Arabic Language Sector, University of Literature and Humanities, Bamako, Mali*

(Fattash's History in the news of countries and armies) is considered one of the most important resources about the history of Western Sudan "Western Africa". There are contradictions about who wrote it, as there are three related people, each of them is called "Mahmoud Ka'at", each of them was a scholar from the Islamic Soŋay Empire and they were respectively: Mahmoud Ka›at the first, Mahmoud Kaa›t the second and Mahmoud Ka›at the third.

Evidence referrers that Mahmoud Ka›at the Third was the writer of Fattash›s History, he was Mahmoud Ka›at Bin Al-Mokhtar Al-Konboly and he was the grandchild of Mahmoud Ka›at the Second. Among the evidence that he was the genuine writer of the book that many researchers like J.Hunwick said that the writer of Fattash's History was Bin Al-Mokhtar and among the evidences is that he cited his three uncles and they were the sons of Mahmoud Ka›at the Second.

The resources of Fattash›s History were varied, some of them was cited to his Father (Al-Mokhtar Al-Konboly) and about First and Second Mahmoud Ka›at and what he cited to others and from what he recorded from events in his era.

There is no strong evidence that the name «katy» was distorted into Ka›at as the researcher Ismail Gagy said, because three generations of scholars used the same word, and didn›t cite that alleged distortion ■

# (Arabian African) relations in the writings of Professor Ali Mazrou'i

***Dr. Mohamed Achour***
*Professor of Political Science, Zayed University, United Arab Emirates*

The scholar Ali Mazrou'i sees that the religious, linguistic and historical relationships that are common between Arabs and Africans represent a solid basis for (Arab African) relations; if better employed.

According to his point of view, the restrictions of (Arab African) relations are represented in several factors. First, the geographical definition of the continent Africa; Mazrou'i pays attention to the artificiality of continents' frontiers, and on the top of them the frontiers between the African and Asian continents.

The history outlined by the colonizer represents an obstacle to the improvement of (Arab African) relations; due to the exaggeration in the Arab role about trading slaves in the continent, and the distinction between North Saharan Africa and its South based on color, race and religious principles; and the attempt to draw the North of the continent from its African identity and including it to Europe. The (Arab African) conflicts represent also another restriction to the (Arab African) cooperation, which increases its danger because of internal tensions.

Ali Mazrou'i believes in the necessity of cooperation between both sides (the Arabian and the African) in order to face the attempts of domination and exclusion from the part of the Western world. He goes further to claim that the first steps to execute (Arabian African) relations are the adhesion of the peoples of the Arabian Peninsula with their peers on the other side of the Red Sea, and looking for a new definition of the continent of Africa that makes the Arabian Peninsula a part of the continent. From this comes the invitation of Ali Mazrou'i to build a geographical union between the two regions under what is called (Afrabia) ■

# Ahmadu Bello Sardauna.. A Statesman and a Preacher

***Dr. Muhammad Althani Omar***

*Researcher and a Preacher, Manager of Imam Bukhari Center for Research and Translations, Kano, Nigeria*

Hajj Ahmadu Bello Sardauna, was one of the ancestries of the great Sultans of Nigeria, he made great efforts to restore some of the glories of its leaders and chiefs who established a powerful Islamic state in the country, until it was destroyed by the colonialism.

One of his first works was combating ignorance and illiteracy in his village, by founding a new school that he was teaching in it by himself.

Then he joined politics with a clear objective: to restore some of the glories of his nation, so he established the Northern People's Congress in 1949, based on honoring traditions and customs, and leaning towards the Islamic and Arabic orient, and he finally won the rule of the northern emirates of Nigeria.

Ahmadu Bello supported Ulama and preachers with money and other means of patronage to help them teach religion to the people, he devoted rewards for them from his own money. He also built mosques in the countryside, and was interested in raising the levels of Quran schools and education in order to fulfill its role in modern Nigeria.

His endeavor in Islamic works expanded to reach the whole Islamic world, as he intended to make efforts to reunite it, so he made a tour to some Arab and Muslim countries that resulted in a conference in Jeddah in 29th of May 1961, an achievement that paved the way to his call to the unity of the Muslim world.

One of his hallmarks to serve Islam is the establishment of Jama'atu Nasril Islam (Society for the Support of Islam) in Nigeria, and calling non-Muslims to Islam, and his co-founding of The Muslim World League.

In 1966 he was assassinated by treacherous killer, and assassination that made eclipse to the light of the star of this person who beamed in the sky of his Ummah. That was Ahmadu Bello Sardauna, A Statesman and a Preacher in Nigeria ■

# The Yorubawi Arab Poetry.. Characteristics and features

***Dr. Kamal EddineMobarak Ali***
*Lecturer at Hikma University – Elourn/Nigeria*

The Yorubawi people have known Islam, and Arabic language got mixed with its words and terminology (the language of Yoruba) and its arts, in addition to its scientific and religious terms and some race and linguistic traditions. In Nigeria generally and more specifically in Yoruba lands scholars of Arabic language and its arts and sciences excelled, to the extent that they made a firm step and valuable productions in the field of language studies, literature and the sciences of religion.

The flourishing of literature in the lands of Yoruba coincided with the rise of the Fodiya state; because the oldest scholar and man of letters – his literary productions reached us – was one of the scholars in (Elourn) city; the oldest land of Yoruba in the development of Arabic language and its arts and the Islamic culture and its sciences. This man of letters is the sheikh Abu Bakr Bobi Al-Fallan, the Elorian who passed away in (1858 AD/1275 Hidjri).

The Muslim men of letters in the land of Yoruba did not follow the astray and corrupted system, like ethics corruption, social alienation, sexual arousal, gratifying gays… They did not deviate from the Islamic creed in their literary productions. Also, they abode by the original Arabic poetry form.

The history of literature in the land of Yoruba is divided into three periods (the old, the median, and the modern), and each period had its own specific characteristics. Each period also was suitable to its environment and commitment ■

# The problems & solutions.. African woman

**Mohommed ALageed**
*Sudanese writer & researcher in Afrcan Affairs Member Of Qiraat Editorial-board*

The problems of African woman & solution is being very important issue in deferent scientific researches, & deeper pragmatic effect in life, according to recent changes & development that destroyed concept, custom & tradition that were spread among societies, but affected the cosmos & nature fact, especially which related to gender & what connected to such social role & function. The scholar concentrates on African woman who suffers from psychiatric, social, ecology pressures more than other, all that is under shadow of literacy, disease & poorness, enclosed with injustice deal among Muslim societies.

The scholar tackled challenge encounters African woman especially Muslim, which considered as a great danger, that targeted her character & nature, & the moral of societies too, through woman issue, in order to serve a civilization agenda, depend on free a woman, saving her rights & gender equality which called for wrong concepts, that contradicted with cosmos law, & also ignore variety in creation of man & woman.

This thesis proves all what mentioned about this issue were conflict with common sense & current eyewitness, while life organized by cosmic law that represents by relationship between each one according to the characteristic, including mankind, animals, plants creation. The marriage of all dimensions is not conflicting between the two parties, it just preparatory procedures for them to play their complete role in stability of mankind & protect human being distinct. The equality between man & woman, will hurt a woman only

The scholar ensured that a woman today is suffering from unfair defending affected all life edges negatively, as woman is efficient existing member, they want her because of the freedom, rights, & equality to be factor of societies & civil destroyer, so the wrong concepts against woman either previously or recently, leaded to suffer more during this epoch.

The strong fundamental of mankind behavior organizing & social relationship, are the cosmos law & correct congenital supports. As wrong concepts produce wrong behavior ■

# the African economic integration

**Dr. Mohammed Boubouche**
*Researcher in International Relations and Political Science*
*University Mohammed V - RABAT AGDAL*

The world was going through in the current period deep changes in the structure of the world and the formulation of many of the visions and powers governing international relations. While recognizing that did not result in these transformations of the new system is clearly and tracks, the what is happening on the international scene with its changes and its effects is worthy of consideration and deepened in order to looking trends in the rebuilding of international system. The overall trends indicate that the basic fact that, that the world moves toward more actively the major economic blocs, both through the new economic groupings or activating structures already exist, and the conversion of the objectives of the enterprise in order to meet the requirements of economic changes on the international scene since the collapse of the Eastern Bloc, and the disintegration of the Soviet Union, and the ensuing dramatic developments to rearrange the structure of economic power in the world.

And in front of the difficulty of achieving comprehensive security through the United Nations was to seek regional arrangements for security. If the cold war between the major Powers had ended, and became international disputes will be resolved through peaceful means and military; it remains that most attention by States would be to solve economic problems, through regional integration.

Africa has experienced similar to the rest of the continents of the world-wide-ranging regional integrative activity, it is virtually a place in which to engage in attempts to complementary, the following will review some of these integration experiences and challenges faced by and means to overcome them ■

# Africa Economic situation and Ten Opportunities for Growth and Development

***Dr. Gamil Helmy Abdulwahed***
*Economic Consultant, Ph.D. in Economics from Cairo University*

This article tries to determine the current economic conditions in Africa continent. It also tries to discover the available opportunities that can be exploited to escape from the poverty cycle that unfortunately is increasing in Africa while decreasing in other places in the world. The article ensures that Africa continent has many competitive advantages. It has a strategic geographic location, a large area reaches 30.190 Km, many rivers, large fertile agricultural lands, oil and gas resources, many minerals, many tourism locations and it also has human resources as its population is more than one billion.

There are many growth potentials in Africa that can be achieved even through changing the existing problems into opportunities. For simplification purposes, the article focuses only on ten of these opportunities, they are: enhancing the Afro-Arab Economic Integration starting with agriculture sector as a model, enhancing the economic integration between African countries, improving transportation roads to support bilateral trade, giving a great interest to education, industrial development through localizing the procurements of strategic sectors, equality in allocating resources, enhancing the role of African Blocs in disputes settlement, applying governance to control corruption, applying Integrated water management policies and giving a great interest to health care ■

# The International Conception of Security in Sahel A Comparative Overview of the American and French Conception

***Samir Kelaa El-Doros***
*Researcher in African Affairs, Algeria*

The American conception of security to the Sahel emerges from the American interest of Africa itself. In this context, the American administration asked many African countries to join the (Coalition Against Terrorism) and initiated number of initiatives as Pan Sahel and AFRICOM. This policy aims for controlling the petroleum deposits of Western Africa, besieging the European influence, especially the French one, and limiting the Chinese role in Western Africa.

The French conception of security to the Sahel area is based upon number of interests in these countries, most important of which is enduring the traditional French influence there, protecting these regions from the American rivalry and competition especially with China, and restricting the power of Al-Qaeda specifically in north of Mali.

In the scope of the international cooperation between the US and France in combating terrorism, the direct coordination started with the initiation of Operation Serval, in the framework of many common interests, on the top of them is combating terrorism, although the two countries may have severe difference on tactical levels, and each of them often take individual decisions.

The French existence and the American positioning in the Sahel area is explained by many economic considerations, as this region has very valuable treasures, specially (oil, gold, and uranium) and may be turned into an alternative for providing energy, given the dire situations in the Middle East.

According to the aforementioned, we see these security conceptions as an obstacle in the face of state building process and development in the region, and amplify the terroristic dangers as a pretext of military interference. We see the most suitable solution to achieve security is the cooperation and coordination among the states in the Sahel area, as Algeria called for, through its security approach to reinstate security and stability to the region once again ■

# The American Approach Toward Building Security and Peace in the Sahel

***Dr. Essam Abdul- Shafy***
*Professor of Political Science, Sakarya University, Turkey*

The United States depended on number of mechanisms to reinforce its strategic interests and building peace and stability in the region according to its point of view to Africa generally, and in the Sahel and Sahara specifically. Among these mechanisms: strategic partnership, military bases, establishing African force to combat terrorism, Pan Sahel or Trans Sahara programs, the western security partnership with the NATO, establishing AFRICOM (the American Africa command), reinforcing the role of NATO in the region, and establishing a Task Force for North Africa.

To face the Euro-American competition on the Maghreb region, we must build an African security approach to this region, in from of the international approach that intends to impose its hegemony on the states of the region and seizing its wealth. We should also support the initiatives that aims to solidify dialogue and increasing the ability of local communities to face terrorism and resisting it, and make coordinated efforts to achieve comprehensive development, especially as we live in the era of the giant economic unions and bodies, in which the small and distracted states lose its weight, and become a mere dependent and satellite states in the international relations affected by its negative reflections ■

# Fulani: People and Language

***Dr. Ali Yaakoub***

*Professor of Arabic Language, Arabic Language Faculty, Islamic University, Niger*

There is a lot of contradiction among the researchers about the origins of the Fulani people; some relate them to Arabic, Judaic or Pharaohs origins among many other sayings, most of which are not based upon convinced scientific basics.

The specifying of the origin of the Fulani excites other problem, due to their continuous traveling for pasture, migration, and their homes that is expanded in wide areas in Africa. The Fulani exist heavily in (Chad, Central African Republic, Sudan, North of Benin, Togo, and Ghana) and in large numbers in other countries.

Fulani language has special properties, it includes also a high literature, and it is ranked number one among the most common used languages in Africa, it was written by Arabic alphabet, but the western invasion converted it into Latin alphabet. The Fulani language was affected –as other languages-with the Arabic Language in its words with 25% percentage.

The Fulaq ni played vital role in preaching Islam in western Sudan and in correcting the creeds of Muslims there, whereas the Fulani established many Islamic entities in the 19th century, among them was the Imamic rule, the rule of sheikh Osman Den Phodio, the rule of sheikh Ahmed Lebo, and the rule of sheikh Al-Hajj Omar Bin Saeed Tal El-Foty, and others ■

# Religious Social Interaction in Burkina Faso
## (Animism and Islam) as an Example

***Dr. Zainab Bila Taseryyankini (Zenabo)***
*A researcher from, currently working as a teacher at the University Center for Multi-specialization Studies in Burkina Faso*

In Burkina Faso it is hard to separate between religion and social relations, as the beliefs transcends the individuals, and goes beyond to meet a special pattern of society, and here comes the Animism firstly as the traditional religion in Burkina Faso, followed by Islam and Christianity, as it Is a multi faith country.

The study reveals some of the social religious interaction in Burkina Faso, in a contrast between Animism and Islam, as the study shows the creeds of Animism and its characterizations; the relation between it and Islam on the level of creeds; the social relation between Animists and Muslims, and how the people there mixed between Islam and some of their old traditions and habits in some social traditions like engagement, marriage, polygamy, naming new infants and in circumcision.

The study presents also the Islamic viewpoint about Animism, and how the encounter between Islam and the spiritual values of Animism was a historical encounter that took a long time, and needed a wisdom and patience to enhance it ■

# African Mass Media and its Role in Serving Strategic Developmental Issues in the Continent

More than any other continent, Africa needs a powerful and purposive media that contributes effectively in building its developmental renaissance and guiding its path to achieve its goals.

The effectiveness of the African media depends on number of features and characteristics. The most important of which is it should be related to the distinctive particularity that embodies the personality of the continent to forge a message that guides African people towards it. It should deepens the awareness of the continent and presents the sound understanding of the African realities with its geographic and historic dimensions that may work as a way towards a purposive African media, as the continent has a lot of material and ethical capabilities.

To be a powerful tool, the African media should fight the semblance of weakness in the area of evil social illnesses in creeds, understandings, traditions, concepts, manners and ignorance of the past imperial heritage and disputes. It should also focus on combating diseases and epidemics, and other natural factors that limit the African capabilities and activities, to achieve the internal solidarity, and the ability of direct and effective communications among the audience.

The most important goals that may be achieved by purposeful and effective African media in supporting development and strategic issues is the creation of a unified vision in front of the threats to African societies, and to play an effective role in spreading awareness and security culture among African citizens. It may shed light on the challenges and security threats, and make an active contribution to strategic planning, and lead to a constructive dialogue among local and foreign cultures. It also can work to uncover aspects of falsehood and distortion and unmask the distorted approaches the western studies were based upon, to finally achieve presenting the correct picture of Africa.

The purposive media can also support the foreign policies of the African countries and its strategic relations and policies. This includes the removal of sensitivities in the African Arabic relations, and the distorted mental picture the colonization engraved in the Arab relationship with Africa. It also can restore confidence in the capacity of African and Arab peoples and their governments in achieving a better future, and to prepare a regional integration on the Arab African levels.

At last, what remains to increases the effectiveness of the purposeful African media is to present a clear and influential content in information transferring, persuasion and corrections, according to a sound methodology ■

صدر حديثا

# الزيادة والإحسان في علوم القرآن

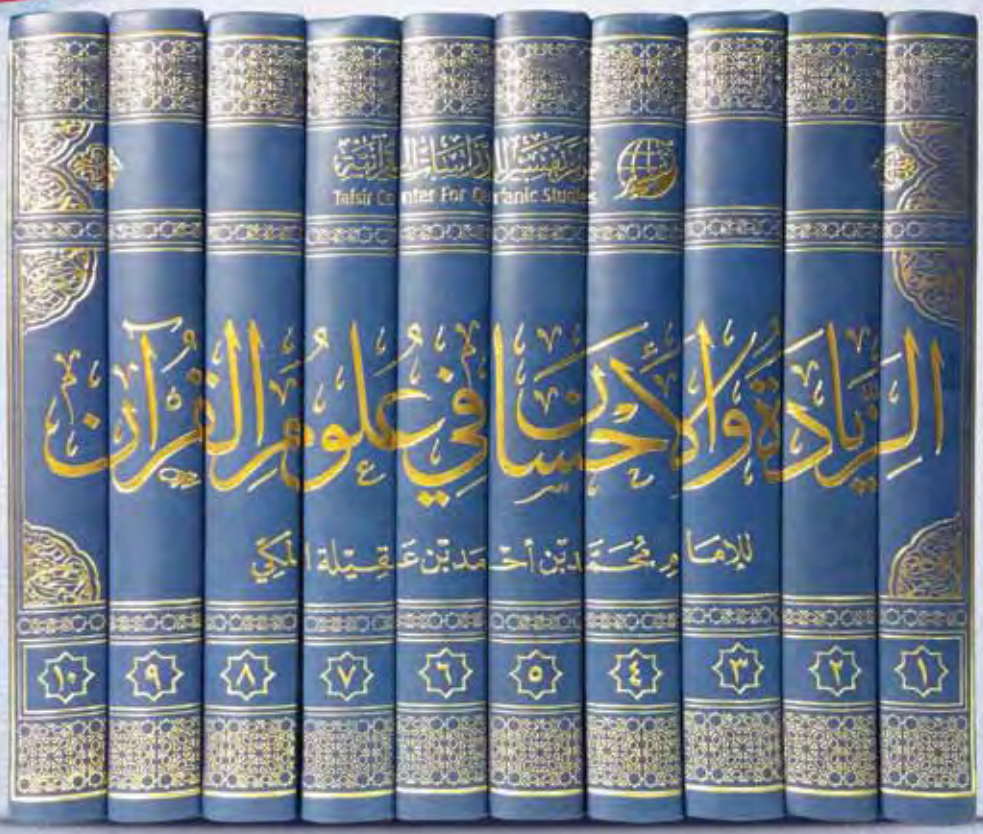


## الطبعة الثانية


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف : +966 11 2109620
فاكس : +966 11 2109713
ص.ب : 242199 الرمز البريدي : 11322

tafsir.net
/tafsir.net
@tafsir_net